صورة المجتمع في القرن الرابع الهجري في مصنفات التنوخي : (الفرج بعد الشدة ، والمستجاد من فعلات الأجواد ونشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة)

إعداد
رولا محمود حمدان النجار

تعتمد كلية الدراسات العليا
هذه النسخة من الرسالة
التوقيع ..... التاريخ ٤/٨/٢٠٠١

المشرف
الاستاذ الدكتور عبد الجليل عبد المهدي

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في
اللغة العربية وآدابها

كلية الدراسات العليا
الجامعة الاردنية

آب ٢٠٠١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ ٢١/٨/٢٠٠١م

أعضاء لجنة المناقشة

التوقيع

- الأستاذ الدكتور عبد الجليل عبد المهدي (مشرفاً)
- الدكتور ياسين عايش (عضواً)
- الدكتور حمدي منصور (عضواً)
- الدكتور محمد الدروبي (عضواً)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإهداء

إلى من أضاء لي شموع درب هذا العمل، ودعمني الدعم المعنوي والمادي، زوجي حازم.

إلى من كان عطاؤهما فوق كل عطاء، إلى والديّ الكريمين.

إلى صغيريّ شادن وأحمد اللذين عاشا معي هذا العمل يوماً بيوم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شكر وتقدير

أجد من الحقّ عليّ أن أتوجه بالشكر الجزيل والاعتراف بالفضل لمن كانت لهم أيادٍ بيض في مساعدتي على إتمام هذه العمل ، وإخراجه على هذه الصورة، فهم شركائي فيما تجد في هذه الرسالة من إحسان وصواب ، وعليّ - وحدي - وزر ما تقع عليه من خطأ وقصور، وأخص منهم :

الأستاذ الدكتور عبد الجليل عبد المهدي ، وأتقدم له بعظيم الشكر والامتنان على ما أولاني من رعاية أثناء إعداد هذه الرسالة ، وعلى ما قدم لي من نصح وإرشاد،و أقدّم شكري الجزيل الى الدكتور ياسين عايش، والدكتور حمدي منصور،و الدكتور محمد الدروبي ،على تفضلهم بقراءة هذه الرسالة ، وتحملهم عبء مناقشتها ، وتزويدي بأرائهم وملحوظاتهم التي سيكون من شأنها أن تساهم في تصويب أخطائها ، وتدارك ما قد يعتريها من أسباب الخلل والنقص.

وأود أن أوجه شكراً خاصاً لوالدي الذي شجعني لمتابعة درب التحصيل العلميّ،و لوالدتي التي ما ضنت عليّ ولا على أبنائي بحنانها ومنحتني الوقت لإخراج هذا العمل.

****

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المحتويات

الموضوع	الصفحة
- قرار لجنة المناقشة	أ
- الإهداء	ب
- شكر وتقدير	ج
- المحتويات	د _هـ
- الملخص بالعربية	و _ز
- المقدمة	ح- ل
- الفصل الاول ، التنوخيّ : حياته ومصنفاته	١_٣١
أ- حياته	٢_١٨
ب _ مصنفاته	١٩_٣١
-الفصل الثاني ، صورة الحياة السياسية في القرن الرابع الهجري في مصنفات التنوخي	٣٢_٧٨
- عهد نفوذ الأتراك ،	٣٣_٥٨
أ- الخلافة والخلفاء	٣٣_٤٤
ب- الوزارة والوزراء	٤٤_٥٨
-عهد البويهيين	٥٨_٧٥
أ- الخلافة والخلفاء وأمراء بني بويه	٥٨_٦٦
ب- الوزارة والوزراء	٦٦_٦٩
ج- الدويلات المستقلة	٦٩_٧٥
د- الدواوين	٧٥_٧٨
- الفصل الثالث ، صورة الحياة الاجتماعية في القرن الرابع الهجريّ في مصنفات التنوخي	٧٩_١٢٠
- عناصر السكان وأثرها في الحياة الاجتماعية	٨٠_٩٦
- الترف وأثره في المجتمع الإسلامي	٩٦_١٠٧
- الموسيقى والغناء	١٠٧_١١٠
- المجون والشعوبية والزندقة	١١٠_١١٣
- الزهد والتصوف	١١٤_١٢٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الفصل الرابع ، صورة الحياة الاقتصادية في القرن الرابع الهجريّ في مصنفات التنوخي ١٢١-١٤٧
- الزراعة ١٢٢-١٢٦
- الصناعة ١٢٦-١٣٠
- التجارة ١٣١-١٤٢
- موارد الدولة ومصارفها ١٤٣-١٤٧
- الفصل الخامس ، صورةالحياة الثقافية في القرن الرابع الهجريّ في مصنفات التنوخي ١٤٨-١٧٥
- العلوم الشرعية ١٤٩-١٥٢
- القضاء ١٥٢-١٥٦
- علم الكلام ١٥٦-١٥٨
- علوم اللغة ١٥٨-١٦١
- التاريخ والجغرافيا ١٦١-١٦٢
- علم النجوم والفلك ١٦٢-١٦٣
- علم الطب ١٦٣-١٦٤
- الشعر ١٦٥-١٧٢
- النثر ١٧٣-١٧٥
- الفصل السادس ، سمات أسلوبية في مصنفات التنوخي ١٧٦-١٩٧
- سمات أسلوبية ١٧٧-١٨٥
- البناء القصصي وأهم العناصر القصصية ١٨٥-١٩٧
- الخاتمـــــــــة ١٩٩
- المصادر والمراجع ٢٠٠-٢٠٣
- الملخص بالإنجليزية ٢٠٤-٢٠٥

****

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الملخص

صورة المجتمع في القرن الرابع الهجري في مصنفات التنوخي : (الفرج بعد الشدة ، والمستجاد من فعلات الأجواد ونشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة)

اعداد
رولا محمود حمدان النجار

المشرف
الاستاذ الدكتور عبد الجليل عبد المهدي

موضوع هذه الدراسة " صورة المجتمع في القرن الرابع الهجري في مصنفات التنوخي " ، " الفرج بعد الشدة " ، و " المستجاد من فعلات الأجواد " ، و " نشوار المحاضرة و أخبار المذاكرة " .

والقرن الرابع الهجري هو العصر الذي عاش فيه التنوخي ، ويمثله لنا من خلال الأخبار التي يرويها لنا في مصنفاته القيمة .

والفصل الأول في هذه الدراسة متعلق بالتنوخي ، من حيث حياته ونشأته في البصرة ، ومساهمة عائلته وشيوخه في تكوين ثقافته ، ومصنفاته التي أغنى المكتبة العربية بها ، والمنهج الذي اتبعه التنوخي في تأليف كل مصنف منها .

أما الفصل الثاني فيدور حول الحالة السياسية في القرن الرابع كما تصوره هذه المصنفات ، وقد رسم لنا التنوخي صوراً دقيقة لخلفاء وأمراء ووزراء في هذا القرن بعهديه المتباينين : عهد نفوذ الأتراك ، وعهد البويهيين ، وصور النزاعات الداخلية والأزمات التي كانت تمر بها الدولة العباسية آنذاك .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والفصل الثالث من هذه الدراسة يصور ما رسمه التنوخي بدقة من غنى فاحش وفقر مدقع، ووصف مجالس الغناء والشراب، وما نتج عن هذا الغنى من مجون وزندقة، والتيار المعاكس له من زهد وتصوّف.

وفي الفصل الرابع "صورة الحياة الاقتصادية في القرن الرابع الهجري" نجد أن التنوخي لم يُعن بالحالة الاقتصادية بشكل واضح ومباشر، ولكن جاءت الأخبار عن الصناعة والتجارة والزراعة وموارد الدولة ومصارفها ضمن موضوعات أخرى.

أما الفصل الخامس فهو مختص بالحالة الثقافية لهذا القرن، والقرن الرابع الهجري يمثل قمّة الازدهار الأدبي، ويروي التنوخي أخبار شعراء من ذلك القرن من أمثال المتنبي، وأبي فراس الحمداني، وغيرهما. ويزوّدنا بأخبار عن نحويّين ولغويين أثروا علوم العربية.

والفصل الأخير من هذه الدراسة يلقي الضوء على سمات فنية في أدب التنوخي، وأهم العناصر القصصية فيه.

٥٤٥٦٨٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقدمـــــــــــة

أحمد الله أبلغ حمدٍ وأزكاه ، وأشمله وأنماه ، وأشهد أنّ لا إله إلا الله، البر الكريم ، الرؤوف الرحيم ، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله ، وحبيبه وخليله، الهادي إلى صراطٍ مستقيم ، والداعي إلى دين قويم ، أما بعد :

فهذه الدراسة تتناول " صورة المجتمع في القرن الرابع الهجريّ ، في مصنفات التنوخيّ :" الفرج بعد الشدة " ،و " المستجاد من فعلات الأجواد "، و " نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة " .

وقد كان " التنوخيّ " يداعب بنات أفكاري ، مذ كنت ممّن يتحلّقون حول أستاذنا الكريم الدكتور عبد الجليل عبد المهدي لنستزيد علماً حول أصول الفن القصصيّ القديم عند العرب ، فقد ذكر التنوخيّ ونشواره ، فقادني الفضول لمعرفة النشوار ، حتى تبلورت فكرة هذه الدراسة عندي .

وقد وقع الاختيار على هذا الموضوع ؛ لأنّ التنوخيّ لم ينل حظاً وافراً من الدراسات الجامعية العلميّة فيما أعلم ، فالدراسات السابقة التي تتحدث عن التنوخيّ ومصنفاته قليلة ، وتقلّ بصورة أكبر الدراسات التي تتحدث عن تصوير التنوخيّ لمجتمع القرن الرابع الهجريّ .

ومن الدراسات التي تناولت التنوخيّ " القاضي التنوخيّ و كتاب النشوار " ، لمؤلفه بدري محمد فهد ، وهو كتاب يقدم وصفاً موجزاً لكتاب النشوار ومادته ، ثم يورد فهارس عامة للخلفاء والأمم والقبائل والأشعار ... الخ ،مما ورد في النشوار ، وبالأخصّ في الجزء الأول منه ، وبحث "الفرج بعد الشدة " لمحمد حسن عبد الله ، وهو يعرّف بكتاب الفرج بعد الشدة ، ويذيل كتابه بدراسة فنية لهذا المصنف .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ودراسة أخرى لسلوى درويش تحت عنوان " المحسن بن علي التنوخي" ، و هي تعريف بسيرة التنوخي ، ومصنفاته ، متطرقة لبعض السمات الفنية لأدب التنوخيّ .

ودراسة أخرى لخولة شخاترة تحت عنوان" الخبر عند المحسن التنوخي " ، وقد سعت هذه الدراسة إلى بحث الخبر عند التنوخي بين القص والتأريخ ، وتحدثت الباحثة عن الأخبار وكيفية تداعيها و تواردها عند التنوخي .

ونجد أخباراً متفرّقة عن التنوخيّ في بعض المراجع ، مثل "النثر الفني في القرن الرابع الهجريّ " لزكي مبارك ، ويعرض فيه موجزاً عن التنوخيّ و مصنفاته ضمن من عرضهم من أدباء القرن الرابع الهجريّ .

و"الحالة الاجتماعية في العراق في القرنين الثالث والرابع الهجريّ"، لمليحة رحمة الله ، وهي تتحدث عن النشوار في مواطن متفرّقة لتدعيم بعض الظواهر الاجتماعية في القرن الرابع الهجريّ .

وفي هذه الدراسة سأتناول آثار التنوخيّ وأدرسها دراسة تحليلية استقصائية ، و أستقرىء صورة المجتمع الإسلامي في القرن الرابع الهجريّ ومن خلال ذلك كله سأعنى بدراسة الموضوع دراسة فنية قدر ما أستطيع .

وأهمية هذه الدراسة تبرز في أهمية مؤلفات التنوخيّ ، فكتاب "الفرج بعد الشدّة "، ألفه التنوخي ليفزع إليه من أناخ الدهر بمكروهه عليه ، فيقرأ من الأخبار فيه ما يسلّيه ويتّعظ به ، والتخفيف عمن أصيب بمحنة أو شدّة ،و قد اعتمد في تأليفه التبويب والتصنيف .

و(المستجاد من فعلات الأجواد) هو كتاب في أخبار الكرماء في الجاهلية والإسلام ، ويحمل أدباً وأخلاقاً وتاريخاً واجتماعاً ، ولم يقصد التنوخيّ الكرم المادي فحسب ، بل أراد الكرم المعنويّ ، أو كرم النفوس والخصال ، وتبيّن أن بعض الكرم لم يكن لتبذير المال والإسراف في العطاء ، ولم يكن للشهرة ، بل كان تقديراً للكلام المعبر البليغ الذي تميل إليه القلوب ، وتنتبه فيه العقول .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما " نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة "، فقد احتوى على مقدّمة يتبعها كتاب عصره من تبويب وتصنيف ، وجعل مادّة كتابه أخباراً وقصصا وأشعاراً انفرد هو بتقديمها في مؤلف لأوّل مرّة .

وقدم التنوخيّ من خلالها معلومات قيمة عن أحوال مجتمعه ، في لهوهم وجدهم ، وسرورهم وحزنهم ، وغضبهم ورضاهم .

أما المصادر الرئيسية التي ارتكزت عليها بنية الرسالة فهي مصنفات التنوخيّ الثلاثة : " الفرج بعد الشدّة" وتقع في خمسة أجزاء ، من تحقيق عبود الشالجي المحامي . و" المستجاد من فعلات الأجواد " وهو مجلد واحد من تحقيق محمد كرد علي . أما " نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة " فهو يقع في ثمانية أجزاء ، من تحقيق عبود الشالجي المحامي. وواجب أن أنوّه أن الأجزاء الأول والثاني والثالث والثامن هي مادّة النشوار كما وصلت إلينا من المخطوطات . أما الأجزاء الرابع والخامس والسادس والسابع فهي أجزاء قد ضاعت من النشوار ، إلا أن المحقق عبود الشالجي المحامي تتبع الفقرات الضائعة من النشوار ، في ثنايا الكتب ، وأعاد جمعها وترميمها ، وراجع مصادر عديدة مثل "المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم"لابن الجوزي و"تاريخ بغداد " للخطيب البغدادي و" تاريخ الوزراء" للصابي ، ومؤلفي ياقوت الحموي "معجم البلدان "،و " معجم الأدباء "، و " يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر " للثعالبي"،و تجارب الأمم " لابن مسكويه ، وقد رأيت أنه من الضروري أن أعود لهذه المصادر ، لمعرفة كيفية ورود الخبر في هذه المصادر .

أما المحاور التي دارت حولها فصول الرسالة ، فقد كانت في الفصل الأول حول التنوخيّ ، وإلقاء الضوء على سيرته ونشأته في البصرة،و تتلمذه على عدد من الشيوخ في تكوين مخزونه الثقافي المتميز .

كما تطرق هذا الفصل إلى المحن التي واجهها التنوخيّ في حياته، من عزله عن القضاء ، والاستيلاء على ضيعته ، وسخط عضد الدولةعليه، وكيف كانت هذه النكبات حافزاً في تصنيف مصنفاته .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما يعرض هذا الفصل إلى مصنفات التنوخيّ ، ويعرف بكل مصنف منها وبطبيعة المنهج الذي انتهجه التنوخيّ في تصنيفها ،وقد عرض هذا الفصل بعض المقطوعات الشعرية التي نظمها التنوخي .

والفصل الثاني يتعلق بصورة الحياة السياسية في القرن الرابع الهجريّ كما تظهر في مصنفات التنوخيّ ، وقد تميز هذا القرن بعهدين متمايزين ، عهد نفوذ الأتراك ، وقد تولى فيه الحكم خمسة خلفاء وهم : المقتدر ، والقاهر بالله ، والراضي بالله ، المتقي لله ، والمستكفي بالله .

والعهد الثاني هو عهد البويهيين ولقد صور التنوخيّ الأحداث السياسية بتفاصيلها من خلال حديثه عن طوائف الخلفاء ، والأمراء ،والوزراء ،وقواد الجيش .

والفصل الثالث يصور الحياة الاجتماعية في القرن الرابع الهجريّ ،وقد تحدثت فيه عن عناصر السكان وأثرها في الحياة الاجتماعية . ثم خصصت الحديث للترف وأثره في المجتمع الإسلامي الحديث ، فتحدثتُ عن ترف الخلفاء وكبار رجال الدولة في بناء القصور ، والفرش ، واللباس ، والطعام والشراب .

ولما كان للموسيقى والغناء أثرهما في ذلك العصر ، فقد أفردت الحديث عن ذلك ضمن هذا الفصل متحدثة عن مجالس الطرب والغناء ، والآلات الموسيقية المعروفة آنذاك ، كما صورها التنوخيّ في مصنفاته .

ومن الطبيعي أن تتكون نزعة اللهو والمجون والزندقة في مثل هذه الأجواء من الترف ، ويقابلها التيار المواجه لها ، وهو تيار الزهد والتصوف، وبه ختمت هذا الفصل .

أما الفصل الرابع ، فيتحدث عن صورة الحياة الاقتصادية من خلال الحديث عن الزراعة ، والصناعة ، والتجارة ، وموارد الدولة ومصارفها ؛إلا أن مصنفات التنوخيّ لم تسعفنا بالأخبار فيما يختص بالحياة الاقتصادية في القرن الرابع الهجريّ بشكل مفصل كثيراً كما في جوانب الحياة الأخرى .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كان الحديث عن صورة الحياة الثقافية في القرن الرابع الهجريّ هو موضوع الفصل الخامس من هذه الدراسة ، وقد تطرقت للعلوم الشرعية من تفسير وحديث ، ولعلوم اللغة من نحو وصرف وبلاغة ، وعلم الكلام ، والتاريخ والجغرافيا ، وعلم الطب ، والفلك ، والتنجيم ، كما تبينتها في مصنفات التنوخي .

وأفردت في هذا الفصل للقضاء موضوعاً خاصاً ، فقد ذكر التنوخيّ في مصنفاته أسماء طائفة كبيرة من القضاة ، في القرن الرابع الهجريّ ، ولعل ذلك يعود لكونه قاضياً ، فقد عرفه عمله في سلك القضاء بقضاة كثر

أما أخبار الشعراء والكتاب فقد ازدحمت بها مصنفات التنوخيّ بشكل ملحوظ ، فقد اخبرنا عن أعلام شعراء القرن الرابع الهجريّ من أمثال المتنبي وأبي فراس الحمداني ، وغيرهما .

وأما الفصل السادس فقد اشتمل على دراسة فنية لأسلوب التنوخيّ والبناء القصصي ، واهم العناصر القصصية في مصنفاته مثل : عرض الأخبار ، والاستطراد ، واعتماد الإسناد في نقل الروايات .

وأخيرا ، أسأل العلي القدير أن أكون وفقت في هذه الدراسة ، وإن أخطأت فحسبي أني حاولت، والله لا يضيع أجر العاملين .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

▪التنوخي : حياته ومصنفاته

أ - حياتـــــه
ب - مصنفاته

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

التنوخي : حياته ومصنفاته

أ - حياته :-

▪ اسمه ونسبه :-

القاضي التنوخي هو المُحَسنُ بنُ عَليّ بن مُحَمَّدِ بن دَاوُدَ بنَ الفهْم التنوخِيّ (١) وهو يماني الأصل والنسب ، وينسب إلى قضاعة (٢).

▪ أسرته :-

▪ والده:-

ولد القاضي أبو القاسم علي بن مُحَمّد بن أبي الفَهَم بن داود بن إبراهيم التنوخي في أنطاكية ، في ذي الحجة سنة ثمان وسبعين ومائتين ،(٣) وقدم بغداد في حداثته في سنة ست وثلاثمائة ، وتفقه بها على مذهب أبي حنيفة ، وسمع الحديث ورواه (٤).

وولي القضاء بالأهواز وكورها (٥)، وتقلد القضاء بَعسْكَرِ مَكْرَم (٦) وتستر (٧) وجُنديْسابُور(٨) و السُّوس (٩)، في عام ٣١١هـ ، وكان عمره ٣٣ سنة(١٠) ، ثم أضيف إليه قضاء البصرة ، وظل في منصبه هذا بضع سنين ثم صرف (١١) .

١- انظر ترجمته في : الثعالبي : يتيمة الدهر ، ١٩٥٦م ، ج٢، ص ٣٤٦، وياقوت الحموي : معجم الأدباء ، ج٥ ، ص ٢٢٨٠ ، تحقيق د. إحسان عباس والبغدادي ، تاريخ بغداد ، ج ١٣ ، دار الفكر ، ١٩٨٧، ص ١٥٥، وابن الجوزي المنتظم ، ج ٦ ، ص ٣٧٢، وابن خلكان - وفيات الأعيان ، ج ٤ ، ص ١٥٩ تحقيق إحسان عباس ،وابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة : ج ٤ ، ص ١٦٨، وابن العماد ، شذرات الذهب ، ج ٣ ، ص ١١٢، ومقدمة نشوار المحاضرة ومقدمة الفرج بعد الشدة ، تحقيق عبود الشالجي المحامي .

٢- الحموي : معجم الأدباء ،ج ٤، ص ١٨٧٢

٣- التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ٣ ، ص ١٣٦

٤- الحموي : معجم الادباء ، ج ٤ ، ص ١٨٧٢

٥- التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ٤ ، ص٢٣

٦- عسكر مكرم : بلدة بنواحي خوزستان ، منسوبة إلى مكرم بن معزاء الحارث ، معجم البلدان - طبعة وستنفلد ٦ مجلدات (الجزء ٣ ، ص ٦٧٦).

٧- تستر : بلدة في خوزستان ، واسمها بالفارسية شوشتر ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٨٤٧

٨- جنديسابور : مدينة بخوزستان منسوبة الى سابور بن أرد شير ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ١٣٠

٩- السوس : بلد بخوزستان ، فيها قبر النبي دانيال ، معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ١٨٨

١٠- التنوخي : نشوار المحاضرة ، وأخبار المذاكرة ، ج ٣، ص ١٣٦

١١- التنوخي:نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، ج ٤ ، ص ٢٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان تقليد أبي القاسم التنوخي القضاء بهذه المنطقة ، مبـــدأ صلـــة ربطت العائلة بالعراق، وعندما صرف عن عمله ، قصد سيـــف الدولـــة زائـــراً ومادحاً ، فأكـــرم سيف الدولة مثواه ، وأحسن قراه، وأعـــاد إلـــى عمله ، وزاد رزقه(١) .

عاد أبو القاسم لتقلد القضاء بالكرخ بعد عودته من حلب (٢) ،والتحـق بخدمة شيخ البريديين ـ أبي عبد الله البريدي ـ فقد ألحقه بخدمته ، ونصبـــه مستشاراً له .

وقام أبو القاسم بسفارات ومهمات عدة في ظل البريدي منها أنـــه :-

- في عام ٣٢٤هـ ، كان رسول البريديين الى القائد ياقوت ، حيث عقـــد معه صلحاً ، وزوج ابنة البريدي من ابن ياقوت (٣).
- في عام ٣٢٥ هـ كان رسول البريديين ، إلى الأمير أبى بكر بن رائـــق(٤)
- في عام ٣٢٦ هـ كان رسول البريديين ، إلى الأمير بجكم ، حيث عقدت بينهما مصالحة (٥) . توجت بزواج بجكـــم مـــن سارة ابنة أبي عبد الله البريدي(٦).

ولما توفي أبو عبد الله البريدي في سنة ٣٣٢هـ ، أقام أبـــو القاســـم التنوخي بالبصرة ، وانضاف إلى المهلبي صديقه القديم (٧) ، ولقـــي أبـــو القاسم التنوخي كل رعاية وعناية من الوزير المهلبي ، وكان يميـــل إليـــه ويعده " ريحانة الندماء " (٨) ، وبلغ من وفاء المهلبي له أنه لما توفـي فـــي سنة ٣٤٢هـ ، صلى عليه ، وقضى مـــا عليـــه مـــن الديـــون ، وكـــان مقـــدارها خمسين ألف درهم (٩) .

١- التنوخي :الفرج بعد الشدة ، ج ٤ ، ص ٢٣٤
٢- الحموي : معجم الأدباء ، ج ٤ ، ص ١٨٨٣
٣- ابن مسكويه : تجارب الأمم ، تصحيح هـ . ق ، امدروز ، مصور عن شركة التمدن الصناعية ، مصر ج ١ ، ص ٣٤٥
٤- التنوخي : نشوار المحاضرة - ج ٤ - ص ٧٥
٥- بَجْكَم : استولى الدولة العباسية في أيام الراضي ، وكان عاقلا - يفهم العربية ، ولا يتكلم بها ، وسكن واسط ، وكانت إمارته سنتين وثمانية اشهر ، وكان يلقب بالماكاني ، (تجارب الأمم ، ٧/٢ ، المنتظـــم ٣٢٠/٦)
٦- ابن مسكويه : تجارب الأمم ، ج ١ ، ص ٣٨٥
٧- التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ٢ ، ص ٢٠٣
٨- الثعالبي : يتيمة الدهر ،ج ٢ ، ص ٣٣٦و ص ٣٣٧
٩- الحموي : معجم الأدباء ، ج ٤ ، ص ١٨٧٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كان أبو القاسم ضليعاً في النحو واللغة ، متمكناً في الفقه والفرائض، ويحفظ ما قد اشتهر من الكلام والمنطق والهندسة ،وكان ذا قدم في الأحكام وعلم الهيئة والعروض ، ويحفظ ما يفوق عشرين ألف حديث ، وله في العروض والفقه كتب مصنفة ، ولو أنه اختص بعلم من العلوم هذه لكان أمراً هائلاً (١)٠

وكان القاضي أبو القاسم من أعيان أهل الأدب ، وكان جواداً (٢) ،و يصوره ياقوت فيقول : "٠٠٠ وإن أردت فهو سبحة ناسك ، أو أحببت فهو تفاحة فاتك ، أو اقترحت فهو مدرعة راهب ، أو أكثرت فهو تحية شارب " (٣) ٠

*** والدته :-**

الأخبار عن والدته قليلة ، ويشير المحسّن إلى أن جدّها كان من الكتاب ، ويبدو أنها كانت من عائلة علم وفقه (٤) ٠

*** جده لأبيه :-**

وكان جد المحسّن لأبيه من أهل الأدب والعلم أيضا، وقد وجه والد المحسّن التنوخي نحو حفظ الشعر ، وخاصة أشعار الطائيين: أبي تمام والبحتري (٥)٠

*** عمـــــــه :-**

وكان عم المحسّن من أهل الأدب والعلم كذلك ، ويذكر أنه كان قاضياً، وهو واحد من الذين روى عنهم القاضي المحسّن في كتبه (٦) ٠

١- الحموي :معجم الادباء ،ج ٤ ،ص ١٨٧٣
٢-الثعالبي :يتيمة الدهر ، ج ٢ ، ص ٣٣٦
٣-الحموي : معجم الأدباء ، ج ٤ ، ص ١٨٧٣
٤-التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ٥ ، ص ١٩
٥-التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ١ ، ص ١٧٦
٦-التنوخي : الفرج بعد الشدة ، ج ٤ ، ص ١٩٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويشيد الثعالبي بالمحسن التنوخي ، فيما أخذه عن جده وأبيه ، وفي الصفات التي تحلى بها كل منهم ، كما يبدو في قول الثعالبي ، فيقول : "هلال ذلك القمر ، وغصن هاتيك الشجر ... ،والفرع المثيل لأصله(١) .

وأشاد صالح بن لبيب أبو الخير بالتنوخي الأب وابنه المحسّن قائلاً :- (٢)

يَا مَنْ أراقَ له السّماحُ ندى ... أضْحَى به الأحْرارُ في رقّ
فَضْلاً سَبَقْتَ العَالِمِيْن بِـــه ... والفَضْل مقصُورٌ عَلى السّبق
ألْزَمْتَ نَفسَكَ غَيْرَ لازمها ... وَعرفت لي حَقّين لا حقّـــي

مما سبق نلاحظ أن أسرة المحسن التنوخي عرفت بالعلم والأدب والنجابة ، مما ساعد على تنمية شخصية التنوخي وعقليته الفكرية .

فوالده ساعده على حفظ الكثير من الأشعار ، وعلى مطالعة أمهات الكتب (٣) ، وعرفه على أصحاب المكانة المرموقة من الرؤساء والوزراء،وخاصة الوزير المهلبي (٤) وتجدر الإشارة إلى أن المحسن التنوخي نشأ وحيداً لوالديه ، ويذكر أن والده كان وحيد والديه كذلك (٥) .

*** مولده ونشأته :-**

ولد المحسّن التنوخي في ليلة الأحد لأربع بقين من ربيع الأول لعام سبعة وعشرين وثلاثمائة بالبصرة (٦) ، وهو يعد البصرة بلده ، ويتحدث عن نفسه باعتباره بصرياً ، كما يبدو فيما يرويه لنا من الحكايات والقصص، إذ يقول في إحدى قصصه : "ولي الجهني عندنا في البصرة (٧) الحسبة" ، ويقول في ثانية : " كان عندنا في البصرة (٨) " وفي ثالثة : حدثني محمد بن عديّ بن زحر البصري " جارنا بها " (٩) وغيرها من الحكايات .

١- يتيمة الدهر : ج ٢ ، ص ٤٠٥
٢- التنوخي : نشوار المحاضرة تحقيق عبود الشالجي المحامي ، ج ٣ ، ص ١٧
٣- التنوخي: المصدر السابق نفسه ، ج ٢ ، ص ١٤٢ ،و ج ٧ ، ص ٢٠٣
٤- التنوخي : المصدر السابق نفسه ، ج ٢ ، ص ٢٠٣
٥- التنوخي : الفرج بعد الشدة ،ج ١، ص ٤٤
٦- التنوخي : نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، ج ٥ ، ص ١٩
٧- التنوخي: المصدر السابق نفسه ، ج ٢ ، ص ١٠٨
٨- التنوخي : المصدر السابق نفسه ، ج ١ ، ص ١٩٧
٩- التنوخي: المصدر السابق نفسه ، ج ٣ ، ص ١٣٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكانت البصرة تموج بمختلف الأجناس ، وكانت بلد القصور الأنيقة ،و الأبنية الفاخرة (١) ، وهي بلد العلماء والأدباء ، وقد عني علماء البصرة باللغة والنحو وعلم العربية ، وعنهم أخذ التنوخي ويقول المقدسي (٢) : (والعراق كثيرة الفقهاء والقراء والأدباء والأئمة والملوك ، وبخاصة بغداد والبصرة) .

*** ثقافته :-**

ولد التنوخي في بيت فقه وعلم ، ونشأ محبا للدرس ، وأول عمله كان في المكتب (٣) .

ويروي التنوخي بعض ذكرياته في المكتب في البصرة، ويتحدث عن المعلم (أبي البيان) (٤) صديق معلمه أبي جعفر، وعن طريقة تدريسه للطلاب ، يقول التنوخي : "فقد أقبل يخاطب التلاميذ في الكتاب يوماً قائلاً : لكم أقول أبها الصبيان ، ولمن جاوركم من الغلمان ، إلى حدود الأحداث والفتيان : اسمعوا وعوا ، فمن خالف بعد البرهان ، أنزلتُ به غليظ الامتحان ، تراصوا في صفوفكم ،وألزقوا أقدامكم ، و وأقيموا ألواحكم ، واقبلوا علي بألحاظكم ، وأحضروا فيما تنشدون قلوبكم ،وارفعوا أصواتكم ،وقولوا قول صبي واحد : " قفا نبك من ذكرى حبيب و منزل " (٥) .

وصاح بالشعر مطرباً ، فما ملك الصبيان إلا الضحك .

ويذكر التنوخي ، أن هذه الألفاظ ، لولا تعاودها مع رفاقه في المكتب لما حفظهما ، وحين ترعرع كتبها ، ثم نسيها ، ثم نقلها في كتابه من الرقعة التي كان قد كتبها من قبل (٦) .

١- النديم : الفهرست ، ص ٥٩ ، القاهرة ، المكتبة التجارية ، ١٩٢٩ م

٢- المقدسي: احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ١١٣ ، ليدن ، مطبعة بريل ، ١٩٠٦ م

٣- التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ٣ ، ص ١٤٦ ، ص ١٤٧

٤- ويذكر التنوخي عن هذا المؤدب سوى انه تكنى بابي البيان حتى يتميز بهذه الكنية ، وانه كان صديقا لمعلمه أيضا

٥- التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ٣ ، ص ١٤٧، ص ١٤٨

٦- التنوخي : المصدر السابق نفسه ،ج ٣ ،ص ١٤٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد كان معلمه أبو جعفر خلوقا، لا يشتم الطلاب ، ويمنعهم من الشتم وسوء الأدب (١) .

* شيوخـــــه :-

كان والد المحسّن التنوخي أول مؤدب له ، فقد روى القاضي التنوخي عنه الكثير من الأخبار (٢) ،وأول خبر وردنا عن تلقيه الدروس كان في ٣٣٣ هـ ، وكانت دروساً في الحديث .

أما شيوخه الذين سمع منهم ، فقد اختلفوا حسب الأماكن التي عاش فيها ، ويذكر الخطيب البغدادي أنه سمع في البصرة من : (٣)

* واهب بن يحيى المازني (٤)

* المحسن بن محمد بن عثمان النسوي (٥)

* محمد بن الحسن بن جمهور الكاتب (٦) : ويعتقد التنوخي بأنه من شيوخ أهل الأدب بالبصرة ، وانه كان شاعراً جيد الخط ، وراوية لأشعار والده

* محمد بن يحيى الصولي : وكان واحداً من الأدباء الظرفاء ، والجماعين للكتب ، نادم الخليفتين الراضي و المقتدر ، وسمع التنوخي من الصوليّ وهو حدث ، وكان أول سماعه الحديث منه وهو في السابعة من عمره (٧) ، وروى عنه ما كان سمعه في كتاب (الفرج بعد الشدة) كما روى عنه في كتاب (المستجاد) روايتين عن خالد بن يزيد الكاتب (٨) .

* أحمد بن عبيد الصفار : وهو أحمد بن عبيد بن إسماعيل ، أبو الحسن الصفار ، سمع من كثيرين وقد روى عن الدارقطني وكان ثقة ثبتا، صنف المسند ، وسكن البصرة في أواخر حياته (٩) .

١- التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ٣ ، ص ١٤٨

٢- التنوخي : الفرج بعد الشدة ، القصص ١٦٣، ٢١٨، ٢٤٤ ، وغيرها

٣- تاريخ بغداد - ج ١٣ ، ص ١٥٥

٤- ٥ - لم اعثر لهما على ترجمة حياتهما في كتب التراجم ومصادرها

٦-ابن جمهور : مات سنة ٤٢١ هـ

٧-التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ٥ ، ص ١٩ ، له كتاب الهجاء والشعر ، معجم الأدباء ، ج ٦ ، ص ٢٤وص٢٥

٨-التنوخي : المستجاد من فعلات الأجواد ، ص ١٥٩ و ص ٢٤٧

٩-الخطيب البغداد : تاريخ بغداد ، ج ٤ ، ص ٢٦١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* أبو الفرج الأصفهاني : وهو علي بن الحسين بن الهيثم القرشي ، من ولد هشام بن عبد الملك (١) وكان التنوخي على اتصال دائم بمجالسه ، وكان يحضرها ، وأجاز الأصفهاني للتنوخي رواية كتاب الأغاني فيما أجاز له من كتب (٢) ،وروى عنه التنوخي في كتبه الثلاثة (٣) .

* أبو إسحاق الصابي ، إبراهيم بن زهرون الصابي (٤) ، نابغة كتاب جيله، تولى الكتابة في دواوين الدولة من قبل البويهيين ، وفي عهدهم . مات على دين الصابئة ، ولكنه كان يحفظ القرآن ، ويشارك في صوم رمضان،وقد أملى على التنوخي بعض الحكايات والأخبار كالرقعة التي أملاها عليه التنوخي لرجل تزوجت أمه (٥) .

* ابن سكرة الهاشمي : هو محمد بن عبد الله بن محمد الهاشمي البغدادي الشاعر المشهور، وقيل عنه إنه شاعر متسع الباع ، في أنواع الإبداع، فائق في قول الطرف والملح على الفحول والأفراد ، سمع عنه التنوخي الكثير من الأخبار (٦) .

* أبو عبد الله الحسين بن حجاج (٧) شاعر مفلق ، وجُلّ شعره مجون ،و له ديوان لم ينشر توفي في سنة ٣٩١ هـ ، سمع منه التنوخي ، وروى بعض أشعاره (٨)

لقد كانت ثقافة التنوخي نتاج البيئة التي نشأ فيها والشيوخ الذي درس عليهم ، أو حضر مجالسهم ، ويتجلى تأثير البيئة في اعتناقه الحنفية مذهبا (٩) ، وفي كونه معتزليا (١٠) ،وكان ذلك بتأثير والده، ويبدو أثر الاعتزال واضحاً في كتب التنوخي ، حيث أتى بأخبار المعتزلة ، وأسندها إلى أصحابه مما يدل على قبوله بها .

١- الأصفهاني : ولد ٢٨٤ هـ ، وتوفي ٣٥٦هـ ، وكتاب الأغاني والتعديل والانتصاف في أخبار القبائل وأنسابها معجم الأدباء ، ج ٤ ، ص ١٧١٧و ص ١٧٢٢

٢- التنوخي : الفرج بعد الشدة ، ص ٣٨٣

٣- مجموع ما نقله التنوخي عن الأصفهاني ٤٣ خبرا ، وعن كتاب الأغاني ٦ أخبار ، كما في مقدمة الفرج بعد الشدة للشالجي ص ٣٥

٤- التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ٣ ، الحكايتان ، ص ٢١١ و ص ٢١٢

٥- التنوخي : المصدر السابق نفسه ،ج ٣ ، ص ٢١١

٦- التنوخي : المصدر السابق نفسه ، ج ٢ ، ص ٣٠٨

٧- الثعالبي : يتيمة الدهر ، ج ٢ ، ص ٣٤٧

٨- التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ٦ ، ص ٦٩

٩- ابن قطلوبغا : تاج التراجم في طبقات الحنفية ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٦٢م ص ٧٥

١٠- ابن المرتضى : طبقات المعتزلة ، فلزر، بيروت ، ١٩٦١م ، ص١٣٢

١١- التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ٢ ، ص ٢٠٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* يروي التنوخي في إحدى قصصه أن المعتزلة هم أهل الحق (١)، ويدافع عن صاحبه إسماعيل الصفار (٢) ، ويرى أن القرآن مخلوق (٣)، ونراه يبكي على موت أبى هاشم الجبائي (٤).

ويذكر التنوخي أن من بركة المعتزلة أن صبيانهم لا يخافون الجن (٥) ويذكر في قصة أخرى (٦) بعض مصطلحات صوفيه كالإبدال(٧) والعالم(٨) والقطب (٩) .

وكان للشيوخ أثر واضح في جعل علم الحديث أحد مقومات ثقافته ، حيث أصبح من المحدثين ، ولم ينقطع عن التحديث إلى وفاته (١٠)،ووصف بأنه صحيح السماع (١١) . وأورد القاضي المحسن التنوخي بعض الأحاديث النبوية في كتاب الفرج بعد الشدة في الباب الثاني بعنوان " ما جاء في الآثار في ذكر الفرج بعد اللأواء وما يتصل به إلى كشف الشدة والبلاء (١٢) .

١-التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ٢ ، ص ٢٠٨

٢-التنوخي : المصدر السابق نفسه ، ج ٢ ، ص ٢٠٨

٣-التنوخي :المصدر السابق نفسه ، ج ٢ ، ص ٢٠٩

٤-أبو هاشم عبد السلام بن أبى علي محمد بن عبد الوهاب البصري الجبائي: (٢٧٧-٣٢١هـ) هو وأبوه من رؤساء المعتزلة ، ولكل منهما تصانيف وتلامذة ، وكان يصرح بخلق القران كأبيه ، ويقول بخلود الفاسقين في النار ، وان التوبة لا تصح مع الإصرار عليها وكذلك لا تصح مع العجز عن الفعل عنها ، فمن كذب ثم خرس لا تصح توبته ، وكان ينكر كرامات الأولياء (المنتظم ٦ /٢٦١) .

٥-التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ٢ ، ص ٣٤٢

٦-التنوخي : المصدر السابق نفسه ، ج ٢ ، ص ٣٥٣

٧-الأبدال : مفردها بدل ، وهو مصطلح صوفي ، وهم سبعة رجال من سافر منهم من موضع ترك جسدا على صورته حيا بحياته ، ظاهرا بأعمال اصله ، بحيث لا يعرف احد انه فقد .

٨-العالم في اصطلاحات الصوفية ، كل ما سوى الله من الموجودات ، لانه يعلم به الله من حيث أسماؤه وصفاته

٩-القطب : من مصطلحات الصوفية ، وقد يسمى غوثا ، باعتبار التجاء الملهوف إليه ، والقطب عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله في كل زمان .

١٠-البغدادي : تاريخ بغداد ج ١٣، ص ١١٥

١١-المصدر السابق نفسه ، ج ١٣ ، ص ١١٥

١٢-التنوخي : الفرج بعد الشدة ، ج (١) ، ص ١٢٥ ، ١٢٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

*** التنوخي في بغداد :-**

شهد المحسن التنوخي عند القاضي أحمد بن سيار ، قاضي الأهواز (١) كما يحدثنا التنوخي نفسه . يذكر المحسن أنه " لما نزل الوزير المهلبي (٢) بالسوس ، قصده المحسن التنوخي ، للسلام عليه ،وتجديد العهد بخدمته، "(٣) فرحب به الوزير، وطلب منه القدوم إلى بغداد ليقلده عملا في القضاء فورد التنوخي بغداد في سنة ٣٤٩هـ (٤) وكانت بداية مرحلة جديدة من حياته .

بدأ التنوخي حياته في بغداد قاضيا على مناطق قريبة من بغداد(٥)، ثم ولاه المطيع لله (٦) القضاء بنواح مختلفة من الأهواز ، ثم ولي القضاء بمناطق في شمال العراق، ثم بحران ونواح من ديار مضر (٧).

وكان المحسن قد تقلد القضاء سنة ست وخمسين وثلاثمائة بسوق الأهواز وما تبعها من القرى سهلها وجبلها (٨) ، ثم صرف عنها سنة تسع وخمسين وثلاثمائة بإيعاز من الوزير محمد بن العباس (٩) وقبضت ضيعته، فأشخص إلى بغداد متظلما، وبقي مقيماً فيها ثلاث سنين وشهوراً (١٠)، ثم أعيدت إليه ولاية القضاء بتلك المناطق ، وأضيف إليها واسط وأعمالها (١١).

١- التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ٤، ص ٧٩-٨١

٢-المهلبي : أبو محمد الحسن بن محمد المهلبي ، وزر لمعز الدولة في السنة ٣٣٩هـ واشتهر بالكفاية والأمانة والمعرفة بمصالح الدولة وحسن السيرة وقد أزال كثيرا من المظالم وقرب أهل العلم والأدب وكان كريما فاضلا ذا عقل ومروءة دامت وزارته ثلاث عشرة سنة وثلاثة اشهر توفي ٣٥٢هـ (الكامل لابن الاثيرة٨/٤٤٩-٥٤٦)

(٣،٤)- التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ٤ ، ص ٧٩- ص٨٠

٥- التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ٥ ، ص ١٩

٦- المطيع لله : هو الخليفة الفضل بن جعفر المقتدر ، ولي الخلافة سنة ٣٣٤هـ على إثر خلع سلفه المستكفي وسمله وكان أمر المطيع ضعيفا والحكم لبني بويه واستمرت خلافته ثلاثين سنة إلا أشهرا وأصيب بالفالج وثقل لسانه ، فخلع سنة ٣٦٣هـ ونصب ولده الطائع (الفخري ص ٢٨٩)

٧-التنوخي : الفرج بعد الشدة ، ج ٣ ، ص ٢٦٦

٨-التنوخي : الفرج بعد الشدة ، ج ٣ ، ص ٢٦٣

٩-أبو الفرج محمد بن العباس بن فسانجس : كان والده أبو الفضل العباس من وجهاء شيراز ، وكان وزير بختيار وكان في أيام عضو الدولة ببغداد (٣٦٦-٣٧٢) يتقدم الناس جميعا (معجم الأدباء ، ج ٣ ، ص ٩٩١)

١٠-التنوخي : الفرج بعد الشدة ، ج ٣ ، ص ٢٦٦

١١-المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٢٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد كان المحسّن في أثناء إقامته خارج بغداد يتردد عليها بين الحين والآخر ، "إما زائراً أو بحكم عملٍ يقلده (١) ، فقد تولى الكتابة على الحكم، والوقوف بمدينة السلام لأبي العباس بن أبى الشوارب قاضي القضاة (٢) ٠

وقد التقى المحسّن التنوخي الشاعر المتنبي أثناء إقامته بالأهواز ، وهو في طريقه إلى عضد الدولة ، وسأله عن نسبه ، فلم يعترف له به (٣) وسأله أيضا عن معنى المتنبي (لأنه أراد أن يسمع منه هل تنبأ أم لا (٤)) ، فأجاب المتنبي :(هذا شئ كان في الحداثة أوجبته الصبوة)(٥).

*** التنوخي في كنف المهلبي :-**

حظي المحسّن التنوخي بمكانة مرموقة لدى الوزير المهلبي ، فكان ملازماً لمجلسه ، ويحضر طعامه ومجالس شربه (٦) ، و لذا نجده يشيد بالمهلبي وكرم أخلاقه (٧) ٠

وقد التقى في بغداد بالعديد من العلماء ، والأدباء والشعراء والأمراء ، ويروي لنا العديد من الأخبار في كتبه حول ذلك ، ومن نافلة القول أنه التقى بكبار الشخصيات السياسية والأدبية في مجلس الوزير المهلبي وغيره في أثناء إقامته ببغداد ومنها الأصفهاني، والصابي، وابن سكرة الهاشمي ،والأمر كما ذكر القاضي المحسن التنوخي في مقدمة النشوار أنه (اجتمع مع مشايخ فضلاء علماء أدباء) (٨) ٠

وفي عام ٣٤٩ هـ سمع من الأمير جعفر بن ورقاء الشيباني (٩)، وسمع من أبي أحمد بن أبى الورد (١٠)٠

١- ياقوت الحموي : معجم الأدباء ، ج ٥، ص ٢٢٨٠

٢-ياقوت الحموي : معجم الأدباء ، ج ٥ ، ص ٢٢٨٠

٣-التنوخي : نشوار المحاضرة - ج ٤ ، ص ٢٤٥

٤-التنوخي : المصدر السابق نفسه ، ج ٨، ص ٢٠٠

٥-التنوخي : المصدر السابق نفسه ، ج ٨، ص ٢٠٠

٦-التنوخي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٨٠

٧-التنوخي: المصدر السابق ، ج ٣، الحكايات ١٣٦ ،١٥٦،١٥٧،١٧٧

٨-مقدمة النشوار : ج ١ ، ص ١

٩-التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ١ ، ص ٢٦ أبو محمد جعفر بن الورقاء الشيباني: أمير من أمراء الدولة من بيت إمرة وتقدم وأدب ، ولد بسامراء سنة ٢٩٢ هـ وتوفي سنة ٣٥٢هـ وتقلد عدة ولايات ، وكان شاعرا جيد البديهة (فوات الوفيات ص ٢٠٥و ٢٠٦) ٠

١٠-التنوخي : المصدر السابق نفسه ، ج ١، ص ٦٠، أبو أحمد بن أبى الورد ، هو شيخ من أبناء القضاة ، لقية التنوخي عام ٣٤٩هـ ، ببغداد ،(النشوار ، ج ١ ، ص ٦٠)٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي عام ٣٦٢هـ ، أعيد القاضي التنوخي إلى القضاء بالأهواز ،و الأعمال التي كان عليها ، واستخلف على واسط ، وكان له حديث مع الكاتب ابن أبي القيراط (١) في عام ٣٦٢هـ (٢).

* **التنوخي في كنف عضد الدولة :-**

تقدم المحسّن التنوخي في عهد عضد الدولة ، وتقلد القضاء في أماكن عدة ، وخصص له عضد الدولة كرسيا يجلس عليه في مجلس شرابه (٣) ، وقويت علاقته به وصار من ندمائه (٤) ، وكان من المشمولين بالجلوس بحضرته ، وهم قلائل ، وكان عضد الدولة يماشيه أحيانا في دار المملكة ويحدثه ، وقد يخصه بمعلومات أو يحدثه بأمور لا يحدث بها المرء عادة الا صديقا مقربا (٥).

وتولى المحسّن التنوخي القضاء لعضد الدولة في الموصل وجميع ما كان في يد أبي تغلب الحمداني (٦) الحاكم في الموصل ،مضافا إلى حلوان(٧)في عام ٣٦٧هـ ، وكان التنوخي في صحبة عضد الدولة في حملته هذه ، ورجع معه في الأول من ذي الحجة سنة ٣٦٨هـ (٨) .

١- ابن أبى القيراط : هو علي بن هشام أبى قيراط الكاتب ، من كتاب الوزير ابن الفرات ، وكان أثيرا عنده وكان الكاتب على بيت المال (الوزراء للصابي ، ص ١٥٨).

٢- التنوخي : الفرج بعد الشدة ، الحكاية ٣٢٨ والحكاية ٤٦٥

٣- التنوخي : النشوار ، ج ٤ ، الحكاية ٤٢،٤٣،٤٤

٤- التنوخي : المصدر السابق نفسه ، ج ٤ ، الحكايات ، ٤٢،٤٣،٤٤

٥- التنوخي : المصدر السابق نفسه ، ج ٤ ، ص ٢٥٩

٦- أبو تغلب الحمداني : فضل الله بن ناصر الدولة بن حمدان ، كانت إليه الموصل وديار بكر وديار مضر وكان متحالفا مع عضد الدولة البويهي ، ثم نقض عهده وتحالف مع بختيار وأعانه في معركته مع عضد الدولة وتقلبت الحال بابي تغلب حتى قتل سنة ٣٦٩هـ (الكامل لابن الأثير ٨/٥٥٣- ٧٠٧)

٧- التنوخي :الفرج بعد الشدة ، ج ٢ ، ص ١٨٨

٨- التنوخي : المصدر السابق نفسه ، ج ٢ ، ص ١٨٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي عام ٣٦٢هـ ، أعيد القاضي التنوخي إلى القضاء بالأهواز ،و الأعمال التي كان عليها ، واستخلف على واسط ، وكان له حديث مع الكاتب ابن أبي القيراط (١) في عام ٣٦٢هـ (٢)٠

* **التنوخي في كنف عضد الدولة :-**

تقدم المحسّن التنوخي في عهد عضد الدولة ، وتقلد القضاء في أماكن عدة ، وخصص له عضد الدولة كرسياً يجلس عليه في مجلس شرابه (٣) ، وقويت علاقته به وصار من ندمائه (٤) ، وكان من المشمولين بالجلوس بحضرته ، وهم قلائل ، وكان عضد الدولة يماشيه أحيانا في دار المملكة ويحدثه ، وقد يخصه بمعلومات أو يحدثه بأمور لا يحدث بها المرء عادة الا صديقا مقربا (٥)٠

وتولى المحسّن التنوخي القضاء لعضد الدولة في الموصل وجميع ما كان في يد أبي تغلب الحمداني (٦) الحاكم في الموصل ،مضافا إلى حلوان(٧)في عام ٣٦٧هـ ، وكان التنوخي في صحبة عضد الدولة في حملته هذه ، ورجع معه في الأول من ذي الحجة سنة ٣٦٨هـ (٨) ٠

١- ابن أبي القيراط : هو علي بن هشام أبي قيراط الكاتب ، من كتاب الوزير ابن الفرات ، وكان أثيرا عنده وكان الكاتب على بيت المال (الوزراء للصابي ، ص ١٥٨)٠

٢- التنوخي : الفرج بعد الشدة ، الحكاية ٣٢٨ والحكاية ٤٦٥

٣- التنوخي : النشوار ، ج ٤ ، الحكاية ٤٢،٤٣،٤٤

٤- التنوخي : المصدر السابق نفسه ، ج ٤ ، الحكايات ، ٤٢،٤٣،٤٤

٥- التنوخي : المصدر السابق نفسه ، ج ٤ ، ص ٢٥٩

٦- أبو تغلب الحمداني : فضل الله بن ناصر الدولة بن حمدان ، كانت إليه الموصل وديار بكر وديار مضر وكان متحالفا مع عضد الدولة البويهي ، ثم نقض عهده وتحالف مع بختيار وأعانه في معركته مع عضد الدولة وتقلبت الحال بابي تغلب حتى قتل سنة ٣٦٩هـ (الكامل لابن الأثير ٨/٥٥٣- ٧٠٧)

٧- التنوخي :الفرج بعد الشدة ، ج ٢ ، ص ١٨٨

٨- التنوخي : المصدر السابق نفسه ، ج ٢ ، ص ١٨٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وزادت منزلة التنوخي لدى رؤساء الدولة ومن مظاهر ذلك أنه :-
تولى عقد قران الخليفة الطائع لله على ابنة عضد الدولة في عام ٣٦٩هـ (١)، وكان لهذا الزواج مصلحة وأهمية سياسية ، فقد كان عضد الدولة يطمح أن تضع ابنته مولوداً ذكراً ، ويعهد الخليفة الطائع إليه بالخلافة، وتتحول السلطة الى البويهيين ، ويجعل حكمه أكثر تأصلا ورسوخا (٢).

وقام التنوخي بالخطبة في الاحتفال الذي أقيم بمناسبة زواج الخليفة الطائع لله من ابنة عضد الدولة، وافتتح الخطبة بالحمد لله والصلاة على رسوله ، ثم قال : (أما بعد : فإن الله جل جلاله ، جعل النكاح سببا وشج به الأرحام ، وشرف به الأنام ، وصير أعظمه فضيلة ، وأقربه إليه وسيلة ، ما اتصل بالنبوة ، وتعلق بالخلافة ، وأفاد الدين جلالة وسموا ورفعة وعلواً، وأن مولانا أمير المؤمنين عبد الله،عبد الكريم،الطائع لله، أطال الله بقاءه ، وأدام علاءه ، لما عرف عضد الدولة وتاج الملة أبي شجاع مولاه ، أدام الله عزه ونعماه ، في الذب عن الدين ، والمحاماة عن المسلمين والمحاماة بنفسه دون الدعوة ، والمناضلة في نصرة الخلافة : رأى أن يجازيه عن ذلك بأشرف المجازاة ، ويكافئه عنه بألطف المكافأة،و يصل نسبه بنسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذي روى فيه عنه أنه قال : (كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي) ، فخطب إليه سيدة نساء عصرها فضلا وجلالا ، وواحدة بنات دهرها نبلاً وكمالاً ، فلانة بنت عضد الدولة ، وتاج الملة أبي شجاع بن ركن الدولة أبي علي مولى أمير المؤمنين أدام الله عزه (٣) .

١- التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ٤ ، ص ٢٦٢
٢-ياقوت الحموي : معجم الأدباء ، ج ٥ ، ص ٢٢٩٢
٣-الصابي : رسوم دار الخلافة ، ص ١٣٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذا يدل على منزلة التنوخي العالية لدى كل من الخليفة والسلطان ، حتى يحظى بعقد القران والخطبة أيضا دون غيره مما سيثير كيد حساده، كما سنرى لاحقا .

كان القاضي التنوخي يرافق عضد الدولة في أسفاره،و يحضرمجلسه (١) ، ففي عام ٣٧٠هـ خرج عضد الدولة إلى همذان، وأقام بها شهورا(٢)،و لكن الصلة التي كانت تربط القاضي التنوخي بعضد الدولة ما لبثت أن فترت إثر حادثة وقعت ، وذلك أن القاضي المحسن التنوخي خلال مرافقته له إلى همذان ، كان في نية عضد الدولة قضاء الشتاء هناك بغية القبض على الصاحب بن عباد (٣) ، فلم يكتم التنوخي ذلك الأمر ، ولم يكذب خصومه ذلك الخبر، وأخبروا عضد الدولة فثارت ثورته على التنوخي ، وأرسل إليه من يقرعه ، لأنه افسد الخطة عليه قائلاً: "ألم تكن صغيراً فكبرناك ، ومتأخرا فقدمناك ، وخاملاً فنبهنا عليك ، ومقتراً فأحسنا إليه ، فما بالك جحدت نعمتنا وسعيت في الفساد على دولتنا(٤) "؟

واستمر السخط على التنوخي ، حتى وفاة عضد الدولة سنة ٣٧٢هـ، حيث يقول المحسّن التنوخي : " واستمر علي السخط والصرف عن الأعمال إلى حين وفاة عضد الدولة " (٥) ،وقد عين عضد الدولة ستة قضاة ليقوموا بالعمل الذي كان يقوم به القاضي المحسّن التنوخي (٦) .

لا تسعفنا كتب التراجم التي بين أيدينا في الحديث عن طبيعة حياة التنوخي بعد وفاة عضد الدولة ، إلا أنه عاد إلى بغداد ، وسكن في شارع دار الرقيق ، ليقضي بقية حياته بعيدا عن الجاه والسلطان، وقد لاقى عسراً شديداً فلم يكن له مال يعول عليه (٧).

١- التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ٥، ص ٣٦

٢- ابن الجوزي : المنتظم ، ج ٧ ، ص ١٠٣

٣- الصاحب بن عباد : هو إسماعيل بن عباد بن العباس ، وزير غلب عليه الأدب وكان صاحب علم وفضل وتدبير وجودة في الرأي ، ولقب بالصاحب لصحبته مؤيد لدولة من صباه فكان يدعوه بذلك ، وله مؤلفات كثيرة ، ومنها " المحيط " و " الوزراء " و " الكشف عن مساوئ شعر المتنبي " . (وفيات الأعيان ١: ٧٥)

٤- التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ٤، ص ٩٦

٥- التنوخي : المصدر السابق نفسه ، ج ٤ ، ص ١٠١

٦- بدري محمد فهد : القاضي التنوخي وكتاب النشوار ، ص ١٦ و ص ١٧

٧- التنوخي : الفرج بعد الشدة ،الحكاية ١٨٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبدأ التنوخي بالتحديث ، وتأليف كتابيه " المستجاد من فعلات الأجواد " ، و " الفرج بعد الشدة " ، و إكمال كتابه " نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة" الذي بداه سنة ٣٦٠ هـ (١).

وإلى هذه المدة من حياته تعود شكواه من زمانه ، التي بثها في مصنفاته ويعود تذكره للمحن التي لحقته ، وكتبها للناس عبرة وموعظة بعد نجاته منها .

* **مِحَـــــنُ التنوخـــــي :-**

مر التنوخي بمحن عدة ، صورها في مصنفاته ، ومن ذلك :-

- عزله عن عمله وأخذ ضيعته منه عام ٣٥٩ هـ (٢)، وكان المحسن التنوخي قد ظلم ولم يجد الانصاف إلا بعد أن تولى صهر الوزير المهلبي ، أبو الفضل العباس بن الحسين الوزارة ، واستعاد ضيعته وعمله (٣) .
- لجوء التنوخي إلى البطيحة (٤) في عام ٣٦٣ هـ هاربا من الوزير ابن بقية ،وزير عز الدولة بختيار ، لسوء العلاقة بينهما (٥) وفي ظل أميرها معين الدولة (٦) لقي التنوخي الأمان والاطمئنان . ولقي التنوخي جماعة من معارفه بالبصرة وواسط خائفين على أنفسهم ، وهربوا من ابن بقية، وكانوا يجتمعون في المسجد الجامع الذي بناه معز الدولة أبو الحسين ويتشاكون أحوالهم ، ويتمنون الفرج مما هم فيه من الخوف والشدة والشقاء (٧)، ثم أطلق التنوخي بعد تسعة أيام من اليوم الذي قبض فيه، وكان يقرأ قوله عز وجل : " **وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك، إني كنت من الظالمين، فاستجبنا له ونجيناه من الغم ، وكذلك ننجي المؤمنين** "(٨) .

١- التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ١ ، الحكايات : ٦ ، ٢٥ ، ٣٥

٢- التنوخي : المصدر السابق نفسه ، ج٢ ، ص ٢٥٢ و ص ٢٥٣

٣- التنوخي : المصدر السابق نفسه ، ج ٢ ، ص ٢١٩

٤- البطيحة : ارض واسعة بين واسط والبصرة - وسميت بالبطيحة لان المياه تبطحت فيها (معجم البلدان ٦٦٨/١)

٥- التنوخي : الفرج بعد الشدة ، القصة ٥٩

٦- معين الدولة : أبو الحسين عمران بن شاهين السلمي ، أمير البطيحة ، ورأس الإمارة الشاهينية وطالت أيامه اربعين سنة وتوفي سنة ٣٦٩هـ

٧- التنوخي : الفرج بعد الشدة ، الحكاية ١٧٤

٨- سورة الأنبياء : الآيتان ٨٧ و٨٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويحدثنا التنوخي عن شدة أخرى لحقت به ، من عدو، وقد استتر منه، وكان دأبه قراءة سورة الفيل في الركعة الثانية من صلاة الفجر ، وفي الركعة الأولى سورة الشرح ، وكفاه الله ذلك العدو ، وأهلكه الله من غير سعي له في ذلك بعد شهور (١).

كما يحدثنا عن محنة عظيمة غليظة لحقته من السلطان عضد الدولة، عندما سخط عليه عام ٣٧١هـ . وكتب أبو الفرج الببغاء (٢) رقعة يتوجع فيها للقاضي التنوخي جاء فيها : " بسم الله الرحمن الرحيم مدد النعم ـ أطال الله بقاء سيدنا القاضي ـ بغفلات المسارّ، وإنْ طالت أحلام وساعات المحن ، وإن قصرت بشوائب الهم أعوام ، وأحظانا بالمواهب من ارتبطها بالشكر ، وأنهضنا بأعباء المصائب من قاومها بعدد الصبر إذ كان أولها بالعظة مذكرا وآخرها بمضمون الفرج مبشراً" (٣).

ويواصل الببغاء حديثه بالتسرية عن القاضي التنوخي ، ودعوته إلى الرضى بما كتبه الله له ، والأمل في النجاة والفرج القريب، بإذن الله تعالى، كما يبدو في قوله مشيدا بالتنوخي : " وسيدنا القاضي ـ أدام الله تأييده ـ أنور بصيرة ، وأطهر سريرةً ، وأكمل حزماً ، وأنفذ مضاءً وعزما من أن يتسلط الشك على يقينه ، أو يقدح إعتراض الشبه في مروءته ودينه، فيلقى ما اعتمد الله من طارق القضاء المحتوم ، بغير واجبه من فرض الرضا والتسليم (٤) ".

ويستمر الببغاء في الإشادة بالقاضي التنوخي قائلاً : "... ولولا الخوف من الإطالة، والتعرّض للإضجار والملالة ، بإخراج هذه الرقعة عن مذهب الرقاع ، وإدخالها بذكر ما نطق به نص الكتاب ، من ضمان اليسر بعد العسر ، وما وردت به في هذا المعنى الأمثال السائرة ، والأشعار المتناقلة في جملة الرسائل ، وحيز المصنفات ، لأودعتها نبذاً من ذلك ، لكني آثرت أن لا أعدل بها عما افتتحها به واستخدمتها له، مقتصراً على استغناء سيدنا القاضي ـ أدام الله تأييده ـ عن ذلك ، بمرشد حفظه وفور فضله ومأثور نباهته ونبله والله يبلغنا ويبلغه في نهاية الآمال ..."(٥).

١- التنوخي : الفرج بعد الشدة ، ج١ ، ص ١٠٦

٢- ابو الفرج الببغاء : كان قد خدم سيف الدولة امير حلب مدة وكان شيخا عالي السن ، متطاول الأمد ـ قد أخذت الايام من جسده وقوته ، ولم تأخذ من ظرفه وأدبه ، ولقب بالببغاء لفصاحته وقيل للثغة كانت في لسانه وتوفي سنة ٣٩٨هـ (معجم الأدباء ، ج ٦ ، ص ٢٤٦٨)

٣- التنوخي : الفرج بعد الشدة ، ج١، ص ١٥٢

٤- التنوخي : المصدر السابق نفسه ، ج ١ ، ص ١٥٢

٥- التنوخي : المصدر السابق نفسه ، ج١ ، ص ١٥٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومما يصور شدة ما كان المحسن التنوخي يحس به ، أنه كان يقرأ دعاء يوصف بـ " دعاء الفرج "، أعطاه إياه أبو الحمد داود بن الناصر لدين الله ، وهم يتوارثونه عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ،وقد ذكر التنوخي أنه كان يقرؤه ثلاث مرات في اليوم ، ومما ورد في ذلك الدعاء:
" ... يا من تحل به عقد المكاره ، ويفلّ حد الشدائد ، ويا من يلتمس به المخرج ،ويطلب منه روح الفرج ، أنت المدعّو في المهمات ، والمفزع في الملمات ، لا يندفع منها إلا ما دفعت ، ولا ينكشف منها إلا ما كشفت ، قد نزل بي ما قد علمت ، وقد كادني ثقله ، وألم بي ما بهظني حمله ،و بقدرتك أوردته علي ، ... وأنت القادر على كشف ما قد وقعت فيه ،و دفع ما منيت به ، فافعل بي ذلك يا سيدي ومولاي ، وإن لم استحقه ،و أجبني إليه وإن لم أستوجبه يا ذا العرش العظيم "(١).

* وفاتـــــــه :-

انتهت حياة القاضي التنوخي ببغداد يوم الاثنين في الخامس والعشرين من محرم سنة ٣٨٤ هـ عن سبعة وخمسين عاما (٢).

وخلف ولده أبا القاسم علي ، ولم يبلغ العشرين بعد، وكان قد وُلد له في البصرة عام ٣٧١هـ (٣)

١- التنوخي : الفرج بعد الشدة ، ج ١ ، ص ١٤١

٢- انظر ترجمته في : الثعالبي : يتيمة الدهر ، ١٩٥٦م ، ج٢، ص ٣٤٦، وياقوت الحموي : معجم الأدباء ج٥ ، ص ٢٢٨٠ ، تحقيق د. إحسان عباس ، والبغدادي ، تاريخ بغداد ، ج ١٣ ، دار الفكر ، ١٩٨٧، ص ١٥٥، وابن الجوزي المنتظم ، ج ٦ ، ص ٣٧٢، وابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٤ ، ص ١٥٩ ، تحقيق إحسان عباس وابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ١٦٨، وابن العماد ، شذرات الذهب ، ج ٣ ص ١١٢ ، ومقدمة نشوار المحاضرة ومقدمة الفرج بعد الشدة ، تحقيق عبود الشالجي المحامي .

٣- البغدادي : تاريخ بغداد ، ج ١٢ ، ص ١١٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب- مصنفاته :-

أغنى القاضي التنوخي المكتبة العربية بمؤلفات ثلاثة هي :(١)

- الفرج بعد الشدة.
- المستجاد من فعلات الأجواد .
- نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة .
- الحكمة.
- و له مصنف عن الحلاج
- وله ديوان شعر مفقود ، ولكن يمكننا معرفة شعره من المصادر التي ترجمت له أو ذكرت أخباره .

• كتاب الفرج بعد الشدة :-

بدأ القاضي المحسّن التنوخيّ بتأليف كتابه " الفرج بعد الشدة " في أواخر أيامه نتيجة للمحن التي تعرض لها ، والشدائد التي إبتلى بها(٢)

• مصادره :-

ذكر التنوخيّ في مقدمة كتابه أنه اطلع على ثلاثة كتب في موضوع الفرج بعد الشدة : (٣)

أولها : كتاب الفرج بعد الشدة والضيقة : ألفه أبو الحسن علي بن محمد المدائني (٤).

وثانيهما : كتاب الفرج بعد الشدة : ألفه أبو بكر عبد الله بن محمد المعروف بابن أبي الدنيا (٥).

وثالثهما : كتاب الفرج بعد الشدة ، ألفه القاضي أبو الحسين عمر بن محمد الأزدي(٦) .

١- المؤلفات الثلاثة التي سيعتمد عليها البحث هي :-
- الفرج بعد الشدة - تحقيق عبود الشالجي المحامي- ويقع في خمسة أجزاء - دار صادر - بيروت
- المستجاد من فعلات الأجواد - تحقيق محمد كرد علي - ويقع في جزء واحد - دار صادر - بيروت
- نشوار المحاضرة و أخبار المذاكرة - تحقيق عبود الشالجي المحامي - ويقع في ثمانية أجزاء دار صادر - بيروت

٢- التنوخي - الفرج بعد الشدة - الحكاية ٢١٦- الحكاية ٤١١

٣- نقل التنوخي من كتاب المدائني أربعة عشر خبراً - ومن كتاب أبي الدنيا خمسة وأربعين خبرا ، ومن كتاب القاضي الأزدي أربعة وأربعين خبرا ، أنظر الفرج بعد الشدة للتنوخي ،ج١، ص ١٠

٤- انظر ترجمته في الفهرست - ص ٢٢٣

٥- انظر ترجمته في الفهرست - ص ٢٣٦-ص٢٣٧

٦- انظر ترجمته في الفهرست ص ١٢٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

• ومن الكتب التي نقل التنوخي أخباراً وقصصاً منها :-
- الآداب الحميدة والأخلاق النفيسة ، للإمام أبي جعفر الطبري (١) .
- الأغاني ، لأبي الفرج الأصفهاني (٢)
- الوزراء والكتاب ، للجهشياري محمد بن عيدوس (٣)
- الأوراق والوزراء ، للصولي (٤)
- الحماسة ، لأبي تمام (٥)
- نسب قريش ، للزبير بن بكار (٦)
- فضائل الورد على النرجس ،لأحمد بن طيفور (٧)

ونقل التنوخيّ أخباراً عن بعض أساتذته الذين أجازوا له الروايـــة عنهم مثل الصولي (٨) ، وأبي الفرج الأصفهاني (٩)

وضمن التنوخيّ مصنفاته أخباراً مما سمعه خلال تنقله من بلـــد إلى آخر ، ومجالسته للعلماء والشعراء والوزراء والخلفاء وغيرهم .

١- نقل عنه التنوخي خبرين ، أنظر مقدمة الفرج بعد الشدة ـ ص ١٠
٢- نقل عنه التنوخي ستة أخبار ، أنظر مقدمة الفرج بعد الشدة ـ ص ١٠
٣- نقل عنه التنوخي ـ ثلاثة وثلاثين خبراً ، أنظر مقدمة الفرج بعد الشدة ص ١٠
٤- نقل عنه التنوخي ـ خبراً واحداً ، أنظر مقدمة الفرج بعد الشدة ص ١١
٥- نقل عنه التنوخي ـ شعراً ـ في الباب الرابع عشر من كتاب الفرج بعد الشدة
٦- نقل عنه التنوخي خبرين ، أنظر مقدمة الفرج بعد الشدة ـ ص ١١
٧- نقل عنه التنوخي خبراً واحداً ، أنظر مقدمة الفرج بعد الشدة ص ١٢
٨- التنوخي :الفرج بعد الشدة- الحكاية ص ٢٠٦- وقد نقل عنه سبعة عشر خبراً
٩- التنوخي: الفرج بعد الشدة ـ الحكاية ٤٨٢- وقد نقل عنه ثلاثة وأربعين خبراً

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

• منهجـــــه:-

خالف القاضي التنوخي مذهـــــب من سبقـــوه فـــي تصنيف كتاب" الفـــرج بعد الشدة "، وعـدل عن طريقهم في الجمع والتأليف ، فإنهم نسقوا ما أودعوه كتبهم جملة واحدة ، وربما صادفت مللاً من سامعيها أو وافقت سامة مـــن الناظرين فيها ، ولكن التنوخي قام بتنويع الأخبار وإكثارها وجعلهـــا فـــي أبواب ، ليزداد من يقف على الكتب الأربعة التي تحمل اسم " الفرج بعـــد الشدة " إعجاباً بكتابه هو ، ويضع ما في الكتب الثلاثة التي سبقت كتابه في مواضعه من أبواب كتابه .

يذكر التنوخي أنه اقتصـر فـي كتابـه علـى أحسـن مـا روي مـن الأخبـــار، وأصح ما بلغه في معانيها من الآثار ، وأملح ما وجد في فنونهـــا مـــن الأشعار(١) ، كما يقول .

وقصد التنوخي الإيجاز والاختصار ، وإسقاط الحشو وترك الإكثار،و إن كان المجتمع من ذلك جملة يستطيلها الملوك ، ولا يتفرغ لقراءتهـــا المشغول .

وقسم التنوخي كتابه إلى أربعة عشر بابا (٢) ،وبدأ بذكر ما أنبأ به فـــي القرآن الكريم من الفرج بعد الشدة ، وبدأ بسورة " الانشراح " وشرحهـــا ،وتوقف عند (**إن مع العسر يسرا**) (٣) ، وفسرها ودعم تفسيره بحديث لابن عباس عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : (لا يغلب العسر الواحد يسرين) .

١- التنوخي :الفرج بعد الشدة – ج ١ – ص ٥٥
٢- التنوخي : المصدر السابق نفسه – ج ١ – ص ٥٥ – ٥٦
٣- القرآن الكريم : سورة الشرح – الآية ٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واستعرض التنوخي عدداً من الآيات ، التي تتحدث عن المحن والشدائد والفرج (١) . إن معظم قصص (الفرج بعد الشدة) تدور حول الفرج بعد الشدة ، وجاءت أفكاره حول التسليم بقضاء الله ، وهذا لا يعني الاستكانة ، بل الصبر على ابتلاء الله والبحث عما يزيل هذه المحنة .

• **المضمون :-**

احتوى كتاب " الفرج بعد الشدة " قصصاً سياسية واجتماعية وثقافية واقتصادية وتاريخية .

وهناك قصص تقدم معلومات تاريخية كالصراع بين الدولة الأموية والدولة العباسية ، وخلع المقتدر وغيرها (٢)

ومن الصور التي رسمها التنوخي في كتبه ، الصور المؤلمة التي تحكي حال المصادرين من الوزراء والعمال ، وما ينالهم من إهانة وتعذيب واحتقار بعد العز والجاه (٣).

وتحدث عن شعراء وأدباء مفلّقين وغير مفلّقين ، وذكر بعض أشعارهم ، وكان يطلق أحكاماً نقديّة هنا وهناك (٤).

وأورد التنوخي قصصاً اجتماعية ، ورسم صوراً للغنى والفقر ، وصور طبقات المجتمع بما فيها من ترف وغنى فاحش وفقر مدقع(٥)

١- القرآن الكريم : سورة الزمر ، سورة يونس ، وسورة الأنعام ، وسورة إبراهيم ، وسورة القصص ، وسورة النمل ، وسورة غافر ، وسورة البقرة ، وسورة آل عمران ، وسورة الأنبياء .

٢- التنوخي : الفرج بعد الشدة ـ الحكايات : ١١٤ ـ ١١٩- ١٣١- ١٨٥- ١٩٦- ١٩٩- ٢٢٠- ٢٥٣- ٢٦٢ ـ ٢٨٥- ٣٠٥- ٣٠٦- ٣٠٧- ٣١٨- ٣٤٦- ٣٥٤ وغيرها

٣- التنوخي : المصدر السابق نفسه ـ الحكايات : ١١٧- ١٦٣- ٢٤٧- ٢٧٣- ٢٧٤- ٣١٤- ٣٢٧ وغيرها

٤- التنوخي : المصدر السابق نفسه - الحكايات : ٢٦٢- ٤٥-٩- ٤٨٦- ٤٩١ وغيرها

٥- التنوخي : المصدر السابق نفسه ـ الحكايات : ١٢٢- ٢٦٢- ٣٣٤ وغيرها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتكررت قصص الإنسان مع الحيوان في مؤلفات التنوخي ، وخاصة مع الأسود التي تهاجم الناس في العراق خلال سفرهم ، وتحدث عن الكنوز المدفونة التي يجدونها صدفة (١).

أورد التنوخي قصصاً شعبية كثيرة في كتابه ، مثل (من يعمل مثقال ذرّة) وغيرها (٢) .

واختتم القاضي المحسّن التنوخي كتابه ، بما اختاره من ملح الأشعار في أكثر معاني ما تقدم من الأمثال والأخبار (٣).

• كتاب المستجاد من فعلات الأجواد :-

وهو كتاب في أخبار الكرماء في الجاهلية والإسلام . وأورد المؤلف حكايات الكتاب من مصادر لم ينبه عليها، وإنما ذكر السّند في بعضها ،و أورد فيه ما أخذه من كتابيه " الفرج بعد الشدة " و " نشوار المحاضرة و أخبار المذاكرة " (٤).

• منهجه :-

يهدف القاضي التنوخي في كتابه هذا إلى عرض صور الكرماء والكرم،وقد قدم في كتابه أخباراً عن الأجواد في مختلف العهود والعصور التاريخية : العصر الجاهلي والعصر الإسلامي ، والعصر الأموي ، والعصر العباسي ، وقد طغت أخبار العصر العباسي على ما سواها .

١- التنوخي : الفرج بعد الشدة – ج ٢ – ص ٣٨٦- ص ٨٤

٢- التنوخي: المصدر السابق نفسه – ج ٣ – الحكاية ٣٢٦- والحكاية ٣٢٩

٣- التنوخي : المصدر السابق نفسه – الباب الرابع عشر – ج ٥ – (ص ٥- ص ١٠٠)

٤- التنوخي : المستجاد من فعلات الأجواد – المقدمة ، تعليق وتحقيق محمد كرد علي ، وهو جزء واحد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابتدأ التنوخي كتابه بمقدمة قصيرة ، أشار فيها إلى شخص ما ، طلب منه أن يجمع له " من أخبار الأجواد أجودها، ومن فعالات الكرام أسناها وأرشدها " (١) ٠

وقد احتوى الكتاب على مائة واثنين وخمسين خبراً ، ثم ذيّلها بنكت عجيبة من الأجوبة المصيبة ، وهي سبعة وستون جوابا ٠

واحتوى الكتاب على سبعة أخبار من العصر الجاهلي ، وأربعة وعشرين خبراً راشد يا ،وخمسة وأربعين خبراً أمويا ، واثنين وسبعين خبراً عباسيا (٢)٠

ومن الجدير بالقول إن القاضي التنوخي لم يقصد الكرم المادي فقط، بل أراد الكرم المعنوي أيضاً ، وهوأعلى من الكرم المادي ٠

يشوب الأخبار الجاهلية بعض الشك ، وربما دخل بعضها شئ من المبالغة للتأثير في النفوس ، والإدهاش بالغرائب ، وربما كان بعض هذه الحكايات موضوعاً لتزيين الكرم للناس ، وحث الأغنياء على العطاء (٣)٠

ويخبر التنوخي عن شعراء جعلوا الكلام وتأثيره في النفوس وسيلة للا ستجداء أو طريقاً للغنى والثروة ، وأثبت قصصاً تتناول موضوعات عديدة ، منها الاهتمام بالمرضى النفسيين ، أو من كانوا يدعون بالمجانين(٤)٠

واحتوى الكتاب على عدد كبير من المقطوعات الشعرية ، بعضها لشعراء مشهورين ، وبعضها مقطوعات شعرية لنساء وجوار شاعرات لم يذكر أسماءهن، وكنّ يحسنّ القراءة والكتابة أيضاً ،وكان القسم الأعظم من الشعر يناسب موضوع الكتاب وهو الجود والكرم ٠

١- التنوخي : المستجاد من فعلات الأجواد ـ ص٩

٢- سلوى عبد الفتاح درويش :المحسن بن علي التنوخي - ص ١٤١

٣- التنوخي : المستجاد من فعلات الأجواد ـ ص ٣

٤- التنوخي : المصدر السابق نفسه ـ ص ٢٣٠-٢٣١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يعد كتاب " المستجاد من فعلات الأجواد " في مجمله مجموعة من الطرائف الأدبية ذات اللغة الرفيعة الراقية .

اعتمد المؤلف على طريقة السند في بعض الأخبار، وفي بعضها الآخر يبدأ الخبر بقوله : روى ، أو قال ، أو قيل ، أو حكي (١).

أما الأجوبة التي ألحقها القاضي المحسّن التنوخي بهذه الأخبار، فهي تحتوي على قواعد آداب السلوك ، وحسن التصرف ،وعلى أمور تربوية وتهذيبية بالإضافة إلى الفائدة الأدبية (٢).

وهذه الأجوبة احتوى بعضها على نقدٍ أدبي (٣) ،وعلى نقدٍ اجتماعي(٤) وهي أجوبة ممثلة لمختلف أنواع الناس ، فهي تمثل الحاكم والمحكوم،وأكابر الناس وأصاغرهم، ورجالهم ونسائهم ، و جميع أحوال الناس في الشدة والرخاء ،والصحة والمرض .

أما عن تاريخ تأليف هذا الكتاب ، فمن الصعوبة الجزم به ،وكل ما يقال هو من باب الترجيح ، فالتنوخي ألف هذا الكتاب بعد (الفرج بعد الشدة) ،والدليل على ذلك ورود سنة ٣٧٣ هـ ، في إحدى حكايات المستجاد .

إن فكرة كتابة (المستجاد) بعد (الفرج) جاءت تبعاً للأحوال التي مر بها التنوخي ، فكتاب الفرج يمثل شعوره بالاطمئنان من انتقام عضد الدولة (بعد وفاته) أو غيره من أعدائه ، ولذلك أراد أن يجعله سلوة وعبرةً لمن تجافيه الحياة، ويقع أسير سطوتها ،ثم ليجعله متفائلاً بمستقبل أيامه، وإن مآله إلى فرج قريب .

١- التنوخي : المستجاد من فعلات الأجواد ـ ص ١٠-٢٤٢

٢- التنوخي: المصدر السابق نفسه ص ٣٤٤-٣٦٤

٣- التنوخي: المصدر السابق نفسه ـ ص ١٩-٢١، الخبر السادس عشر

٤- التنوخي : المصدر السابق نفسه ـ ص ١٢٠-١٢١، الخبر السابع والخمسون

٥- سلوم، عبد الفتاح درويش ـ المحسن بن علي التنوخي، ص ١٤٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولما عسرت أيامه واشتدت عليه الضائقة المالية ، ألف كتاب "المستجاد من فعلات الأجواد " ليثير به أريحية الرؤساء ، عسى أن يجودوا عليه بما يخفف عنه (١)، ومما يميز كتاب المستجاد عن الكتابين الآخرين هو فصاحة لغته وإذ لم يستخدم التنوخي فيه ألفاظا عامية كان أكثر من استعمالها في النشوار ، وبدرجة أقل في الفرج .

• كتاب نشوار (٢) المحاضرة وأخبار المذاكرة :-

يعد كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة أهم مصنف من مصنفات التنوخي ،وأكثرها شهرة وتمييزا .

بدأ القاضي التنوخي تأليف كتاب (النشوار) في سنة ٣٦٠هـ ، واستمر يكتب على مراحل ، وقد تفرغ للكتابة بعد سنة ٣٧٣ هـ ،وأتمه في عام ٣٨٠هـ (٣).

** ومن الأسباب التي دعته إلى تأليف كتابة هذا : (٤)

- خلو بغداد من الشيوخ الذين كان يعرف فيهم المذاكرة ، وحفظ الحكايات، فكان لا بد من تسجيل هذه الحكايات قبل اندثارها باندثارهم .
- فقدت الحكايات الكثير من مصداقيتها وأصولها ،فأراد التنوخي تسجيلها ليحافظ على أصولها .
- عرض التنوخي لأدب عصره ، وعلمه وفنه بأسلوب سهل ممتنع وليس بأسلوب صعب .

١- بدري محمد فهد : القاضي التنوخي وكتاب النشوار ـ ص ٢٤ وص ٢٥

٢- النشوار : كلمة فارسية اصلها نشوار ـ ومعناها جرة الحيوانات المجترة ـ وقد استعملها التنوخي بمعنى الحديث وذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان ٣٣٨/٢ وابن قطلوبغا في تاج التراجم في طبقات الحنفية /٧٥ ـ الكتاب باسم "نشوار المحاضرة " والبعض جعلوه " نشوان المحاضرة" ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب ـ ١١٢/٣

٣- الحموي : معجم الأدباء ـ ج٦ ـ ص ٢٥١

٤- بدري محمد فهد : القاضي التنوخي وكتاب النشوار ، ص ٤١ ـ ٤٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* أهمية الكتاب :-

اتصل التنوخي مع كثير من الناس ممن عرفوا أحاديث الملل ، وأخبار الممالك والدول ، ووقفوا على محاسن الأمم ومعاييهم ، وفضائلهم ،و سمعوا أخبار الملوك ، والخيلاء والمحادثين والبخلاء ، والسفهاء ،و الحكماء والفلاسفة والرجّاز والخطباء والشجعان والسعاة والوّراقين والمعلمين .... إلخ (١)

ولما كان المحسّن التنوخي يتمتع بحافظة قوية ، وذاكرة حية منذ الصغر ، كان له القدرة على تأليف مثل هذا الكتاب .

وهو كتاب يدور حول الإنسان من خلال موقعه في الحياة ، وقد بلغت أصناف البشر الذين ذكرهم ،التنوخي في المقدمة أكثر من مائتي صنف .

• مادة الكتاب :-

بيّن التنوخي في مقدمة كتابه أنه يودّ أن يكون كتابه مرآة لعصره وعصر من سبقوه ممن تعرض لذكرهم وأهم ما جاء في كتابه :-

- تصوير الحالة السياسية ـ فقد صوّر كتاب النشوار جوانب من الحياة السياسية التي كانت سائدة آنذاك ممثلة في الخلفاء والأمراء والوزراء .
- تصوير الحالة الاجتماعية، ومن ذلك تصويره لحياة الخاصة ،و الطبقة الوسطى مصورة بالعلماء وأصحاب الأراضي ، والتجار والفقهاء والأدباء وحياة العامة والخدم والجند والعيارين وغيرهم .
- تصوير الحالة الاقتصادية في العراق ، من خلال الحديث عن الصناعة والزراعة، وصور المزارع والضياع ،وطرق إصلاح الأراضي .
- وتحدث عن النشاط التجاري ، وما كان يحدث من مصادرات للتجار ،و ما يقومون به احتكار للسلع من أجل الزيادة في الأرباح .
- وتحدث عن النقود ودار ضربها ومن تولاها، وذكر بعض أنواع النقود المتداولة بين الناس كالدّرهم والدينار والدانق .

١- مقدمة نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، ص ٢- ٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

-تصوير الحالة الثقافية ومن ذلك أنه قدم تراجم مهمة لكثير من معاصريه المغمورين المشهورين من الكتاب والأدباء والشعراء واللغويين،وأورد أخباراً ثقافية عن شعراء وكتاب وقضاة وأطباء من غير عصره أيضا ٠

• **مصادر الكتاب** (١) :-

أ- الرواية الشفوية : جاءت معظم القصص من هذا الطريق، حيث أخذها مشافهة عن رواته وهم كثر، ومنهم من روى عنه خبراً واحداً، ومنهم من روى عنهم الأخبار الكثيرة ، وقد كان التنوخي يعرف بهؤلاء الرواة تعريفاً بسيطا ٠ ومن الذين كثر الأخذ عنهم والده القاضي أبو القاسم (٢)، والصولي (٣) وابن بهلول (٤)، وأبو الحسين الخزري (٥) ، وابن داسة (٦) وغيرهم ٠

ب- الكتب المؤلفة : وقد أخذ منها دون الإشارة إليها ،ومن ذلك أخباره عن وهب بن منبه (٧) ٠

ج- الخبرة الشخصية : تتمثل هذه الخبرة فيما سمعه بنفسه أثناء حضور المجالس ،حيث لم يكن الحديث موجهاً إليه مباشرة مثل حديث بعض الناس مع أبيه (٨) ٠

ومن ذلك ما شاهده بنفسه من خلال حضوره مجالس كبار رجال الدولة، ويصف ما وقع أمامه كحضوره مجالس الوزير المهلبّي ، ونتيجة لهذه المشاهدات عند حضوره المجالس، تكونت لديه خبرة واسعة ومعرفة بأخلاق من كان يحضر تلك المجالس ، ولذلك كان يترجم لبعضهم (٩) ٠

١- بدري محمد فهد : كتاب القاضي التنوخي - وكتاب النشوار - ص ٧٤-٨٣
٢- تقدم الحديث عنه في سيرة التنوخي
٣- نشوار المحاضرة : ج ١ - ص ٢٩٨
٤- المصدر السابق نفسه : ج ١- ص ٤٧
٥- المصدر السابق نفسه : ج ٨ - ص ١٢١
٦- المصدر السابق نفسه : ج ٣ - ص ٥٢
٧- التنوخي : المصدر السابق نفسه - ج ١ - ٢٠١ص
٨- التنوخي : المصدر السابق نفسه - ج ٤ - ص ٦٤، ص٧٥
٩-التنوخي : المصدر السابق نفسه - ج ٤ - ص ٨٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

• مذاكرته مع غيره ، وذلك خلال تسجيله ما دار بينه وبين معارفه من القضاة أو كتاب عصره، أو من قابل من الناس كالمتنبي (١).

ولذا يعد كتاب النشوار سجلاً حافلاً لأخبار أمم مختلفة في عصور مختلفة في جوانب حياتها .

** شعر التنوخي :-

وصف القدماء القاضي المحسن التنوخي بقولهم : (وكان أديبا شاعراً)(٢) قال الثعالبي : (أخبرنا أبو نصر سهل بن المزربان ، أنه رأى ديوان شعره ببغداد أكبر حجماً من ديوان شعر أبيه) (٣) إلا أن ديوان التنوخي لم يصل إلى أيدينا، وما لدينا من شعره ، لا يتجاوز المقطوعات المعدودة الأبيات ، وهي مقطوعات في الغزل ، والافتخار ، والتهاني والشكوى من الزمان والحث على الصبر وعلى الحكمة والتعزي من المصائب والمدح .

ومن خلال مطالعة أشعاره في مصنفاته ، يمكننا القول إن شعره يمثل حياته في طوريها ، طور الشدة والمحن التي لحقته ، وتمثله القطع الواردة في الفرج حيث تدور معانيها حول الصبر وعزة النفس والثبات أمام الشدائد والأمل بتغير الأحوال السيئة إلى أحسن منها، وطور الرفاه والعيش الرغيد ، وتمثله القطع الأخرى وفيها نرى التنوخي يطرق فنون الشعر المعروفة.

• ومن نماذج التنوخي الشعرية :-

• في الغزل :-

(لم أنس شمس الضحى تطالعني ... ونحن في روضة على فرق
ثم تغطت بكمّها خجلاً ... كالشمس غابت في حمرة الشفق)(٤)

• وله في الغزل :-

(قل للمليحة في الخمار المذهب ... أفسدت نسك أخي التقى المترهب
نور الخمار ونور وجهك تحته ... عجباً لوجهك كيف لم يتلهب
فإذا بدت عين لتسرق نظرة ... قال الشعاع لها اذهبي لا تذهبي)(٥)

١- التنوخي : نشوار المحاضرة ج ٤ ، ص ٢٤٥
٢- البغدادي: تاريخ بغداد ـ ج ١٣ ـ ص ١٥٥
٣- ابن قطلوبغا : تاج التراجم في طبقات الحنفية ـ ص ٧٥
٤- التنوخي : نشوار المحاضرة ـ ج ٧ ـ ص ١٢٠
٥- الثعالبي : يتيمة الدهر ، ج ٢ ـ ٤٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

• ومن شعره في الوصف :-

يصف التنوخي المشتري والمريخ :-

(كأنما المرّيخ والمشتري ... قدامه في شامخ الرّقعة
منصرفٌ بالليل في ظلمه ... قد أسرجوا قدّامه شمعة) (٢)

• وله شعر في الاستسقاء ، والافتخار، ومدح الخلفاء ، والوصف ، مع ما تقدم من شعره في المحن التي تعرض لها :-

(هون على قلبك الهموم فكم ... قاسيت هما أدى إلى فرج
ما الشرّ من حيث تتقيه ولا ... كل مخوف مفض إلى ترح)(٣)

• وله أيضا :-

(لئن عداني الدهرُ يا أملي ... وسلّ جسمي بالإسقام والعلل
وشتّ شمل تصافينا والفتا ... فالدّهر ذو غير والدهرُ ذو دول
فالحمد لله حمد الصابرين على ... ما ساء من حادثٍ يوهي قوى الأمل)(٤)

إن أبيات الغزل عند التنوخي لم تتجاوز التشبيهات التقليدية ، فالمرأة كالشمس وخدودها كحمرة الشفق ، وغير ذلك ، وهو يستخدم المحسنات البديعية كالسجع والجناس والطباق .

١- الثعالبي : يتيمة الدهر ج ٢ ص ٤٠٦
٢- التنوخي : نشوار المحاضرة- ج ٦ ـ ص ٢٢٥
٣- التنوخي : الفرج بعد الشدة ـ ج ٥ ـ ص ٣٧
٤- التنوخي : المصدر السابق نفسه ـ ج ٥- ص ٤٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما شعره في الافتخار ، فأبياته تقليدية في التشبيه ، وشعره في المحن التي تعرض لها ، لا يرقى إلى الشعر البليغ القويّ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

صورة الحياة السياسية في القرن الرابع الهجري في مصنفات التنوخي

١-عهـــــد نفوذ الأتراك

أ - الخلافة والخلـــــفاء
ب - الوزارة والـــــوزراء

٢- عهـــــد البويهيّين

أ - الخلافـــــة والخلفـــاء
ب - أمراء بنـــي بويـــــه
ج - الـــــوزارة والـــوزراء
د - الدويـــــلات المستقـــلة
هـ - الـــدّواويـــــــن

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تستطيع مؤلفات القاضي المحسّن التنوخي ، إلقاء الضوء على الحياة السياسية في القرن الرابع الهجري ، وذلك لاتصال التنوخي بعدد من رجال الدولة ، وسماعه كثيرا من أخبارهم .

وقبل الخوض في الحديث عن الحالة السياسيّة في القرن الرابع الهجّري من خلال مصنفات التنوخّي ، لا بد من التعرض تعرضا موجزا لأهم ملامح الحياة السياسيّة في أواخر القرن الثالث الهجرّي .

ازداد نفوذ الأتراك منذ مستهلّ القرن الثالث الهجرّي ، وصاروا مصدر قلق واضطراب وزاد تحكّمهم في الخلفاء ، وتدخّلهم في توليتهم وعزلهم (١).

ولما توفي الموفق (٢) في أوائل سنة ٢٧٨هـ ،اجتمع كبار القوّاد،و بايعوا ابنه أبا العباس بولاية العهد بعد المقوض إلى الله ابن المعتمد ولقبوه المعتضد بالله (٣) ، وسار على سياسة أبيه ، وهابه الناس ، وهدأت الفتن في أيامه وقد كان المعتضد يسعى إلى توطيد نفوذ الخلافة ورفع شأنها،و إضعاف سلطة الأتراك قدر ما يستطيع .

١- محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق من عهد نفوذ الأتراك إلى منتصف القرن الخامس الهجري ، ص٢٩، دار الفكر العربي .

٢- الموفق :أبو أحمد طلحة بن المتوكل ـ كان الغالب على أمر المعتمد أخيه، وكانا كالشريكين في الخلافة ـ وكان للموفق الأمر والنهي ، وللمعتمد التسمي بإمرة المؤمنين ، ولد سنة ٢٢٩هـ وتوفي سنة ٢٧٨هـ (المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي ،ج ٥ ـ ص ١٢١).

٣- المعتضد :أبو العباس أحمد بن الموفق طلحة بن المتوكل ولد سنة ٢٤٢هـ ـ وكان قوي السياسة ،شديدا على أهل الفساد ، حاسما لمواد عساكره عن أذى الرعية ، توفي سنة ٢٨٩هـ ،ومدة خلافته سبع سنين وتسعة أشهر ـ وثلاثة عشر يوما (فوات الوفيات ،ج ٢ ، ص ٣٨ـ ص ٨٥).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ضم القرن الرابع الهجري عهدين سياسيين متباينين هما: (١)
- عهد نفوذ الأتراك أو ما قبل البويهيين ، ويمتد من (٢٩٥هـ ٣٣٤هـ)
- عهد البويهيين الذي يكاد يكون متميزاً عن العصر الذي قبله.

** **عهد نفوذ الأتراك :-**

أ ـ الخلافة والخلفاء :-

تولى الخلافة العباسية فيما بين (٢٩٥هـ ـ ٣٣٤هـ) خمسة خلفاء :-

• في عهد المقتدر (٢) :-

وكان أهم خلفاءعهد نفوذ الأتراك المقتدر (٢) ، وأطولهم مدة ، فلقد جئ به إلى الخلافة صبياً غرًا ، لم يتجاوز الثالثة عشرة بتدبير من الوزير العباسّي ابن الفرات ، وكان العراق خلال ذلك يمر بأحلك عهد سياسي عرفه منذ انتقال عاصمة الخلافة إليه .

واشتغل المقتدر باللعب واللهو ، وترك أمور الدولة لغيره من رجال الحاشية وقواد الأتراك ،وقد كان الخليفة المعتضد يتنبأ بأن ضياع الدولة يجري على يد ولده " المقتدر "،و كان عمره خمس سنين أو نحوها ، فقد دخل والده عليه ، وهو جالس وحوله مقدار عشر وصائف من أقرانه في السن ، وبين يديه طبق فضّة ، فيه عنقود عنب ، في وقت كان فيه العنب عزيزا جداً ، والصبي يأكل عنبة واحدة ، ثم يطعم الجماعة عنبة عنبة ، على الدور حتى إذا بلغ الدور إليه أكل واحدة ، منلما أكلوا حتى فني العنقود، والمعتضد يتمزق غيظا . وقال المعتضد : والله لولا النار والعار ، لقتلت هذا الصبي اليوم ، فإن في قتله صلاحاً للأمة (٣) .

١- عبد اللطيف عبد الرحمن الراوي :المجتمع العراقي في شعر القرن الرابع الهجري ، ص ١٣، مكتبة النهضة ، بغداد

٢- المقتدر : هو أبو الفضل جعفر بن أبي العباس المعتضد ـ (٢٨٢هـ ـ ٣٢٠هـ)
وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، ج ٣ ، ص ٢٣٣ص ٢٦٤، دار الكتب العلمية ـ بيروت .

٣- القاضي التنوخي :نشوار المحاضرة : ج ١ ، ص ٢٨٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لقد كان المعتضد مبصرا ، ورجلاً ساس الأمور ، ويدرك أن الناس بعد موته لن يختاروا إلا ولده ،وسيجلسون المكتفي أبا محمد عليّ ، ولن يطول حكمه لعلّة به (١).

ويذكر والد القاضي المحسّن التنوخّي أن المقتدر" كان جيد العقل، صحيح الرأي ، لكنه كان مؤثرا للشهوات ، وما يفسده غير متابعة الشرب،ولا يخبّله سواها (٢) ، مما يدلل على أن بطانة المقتدر كان هدفها إبعاده عن أمور السياسة، وإغراقه في الشهوات .

• **نفوذ الحريم :-**

وفي عهد المقتدر ، ازداد نفوذ النساء ،فقد تحكم في البلاد الجواري والغلمان ، وتجرأ الكثير من الطامعين ، وتقدموا لنيل المناصب الرفيعة في الدولة ، وقد كانت السيدة (شغب) والدة المقتدر ، والسيدة (خاطف) خالته، و(أم موسى) (٣) الهاشمية القهرمانة (٤)،من المسيطرات على أمور الدولة في عهد المقتدر .

وقد أطلق لقب " السادة على والدة المقتدر" السيدة شغب" وخالته "خاطف" و" دستورية " أم والد المعتضد ، لأنهن كن يدبرن الأمور ، لحداثة سن المقتدر (٥) .

و يبّين التنوخي أنهن كن يتدخلن في تعيين الوزراء وعزلهم ، وفي القضاء ، وفي شؤون الإدارة ، وكانت المناصب تتغير بفعل السياسة المبنية على الغش والرشوة ، وكان يطلق على أم المقتدر لقب (السيدة) ، لما لها من سلطات بالغة في الحكم .

---

١ ـ أبو محمد علي بن المعتضد :كان من أفاضل الخلفاء ـ وفي أيامه ظهر القرامطة ـ وهو الذي بنى قصر التاج المشهور على دجلة بغداد ،ولقب بالمكتفي وبويع بالخلافة ـ بعد وفاة أبيه المعتضد سنة ٢٨٩هـ ، وتوفي سنة ٢٩٥هـ (فوات الوفيات ، ج ٢ ، ص٨٦ـ ص٨٧).

٢ ـ القاضي التنوخي ، نشوار المحاضرة ، ج ١ ، ص ٢٨٢

٣ـأم موسى القهرمانة : كانت إحدى نسوة ثلاث، مسيطرات على أمور الدولة زمن المقتدر ، وأثرت ثراء فاحشا ـ وفي سنة ٣١٠هـ ،سخط عليها المقتدر ، واستخرج منها ألف ألف دينار ، لاتهامها بأنها سعت في إزاحة المقتدر عن الخلافة وتخلص من سطوتها (تجارب الأمم ٨٣/١).

٤ـ القهرمانة : وجمعها قهارمة، و هي مدبرة البيت ،أو أمين الدخل والخراج، وهي كلمة يونانية واصل عمل القهرمانة في بلاد الخليفة أن تؤدي الرسائل عن الخلفية ـ ولكن ضعف الدولة أدى إلى سيطرة القهرمانة على أمور الحكم (لنظر منظور ، لسان العرب ـ مادة قهرم ،مكتب تحقيق التراث ،المجلد ١١).

٥ـ التنوخي : الفرج بعد الشدة ،ج ٢ ، ص ٤٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* الخلع الأول للمقتدر:-

ومن الشدائد التي جرت على المقتدر بالله ، لما أجمع جميع القواد على خلعه من الخلافة ، ومبايعة ابن المعتز ، وقد أحضروه من داره ، وجلس يأخذ البيعة على القضاة والأشراف والكافة ، ويدبّر الأمور ووزيره محمد ابن داود بن الجرّاح ، يكاتب أهل الأطراف والعمال ، بخبر تقلدهما ، وقد تلقب بالمنتصر بالله، كما يروي التنوخي (١).

وكان ابن المعتزّ قد وعد حاجب المقتدر " سوسن " أن يقلده الشرطة إضافة إلى الحجابة ، فلما حجب ابن المعتز غيره ، استوحش " سوسن،و عاد إلى نصرة المقتدر ، ثم ظهر أمره للمقتدر، فقبض عليه وقتله (٢). وأصبح ابن المعتز ، في اليوم الثاني من بيعته ، وهو يوم الأحد لسبع بقين من شهر ربيع الأول سنة ست وتسعين ومائتين ، عامداً على المسير إلى دار الخلافة ، وإذ بالعامة مع المقتدر ، وحاربوا (ابن المعتز) ،ولما شاهد ابن المعتز الصورة انهزم وهرب ، وتفرّق القواد ، وطلب (ابن المعتز) وسلّم وقتل (٣) كما يذكر التنوخي في كتاب الفرج بعد الشدة . وقد كان هذا هو الخلع الأول للمقتدر ، لمدة يومين ، ثم أعيد للحكم ثانية .

* الخلع الثاني للمقتدر :-

حين اشتدت سطوة الجواري والغلمان ، وصلت الدولة حضيض الاختلال ، ودفع هذا الهوان إلى خلع المقتدر ، الخلع الثاني في عام ٣١٧هـ (٤) . وتمت مبايعة أخيه القاهر ، كما يبّينه التنوخي (٥). والسبب الرئيس في خلع المقتدر عن الخلافة ،أن الجيش كلّه ، من فرسان ورجالة شغبوا يطلبون الزيادات ، و ملوا أيام المقتدر . وفي هذا الشأن يقول الخليفة المقتدر لأحد القضاة : "... وقد ترى كلب غلماني هؤلاء عليّ ،و مطالبتهم إيّاي بالأموال ، ولو قد فقدوني لتمنّوا أيامي ..."(٦).

١-الفرج بعد الشدة ،ج ٣ ،ص١٩٥

٢-التنوخي : المصدر السابق نفسه ،ج٣،ص١٩٥

٣- التنوخي : المصدر السابق نفسه، ج ٣ ،ص ٢٠٠

٤-التنوخي :المصدر السابق نفسه ،ج ٣ ، ص ١٩٣

٥-القاهر : هو محمد بن المعتضد كنيته أبو منصور ، ولد في ٢٨٧هـ ، وتوفي في ٣٣٩هـ (النجوم الزاهرة ، ص ٢٧٩ وص٣٤٧)

٦-التنوخي : نشوار المحاضرة ،ج ١ ، ص ٢٨٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و أطبق الجيش بأسره على خلع المقتدر ، وزحفوا إلى داره ، بمواطأة من (مؤنس المظفر) (١) ، وقبضوا عليه وحملوه إلى دار مؤنس ، في يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت من المحرّم سنة سبع عشرة وثلاثمائة ، فحبس فيها ، وخلع نفسه ، و أشهد عليه بالخلع (٢) ، " وكان رأس الفتنة ،و القائم بها عبد الله بن حمدان ، أبو الهيجاء (٣) ، ونازوك المعتضدي (٤) بمساعدة مؤنس ، وإطباق من الجيش كلهم ، وجاءوا بأبي منصور بن المعتضد بالله ،وأجلسوه في دار الخلافة ، وسلمّوا عليه بها ،و لقبّوه القاهر بالله " كما يروي التنوخي (٥) .

استوحش المقتدر من القائد (مؤنس الخادم) ، الذي كان يعترض على تصرّفات الخليفة وأفراد البيت العباسي ، والحاشية في البلاط، وكان الخليفة يعده إلا صلاح دون التنفيذ ، فاتفق مؤنس مع القواد وخلعوا المقتدر .

ولما كان في يوم الاثنين لسبع عشرة ليلة خلت من المحرم سنة سبع عشرة وثلاثمائة ، بكّر الناس إلى دار الخلافة للبيعة، وجاءت جماعة من الرّجالة ، يطالبون بمال البيعة والزيادة ، وأخذوا يطالبون بأرزاق السنة وبزيادة دينار كما يذكر التنوخي (٦).

ولما رفض نازوك إعطاءهم ما طلبوه ، ثاروا عليه ثورة غضب ، فوثب رجل من هؤلاء الناس ، وقتله ، وقتلوا عجيباً ، وقالوا لا نريد إلا خليفتنا جعفر المقتدر ، وقتل الخدم أبا الهيجاء ، واختبأ القاهر في بعض الحجر ، عند بعض الخدم .(٧)

١- مؤنس الخادم المظفر:(٢٣١، ٣٢١هـ) ، من أكابر القواد الأتراك في دولة العباسيين ، شجاعا من الدهاة دامت إمارته ستين عام ، ولي دمشق للمقتدر ، وهو الذي قتل الخليفة ابن المعتز بعد خلافته قصيرة الأمد في سنة ٢٩٦هـ ، (النجوم الزاهرة – ج ٣ – ص ٢٧٠-٢٧١) .

٢- التنوخي : الفرج بعد الشدة ،ج ٣ ، ص ١٩٥

٣- أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان حمدون التغلبي والد الأمير سيف الدولة الحمداني – ولي الموصل سنة ٢٩٣هـ ، وعزله المقتدر في ٣٠١هـ ، وكان شجاعا جوادا ، وكان مع القاهر (الكامل – ج ٨ ، ص ٢٠٤)

٤- نازوك المعتضدي : من كبار القواد الأتراك في دولة المقتدر ،– ولي الشركة في سنة ٣١٠هـ ، وشارك في خلع المقتدر ،وخلص البلد من العيارين ،(النجوم الزاهرة ، ج ٣ ، ص ٢٢٩-ص ٢٣٠)

٥- التنوخي : الفرج بعد الشدة ، ج ٣ ، ص ١٩٥

٦- المصدر السابق نفسه ، ج 3، ص ١٩٥

٧-التنوخي : المصدر السابق نفسه ، ج ٣ ، ص ١٩٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقام بعض أفراد الجند بمهاجمة دار مؤنس حيث كان المقتدر معتقلا وأخرجوه ، وأعادوه إلى الخلافة .

ولما عاد المقتدر إلى الخلافة لم تهدأ الأمور ، ولم تستقر الخلافة ، فسرعان ما تمرّد مؤنس الخادم على خليفته ، وحاول المقتدر أن يتمرّد على ضعفه ، وخرج لقتال مؤنس لابساً البردة ، ولكن مؤنسا المظفر قطع رأسه ، وسلبت ثيابه ، وكان هذا في سنة ٣٢٠هـ في يوم الأربعاء ٢٧ شوّال(١) .

* **وقعة الهَبير :-** (٢)

ومن المحن التي واجهت المقتدر ، فتنة من فتن القرامطة وعبثهم ، ففي عام ٣١٢هـ ،وقعت وقعة الهبير ، وكان يوم أحد لاثنتي عشرة ليلة بقيت من المحرم ، واستبيحت فيها قافلة حجاج بعد أن أكملوا حجهم في ذي الحجة سنة إحدى عشرة وثلاثمائة ، حيث قطع فيها القرمطي الطريق على الحجّاج ، واستباح أموالهم ودماءهم ، وكان رئيس القرامطة أبو طاهر الجنابّي ، وخرج إلى الهبير في ثمانمائة فارس وثمانمائة راجل ، وقاتل الحجّاج وقتلهم وأخذ جمالهم ، وسبى من اختار من النساء والصبيان ، وسار بهم إلى هجر ، وترك باقي الحجاج في مواطنهم بلا جمال ولا زاد، فمات أكثرهم بالعطش والحفاء ، وحصل لأبي طاهر ما حرز من الأموال ألف ألف دينار، ومن الأمتعة والطيب نحو ألف ألف دينار أيضا ، فانقلبت بغداد ،وخرجت النساء منشورات الشعور،و مسودات الوجوه ، يلطمن ويصرخن (٣) .

ويروي التنوخي حادثة على لسان حاج في سنة الهبير يقول:" ... فقطع علينا القرمطي ، وأخذنا السيف ،وتفرق الناس ، وحيل بينهم ،و بين أمتعتهم ورحالاتهم ، ومشيت أنا ، وأفلت فيمن أفلت ، وجئت إلى الكوفة ، وما أملك درهماً واحداً " (٤)،وهنا تصوير لمدى سوء الحالة التي وصل إليها الناس نتيجة لهذه الحادثة من فقر وضعف .

١- التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ١ ، ص ٢٦١
٢- التنوخي :المصدر السابق نفسه ، ج ٢ ، ص ٢١٨
٣- ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم، ج ٦ ، ص ١٨٨
٤- التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ١ ، ص ١٩٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي خلافة المقتدر تفاقم أمر القرامطة ، وقويت شوكتهم ، فاحتلوا الكوفة، وهددوا بغداد غير مرة ، وتصاغرت أمام بأسهم وعزيمتهم عاصمة الخلافة ، وسقطت هيبتها .

وفي عام ٣١٤هـ ، قلد المقتدر الأمير يوسف بن أبي الساج (١) نواحي المشرق ، وأمره بالقدوم إلى بغداد من أذربيجان ، والمسير إلى واسط ، ليسير إلى محاربة أبي طاهر الجنابي القرمطي ، وحاربه فقتله القرمطي سنة ٣١٥هـ .

• في عهد القاهر بالله :-

تولى القاهر بالله الخلافة سنة ٣٢٠هـ . وكان مولعاً بالشراب والغناء،و كان سفاكا للدّماء ، شديد البطش بمن يغضب عليه من الأتراك ، وقتل منهم نفراً في مقدمتهم مؤنس الخادم أكبر حجاب عصره ، بعد قتله للمقتدر بساعات وهابه الناس (٢).

ولم تكن صفات القاهر تؤهله لإقامة الدولة من عثرتها ، فقد كان فقيراً جداً ، شديد الحب للمال ، شديد الحقد ، والغدر والقسوة ، ومن الذين قسا عليهم وتفنّن في تعذيبهم زوجة أبيه السيدة " شغب " أم المقتدر، وقد تنعّمت أم المقتدر بما لم يتنعّم به أحد ، ولما قتل المقتدر ، قبض عليها القاهر ، فعذبها صنوف العذاب (٣). ولقد أجبرها الخليفة على بيع أملاكها وصار بعضها الآخر (٤).

ولم يستطع الخليفة قمع مؤامرات فرق الجيش بالرغم من أنه فتك بمؤنس وبعض القواد الآخرين ، وكانت تلك الفرق قد طوّقت القصر في السادس عشر من جمادى الأولى لعام ٣٢٢هـ ، فقبضت على الخليفة وهو ثمل وألقته في السجن ، وقد رفض التنازل لابن أخيه أبي العباس ، فأجبر على ذلك، وسُملت عيناه حتى سالت على خدّيه ، وهو أول خليفة يسُمل في الإسلام ، وكان يحتاج لمن يعوله(٥).

١- الأمير يوسف بن أبي الساج:هو من كبار الدولة العباسية_ومن قوادها المشهورين ، وكان ممدوح السيرة مشهورا بالدين والاستقامة والكرم (نشوار المحاضرة ، ج ١ ، ص ٣٢٢)
٢- التنوخي : الفرج بعد الشدة ، ج ١ ، ص ٢٣٥
٣- التنوخي : المصدر السابق نفسه ، ج ٢ ، ص ٧٦
٤- التنوخي : المصدر السابق نفسه، ج ٢ ، ص ٧٧
٥- أدم متز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ج ٢، ص ١٢٩
التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ٧ ، ص ١٦٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

• في عهد الرّاضـــــــي (١):-

بعد خلـع القاهر بويـع الراضـي ، ولـم يكـن أحسـن حـالا مـن أبيـه المقتدر في أمور الدولة و الإدارة ، فقد جئ به من السـجن إلـى الخلافـة،و ربما كانت أخلاقه الشخصيّة عالية ، من ثقافة وشعر وحب للبذل والبنـاء،و لكنه لم يستطع أن يرفـع شيئاً مـن هيبـة الخلافـة، ولا استطاع أن يقـوم بعمل .

و للراضي فضائل كثيرة كما يصوّرهـا المحسن التنوخـي فقد ختـم الخلفاء ، في أمور عدّة منها :-

- "آخر خليفة انفرد بتدبير الجيوش والأموال .
- آخر خليفة خطب على المنبر في يوم الجمعة .
- آخر خليفة جالس الجلساء ، ووصل إليه النّدماء .
- آخـر خليفـة كـانت نفقتـه وجوائـزه و عطايـاه علـى خدمتـه و جرايـاتـه وخزانته ومطابخه وشرابه ومجالسـه و خدمـه وحجابـه وأمـوره جاريـة على ترتيب الخلافة الأولى .
- آخر خليفة سافر بزّي الخلفاء "(٢) .

• و من أهم أحداث عهد الراضي مما رواه التنوخي :-

- ما أحدثه في نظـام الحكـم مـن ابتكـار منصـب (أمـير الأمـراء) لإنقـاذ الدولـة، ولكنـه زاد فـي تقييـد أمورهـا بسـبب منافسـة القـواد علـى حيازته ، فقد استعان الراضي بـأحد قـادة الجنـود المرتزقـة وهـو ابـن رائق (٣) ، وقد جـاء إلـى بغداد عـام ٣٢٤هـ ،وأمسـك الأمـور بيـد قوية، فلقبه الراضي بأمير الأمراء .
- تقلص سلطة الخليفة حتى لم يعـد عملـه يشـمل سـوى قصـره ،ففـي عـام ٣٢٦هـ تغلّب بجكم (٤) التركّي على ابن رائق ،ولم يكن للراضي يـد فـي تقليـد إمـرة الأمـراء لبجكـم ،وتسلّط بجكـم علـى النـاس دون أن يكـون للراضي أدنى مشورة .

١-الراضي : هو أبو العباس ،محمد بن جعفر بن المقتدر (٢٩٧هـ- ٣٢٧هـ) ولي الخلافة في زمن مضطرب ،تفككت فيه عرى الدولة ،(فوات الوفيات- ج ٢ ،ص ٣٧٥-ص ٣٧٧)

٢- التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ١ ، ص ٣٠٠

٣-ابن رائق: هوالأمير أبو بكر محمد بن رائق ،من الشجعان الدهاة-له شـعر وأدب ،ولـي الشرطة ببغداد ،في زمن المقتدر ، ثم إمارة واسط ، البصرة ، ثم نصبه الراضي أميرا للأمراء ، وقتله ناصر الدولة غدرا في عام ٣٣٠هـ (النجوم الزاهرة ، ج ٣ ، ص ٣١٦).

٤- بجكم : بفتح الباء والكاف ، استولى على الدولة العباسية في أيام الراضي - وكان عاقلا يفهم العربية، ولا يتكلم بها واستوطن واسط ، وبنى دار ضيافة للفقراء- وبدا بعمل مارستان ببغداد ، وقتل في سنة ٣٢٩هـ ، وكانت مـدة إمارتـه سنتين وثمانية اشهر وكان يلقب بالماكاني لأنه كان ينتسب إلى ما كان أحد قواد الديلم- (النجوم الزاهرة ، ج ٣ ، ص ٣١٤).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- بطلان الوزارة حتى لم يعد للوزير سوى (السواد) واللقب ، وأما الدواوين والعمل فللأمير الأمراء (١) ، وسنفصل ذلك عن الحديث عن الوزارة والوزراء .

• في عهد المتّقي لله (٢):-

كان الخليفة المتقي لله ناسكا تقياً ،ولم يشرب النبيذ قطّ ، و لم يتخذ الجلساء والندماء، وقد أفلت زمام الدولة من يده لاشتداد المنافسة بين الوزراء والأمراء، وخاصة آل البريديّ (٣) وأقر المتقي أثناء توليته الخلافة "بَجْكَمَ"أميرا للأمراء ، لكنه لم يطل في هذا المنصب ، وقتل على يد بعض الأكراد ، ثم عاد محمد بن رائق إلى بغداد ، وقلّده الخليفة إمرة الأمراء ، غيرأن أبا عبد الله البريديّ الذي كان ينافسه سيرأخاه أبا الحسين في جيش من الأتراك والدّيلم ، وأحلّ الهزيمة بجيش ابن رائق، واستولى على بغداد ، ونهب البريديّون دار الخلافة ، كما ورد في النشوار (٤) ،و هرب الخليفة المتقي ، ولحقه ابن رائق بجيشه ، ودخل ا لموصل ، وطلب الخليفة من الحسن بن عبد الله بن حمدان (٥)أن يعينه على البريديّين، فاستجاب لطلبه وقتل ابن رائق عل يد أبناء حمدان (٦) .

أرسل الحسن بن حمدان إلى الخليفة المتقي يبّرر فعلته ، بما وصله عن تآمر ابن رائق عليه ، فردّ عليه الخليفة رداً جميلاً ، واستدعاه لمقابلته،و لقبه بناصر الدولة ، وجعله أمير الأمراء في عام ٣٣٠هـ ولقب أخاه الحسين بسيف الدولة (٧) .

١- التنوخي :الفرج بعد الشدة ،ج ٣ ، الحكاية ٢٥٩
التنوخي :نشوار المحاضرة ،ج ١ ،الحكاية ٤

٢- المتقي لله : أبو إسحاق إبراهيم بن المقتدر (٢٩٧-٣٥٧هـ) ، دامت خلافته أربع سنوات (٣٢٩-٣٣٣هـ) وكانت السيطرة للقواد ،ولم يكن له من ا لأمر شئ ، وخلعه توزون التركي وسمله (فوات الوفيات ج ١ – ص ٧)

٣- آل البريدي : إخوة ثلاثة، أثاروا الفتن في العراق وكانوا على العراق اشد من ألد أعدائه . وعاثوا في العراق فسادا وقد كانوا في أول أمرهم من صغار الكتاب– وكان كبيرهم أبو عبد الله احمد بن محمد البريدي ،يضمن الضياع الخاصة – ولما وليّ ابن مقلة الوزارة – رشا البريدي الكبير بعشرين ألف دينار فولاه الأهواز وولىّ أخويه أبا يوسف و أبا الحسين مناصب جليلة (نشوار المحاضرة) ج ١ ، الحكاية ٤ ، ونشوار المحاضرة ج ٧ ،الحكاية ١٢٢

٤- التنوخي : نشوار المحاضرة ،ج ٦ ص ١١،الحكاية ٤

٥- أبو محمد الحسن بن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان التغلبي الحمداني – من ملوك الدولة الحمدانية ،كان صاحب الموصل و ما يليها لقبه المتقي العباسي بناصر الدولة ونصبه أمير الامراء ، ولما توفي أخوه سيف الدولة تغيرت أحواله وساءت أخلاقه وتوفي سنة ٣٥٨هـ (النجوم الزاهرة ج ٤– ص ٢٧)

٦- قتله الحسن بن أبي الهيجاء بن حمدان التغلبي ، طمعا في منصب إمرة الأمراء (انظر محمد جمال الدين سرور تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق – ص ٤٤

٧- سيف الدولة الحمداني: أبو الحسين علي بن أبي الهيجاء– عبد الله بن حمدان بن حمدون التغلبي – صاحب حلب ممدوح المتنبي كان جوادا وكريما وشجاعا وولد سنة ٣٠٣هـ ، وتوفي سنة ٣٥٦هـ (النجوم الزاهرة ج٤ ،ص ٢١٧)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعاد الخليفة المتقي إلى بغداد ، بعد قضاء ما يقارب أربعة أشهر في مدينة الموصل ، وعاد بصحبته أمير الأمراء " ناصر الدولة " وأخوه "سيف الدولة " وقلد توزون شرطة جانبي بغداد في سنة ٣٣٠هـ (١)، وحين رجع الحمدانيّ إلى الموصل ، قام الناس وشكوا ظلم آل البريديّ،و استغاثوا بناصر الدولة ، وقام بطرد أبي عبد الله محمد بن أحمد البريديّ كما أورده التنوخي (٢)٠

وحين رجع الحمدانيّ إلى الموصل ثار الدّيلم ونهبوا داره ، وانتصر توزون على الرغم من مساعدات الخليفة المتقي لناصر الدولة (٣) ٠

ويصف المحسّن التنوخي سوء حالة الناس التي كانوا يعانون منها آنذاك فيقول : " ٠٠٠ ولمّا دخل الديلم من الجانب الغربي (٤) ، إلى الجانب الشرقي (٥) ، وخاف الناس السيف ، هربوا على وجوههم، وكانت العذراء والمخبأة المترفة من ذوات النعم ، والصبية والأطفال، والعجائز،و سائر الناس ، يخرجون على وجوههم، ويتعادون يريدون الصحراء ، وكان ذلك اليوم حاراً فلا يطيقون المشي (٦)٠

وحين استولى توزون والأتراك على بغداد ، خلع المتقي مضطراً على " توزون " ،ومنحه لقب أمير الأمراء ، ثم غدر به " توزون "، وسمله وعزله كما يخبرنا القاضي التنوخي (٧)، عاد تأثير القهرمانة على القوّاد فقد كانت (عَلَمْ)(٨)تغري أمير الأمراء " توزون " لخلع المتقي وسمله (٩) ٠

١- ابن مسكويه: تجارب الأمم ،ج ٢، ص ٢٩
٢- التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ٣ ، ص ٢٠
٣- انظر المصدر السابق نفسه، ج١، ص ١٧٥
٤- الجانب الغربي من بغداد : كان يشتمل على مدينة المنصور والكرخ والحريم والطاهري والمحلات الأخرى المحيطة بها
٥- الجانب الشرقي من بغداد : وكان يشتمل على الرصافة ودار المملكة ودار الخلافة وما يتبعها من محلات
٦- القاضي التنوخي: نشوار المحاضرة – ج ٤ ، ص ٢٢٠
٧- القاضي التنوخي : الفرج بعد الشدة ، ج ٤، ص ١٣٧
٨- علم : قهرمانة المستكفي بالله وكان اسمها حسن الشيرازية
٩- التنوخي : الفرج بعد الشدة ، ج ٤، ص ٣٧١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اجتمعت في أيام المتقي لله إسحاقات كثيرة ،فقد انسحقت خلافة بني العباس في أيامه ، وانهدمت قبة المنصور الخضراء(١) التي كان بها فخرهم، أما الإسحاقات فهي ما كان يكتي بأبي إسحاق ٠ ويذكر التنوخي أن وزير المتقي القراريطيّ (٢) ، كان يكنى بأبي إسحاق ، وكان قاضي المتقي ابن إسحاق الخرقي (٣) وكان محتسبة أبو إسحاق ابن بطحاء ،وكان صاحب شرطته أبو إسحاق بن احمد (٤) ٠

وكما نلاحظ ، فالقاضي الذي يحكم بين الناس ، والمحتسب الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ،وصاحب الشرطة ،هؤلاء كلهم شخصيات لها تأثير في نظام الحكم ٠

٥ في عهد المستكفي بالله (٥) :-

قام (توزون) بإحضار المكتفي ولقبه المستكفي بالله ، وبايعه الناس على طبقاتهم ،ولم يكن لهذا الخليفة أي سلطة ، وقد بلغ الهوان إلى أن لقب (المستكفي) بالمستعطي ، وصارت دار الخلافة طريقاً لكل من يردها،و كل من وصل إلى المستكفي أجلسه بين يديه (٦) ٠

وإذا كان الموت قد خلص المستكفي من " توزون "، فإنه قد خلفه "ابن شيرزاد (٧)" ،فما لبث الخليفة أن بعث يستنجد منه بالبويهيين،

١- قبة قصر المنصور: هي تاج بغداد وعلمها و انهدامها إيذانا بأفول نجم الدولة العباسية (تاريخ بغداد ٧٣/١)

٢- القراريطي : هو أبو إسحاق محمد بن احمد عبد المؤمن الإسكافي- وزيد من الكتاب كان كاتب محمد بن رائق واستوزره المتقي تسعة وثلاثين سنة ،ثم عزل وصور على مائتي ألف دينار ،ووزر بعد ذلك أربعين يوما ووزر في الثالثة ثمانية اشهر ونصف شهر ، ثم اعتقل وأطلق - فاستكتبه سيف الدولة ، ثم قبض عليه في سنة ٣٣٥ هـ - وعاد الى بغداد وكان ظالما- ولد سنة ٢٨١ هـ ،وتوفي سنة ٣٥٧هـ .
(التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج١، ص ١٣٨)
(ابن الأثير :حوادث سنة ٣٢٩- ٣٣٥هـ)

٣- الخرقي : تقلد القضاء بواسط ومصر و المغرب ، ثم وليّ قضاء بغداد، وكان من عائلة تجار، وخدم المتقي فقلده القضاء توفي بعد سنة ٣٣٤هـ ،(المنتظم ،ج ٨، ص ٢٣٧)

٤- التنوخي : نشوار المحاضرة - ج ٤ ،ص ٢١٣

٥- المستكفي بالله: أبو القاسم عبدالله بن علي بن المكتفي بن أحمد المعتضد - بويع له بعد خلع المتقي سنة ٣٣٣هـ ولقب نفسه أمام الحق المستكفي بالله ،ودامت خلافته سنة و أربعة اشهر - وخلعه معز الدولة وسمله في ٣٣٤هـ (النجوم الزاهرة ،ج ٣ ،ص ٣٢٨)

٦- صلاح مدني : تاريخ الدولة العباسية سياسياً وحضاريا- الرباط ،ص ١٨٥

٧- ابن شيرزاد : كان كاتبا لهارون بن غريب (خال المقتدر) وكتب لابن رائق ، ووزر لبجكم وقبض عليه ولما قتل بجكم وزر لتوزون ولما مات توزون نصّب ابن شرزاد- وولاه معزّ الدولة الخراج الجباية - انظر : الفرج بعد الشدة ، ج ٤ ،ص ٢٨ ،الحكاية ٣٧٨، ونشوار المحاضر ة، ج٢، ص ٣٣٦، الحكاية ١٧٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ودخل معزّ الدولة البويهي (١) بغداد ، ومنح لقب أمير الأمراء في عام ٣٣٤هـ .

ولم تسعد الدولة بهذا الوافد الجديد ، إذ أصبح هو السيّد الآمر . وذات يوم والناس وقوفٌ ،قدم اثنان من خدم معزّ الدولة ، فجذبا المستكفي من يديه عن السرير ، وجرّاه بعمامته ، ونُهب حرم الخلافة ، بينما سيق الخليفة ماشيا أمام معزّ الدولة إلى بيته . وقد رضي المستكفي " أن يخلع شريطة ألا يقطع شئ من أعضائه ، غير أنّ المطيع (الخليفة الذي تلاه،وهو أخو المتقي) أمر أن يسمل انتقاما لأخيه ، في سنة ٣٣٤هـ ، وظلّ المستكفي بالسجن حتى مات ٣٣٨هـ (٢) .

ب- الوزارة والوزراء:-

- أدّى ازدياد شوكة القواد من الأتراك في بداية العصر العباسيّ الثاني إلى ضعف شأن الوزارة . وتحدّد عمل الوزير ، واتضحت سلطاته ، فهو رئيس الكتابة (ومعنى الكتابة إذ ذاك إدارة رئاسة الديوان). فالوزير الرئيس الإداريّ الأولّ المشرف على جميع الدواوين ، ولديه سجلاتها المهمة (٣) .
- وصار للوزارة رسوم ثابتة معروفة ، فكان الوزير لا ينتقى إلا من الكتاب ، وقد أشير على المقتدر تعيين محمد بن يوسف القاضي (٤) ، فقال: " لعمري :إنّه عالمٌ ثقة ، إلا أنني لو فعلت ذلك لافتضحتُ عند ملوك الإسلام والكفر ، لأنني أكون بين أمرين : إما أن تتصوّر مملكتي بأنها خالية من كاتب يصلح للوزارة ، فيصغر الأمر في نفوسهم ، أو أنّي عدلتُ عند الوزراء إلى أصحاب الطيالس ، فأنسب إلى سوء الاختيار "(٥).

١-البغدادي : تاريخ بغداد ،ج١٠ ص ١٠

٢- البغداديّ :المصدر السابق نفسه، ج ١٠ص ١٠

٣-صلاح منني : تاريخ الدولة العباسية سياسيا وحضاريا ،ص ١٨٦

٤-محمد بن يوسف :هو أبو عمر القاضي، محمد بن يوسف الأزدي ،ولد بالبصرة سنة ٢٤٣هـ وكان ثقة، فاضلا ، غزير العقل والحلم والذكاء ويضرب به المثل بعقله وسداده ، ويقال فيه : العاقل الرشيد ، وتوفي سنة ٣٢٠هـ (المنتظم ٤٦/٦) .

٥- التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ١ ، ص ٣٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- أنقص الخلفاء من صلاحيّات الوزراء ، في أوائل القرن الرابع الهجريّ، وأخذوا منهم الضياع التي كانت إقطاعاً يديرونه ،وصارت لهم أرزاق ثابتة قدرها خمسة آلاف دينار ، ثم صارت سبعة آلاف دينار في كل شهر (١)
- وبعد أن كان للوزير دار خاصة بقصر الخلافة يقيم فيها ، وحوله خواصّه وحاشيته ، أصبح منذ عام ٣١٢ هـ ، يجلس في دار الحاجب، وهذا دليلٌ على تراجع منزلته (٢) .

وربما نتبيّن اضطراب أمر الوزارة والوزراء ، واضطراب الجهاز الإداري كلّه من ورائهم ، إذا علمنا أنه ولي الوزارة في عصر المقتدر(١٤) وزيراً ، وقامت بعد المقتدر حتى سنة ٣٣٤هـ ، أي خلال أربع عشرة سنة تسع عشرة وزارة (٣) .

وانحطّت مكانة الوزارة في نهاية هذا العصر ، حتى اشتريت من الخليفة شراء ، أو بالرشوة في بعض الأحيان (٤) .

ونبغت أسر مختلفة تسلّم عددٌ من أبنائها الوزارة ، وذلك أنّ طبيعة الحكم كانت تؤدي إلى أن يسلك الابن وظيفة أبيه في الديوان ، ويرتفع بارتفاعه ، فيما يشبه الاحتكار للمنصب ، ونعدّ من هذه الأسر آل خاقان، ونقلد منها أربعة وزراء ، وبني الفرات، ونقلد منها أربعة وزراء ، وأربعة آخرون من بني وهب (٥). ٥٤٥٦٨٠

- وثمة ملاحظة أخرى ، هي أنّ وزراء العصر لم تكن تتوافر فيهم صفة الحربية فلم يل الوزارة للخلفاء العباسيّين من قواد الجيش إلاّ الحسن بن مخلد وزير الخليفة المعتضد (٦) .
- و هي ملاحظات رأيت الإتيان بها لاستكمال الصورة،في الحديث عن الوزارة و الوزراء.
- وممن تولّوا منصب الوزارة منذ أواخر القرن الثالث الهجري،و في القرن الرابع الهجري ، كما نتبينه في مصنفات التنوخي :

(٢،١) – متز : الحضارة الإسلامية – ج ١ – ص ١٤٤

(٤،٣) – صلاح مدني : تاريخ الدولة العباسية – سياسيا وحضاريا – ص ١٨٨

٥- ابن الطقطقى : الفخري في الآداب السلطانية- ص ٢٢٠

٦- محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق – ص ٣٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

• أبو الحسن عليّ بن محمد بن الفرات (١) :-

يروي التنوخي أن المقتدر قد أسند إلى أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات الوزارة سنة ٢٩٦هـ (٢) ، بعد تغلبه على ابن المعتز، ووزر ابن الفرات ثلاث مرّات للمقتدر ، وكانت أوّل مرة في السنة ٢٩٦هـ،و المرة الثانية في سنة ٣٠٤هـ ، والمرة الثالثة في سنة ٣١١ هـ .

ولي ابن الفرات وزارته الأولى (من ٢٩٦هـ إلى ٢٩٩ هـ) ويُصوّر أحد الشعراء منصب الوزارة آنذاك ، ويتمثل ذلك في قوله مادحا ابن الفرات:-

وليس وزارة الخلفاء نهبا ... وليس خلافة الرحمن عاره
تجلت غبرة كنّا أصبنا ... بها والمسلمون على إباره (٣)
فأعقبنا الزمان رضى بسخط ... وأبد لنا الحلاوة بالمراره

بدأ ابن الفرات بتقليد المناصب إلى أصحابها ،(فقد قلّد أبا العباس أحمد ابن محمد بن بسطام (٤) ، وأخذ يهتمّ بأمور الدّولة ، وقام بعدّة أعمالٍ كإصلاح طريق الحج ، والمساهمة في نفقات الحجّ ، وكان ذلك في عام ٢٩٧هـ كما اروده التنوخي (٥) .

وفي عام ٢٩٨ هـ ،أتم إخضاع بلاد فارس (٦) على يد وصيف ، ومن ضمه إليه من القواد (٧) .

وكان ابن الفرات يستولي على أموال المصادرات ، ففي وزارته الأولى نصب يوسف بن فنحاس وهارون بن عمران ، ولم يدعا مالاً لابن المعتز (٨) ، ولا للعباس بن الحسن (٩) إلا أجرياه لابن الفرات ، وقد كان واسع الثروة ، يملكُ من العين والورق والضيّاع والأثاث ما يحيط بعشرة آلاف ألف دينار ، ولم يملك أحد من الوزراء مثلها(١٠) .

١- بنو الفرات أصلهم من أعمال دجيل – وهم من أجلّ الناس فضلاً ونبلاً وكرما – (الكامل لابن الأثير – ١٤٩/٨)
٢- التنوخي : نشوار المحاضرة – ج ٨ – ص ٩٠
٣-الإبارة : الهلاك
٤-أحمد بن محمد بن بسطام : هو صهر حامد بن العباس وزير المتقدر ، وتقلد مصر في ٢٩٦هـ – وصادره المحسن بن الفرات وأخرجه من نعمته (الوزراء – تحق يق عبد الستار أحمد فرج – ص ٤٩)
٥-التنوخي : نشوار المحاضرة – وأخبار المذاكرة – ج ٢ – ص ٢٨٣
٦-فارس : إقليم فسيح – وولاية واسعة – قصتها شيراز – وهي خمس كور – (معجم البلدان ٨٣٥/٣)
٧- من جملة القواد : وصيف كلمة – وسيما الخزري – وفاتك المعتضدي – ويمن الطولونيّ (تجارب الأمم ١٩/١) – القاضي التنوخي – نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة – ج ٨ – ص ١٢٠
٨-ابن المعتز : أبو العباس عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل الشاعر المبدع – بويع بالخلافة – وأقام يوما وليلة ، ثم انتقض أمره – وقبض عليه المقتدر وقتله – (ابن خلكان – ١ : ٢٥٨)
٩- العباس بن الحسن : أبو أحمد العباس بن الحسن بن أيوب الجرجاني (٢٤٧-٢٩٦هـ) – وزير المكتفي والمقتدر ، كان أديبا وبليغا ، وقتله المتآمرون الذين حاولوا خلع المقتدر (النجوم الزاهرة- ج ٣ – ص ١٨٣)
١٠- القاضي التنوخي : نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة- ،ج ٨ – ص٣٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويصف التنوخي ابن الفرات بأنه كان وافر العقل ، يؤكّد ذلك أنّه عندما تقلّد وزارته الأولى ، أمر بقبض ما في دور القوم الذين بايعوا ابن المعتز ، فحُمل في الجملة صندوقان ، فسأل ابن ا لفرات عمّا بداخلها ، فقال جنده : جرائد بأسماء من يعاديك ، ويدبر في زوال أمرك ، فقال ابن الفرات : لا يفتحان ، ثم دعا بنار وأجّجها ، وقام بطرح الصندوقين في النار وأحرقهما ، ثم أقبل على من كان حاضراً ، وقال والله لو فتحتها ، وقرأتُ ما فيها ، لفسدت نيات الناس كلّهم علينا ، واستشعروا الخوف منا ، ومع ما فعلنا ، طوينا الأمور بهذا ، فهدأت القلوب ، واطمأنّت النفوس (١)

ويشير التنوخي إلى عادات بعض الوزراء ، ومن ذلك أن ابن الفرات كان يجلس للمظالم يوم الأحد، وكان يقول : كيف نتشاغل بالسرور، ونصرف عن بابنا قوماً كثيرين ، قد قصدوا من نواح بعيدة ، وأقطار شاسعة مستصرخين ، متظلّمين ؟ فهذا متظلّم من أمير ، وهذا من عامل ، وهذا من قاضٍ ، وهذا من متعزّز ، ويمضون مغمومين ، داعين علينا ، والله ، ما أطيبُ نفساً بذلك . ويروي التنوخي أنه وقعت في يد الوزير ابن الفرات رقعة من بعض أعدائه في أحد الأيام ، وقد قطع صاحب هذه الرقعة ابن الفرات بالثلب ، والطعن ، وتعديد المساوئ ، والقبائح ، وقال فيما قاله : قد قسمت الملك بين نفسك وأولادك ، وأهلك وأقاربك ، وكتابك وحواشيك، واطرحت جميع الناس ، وأقللت الفكر في عواقب هذه الأفعال، وما ترضى لمن تنقم عليه ، بالإيعاز وتشتيت الشمل ، حتى تودعهم الحبوس ، وتفعل ، و تصنع ، وختمها بأبيات من الشعر :-

لو كان ما أنتم فيه يدوم لكم ... ظننت ما أنا فيه دائما أبدا
لكن رأيت الليالي غير تاركة ... ما ساء من حادث أو سر مطردا
وقد سكنت إلى أني وأنكم ... سنستجد خلاف الحالتين غدا (٢).

١-القاضي التنوخي : نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، ج ٥- ص ٧٣
٢- القاضي التنوخي:المصدر السابق نفسه ، ج ٥- ص ٦٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان ابن الفرات يصفح عمّن يسيء له أحيانا ، فعندما ولي وزارته الأولى ، وجد سليمان بن الحسن (١) يتقلد مجلس المقابلة في ديوان الخاصة ، الديوان بأسره، فأقام يتقلّده نحو سنتين (٢) ، على الرغم مما كان قد قام به في ليلة في دار ابن الفرات وهو يصلّي المغرب ، فسقطت من كمّه رقعة ، لم يفطن لها سليمان ، وقد كان فيها حديث عن ابن الفرات وإمكانية إبعاده عن الوزارة ، فسلّمها أحد الحاضرين لابن الفرات ، وأسر سليمان ، وصودر وعذّب ، إلى أن بلغ ابن الفرات ، أنّ أم سليمان بن الحسن قد ماتت ببغداد ، وأنها كانت تتمنى رؤية ولدها قبل موتها ، فكتب ابن الفرات إلى سليمان بن ا لحسن كتابا (٣):

" بسم الله الرحمن الرحيم ، ميزت - أكرمك الله - بين حقك وجرمك فوجدت الحق يوفي على الجرم ، وتذكّرتُ من سالف حرمتك ، في المنازل التي فيها ربيت ، وبين أهلها غذيت ، ما ثناني إليك،و عطفني عليك ، وأعادني لك إلى أفضل ما عهدت ، وأجمل ما ألفت ، فثق - أكرمك الله - بذلك ، واسكن إليه ، وعوّل في صلاح ما اختلّ من أمرك عليه ، واعلمْ أني أراعي فيك حقوق أبيك التي تقوم بتوكيد السبب ، مقام اللحمة والنّسب ، وتسهّل ما عظم من جنايتك ،و تقلل ما كثُر من إساءتك ، ولن أدع مراعاتها والمحافظة عليها بمشيئة الله تعالى ، وقد قلّدتك أعمال دستميسان (٤) لسنة ثمانٍ وتسعين ومائتين وبقايا ما قبلها ، وكتبت إلى أحمد بن محمد بن حبش ، بحمل عشرة آلاف درهم إليك ، فتقلّد هذه الأعمال ، وأثر فيها أثراً جميلاً يبينُ عن كفايتك ، ويؤدّي إلى ما أبغيه من زيادتك ، إن شاء الله تعالى " (٥)

ويصوّر التنوخي ابن الفرات يحُسن إلى الناس ، فقد حكى أنه أجتاز يوماً ببعض الطرق ، وسار تحت ميزاب ، فوقع عليه منه ما لوّث ثيابه ودابته، فوقف في الطريق ، وأنفذ يدخل إلى داره من يحضر له خلعة ثياب أخرى، فرآه رجلٌ عطّار ، فقام إليه ، وسأله أن يدخل إلى منزله ، ويقيم فيه ، إلى أن يعود الرسول بالثياب ، ففعل ، وأقام عنده ، وخلع ما كان عليه ،و تنظّف بالماء مما كان أصابه ، وأحضره الغلام الثياب ، ثم سأله العطّار أن يأذن له في إحضار بخور يتبّخر به ، فأذن له ، وركب ابن الفرات .

١ـ سليمان بن الحسن بن مخلد الجراح : وزر للمقتدر سنة ٣١٨هـ بعد عزل ابن مقلة ، واستوزره الراضي سنة ٣٢٤هـ ، و توفي سنة ٣٣٢هـ (المنتظم ٣٣٨/٦)

٢ـ القاضي التنوخي : الفرج بعد الشدة ـ ج ٢ ـ ص ١٤١

٣ـ القاضي التنوخي : الفرج بعد الشدة ـ ج٢ ـ ص ١٤٢و ص ١٤٣ والقاضي التنوخي : نشوار المحاضرة ـ ج ٨ ـ ص ١٩١

٤ـ دستميسان : كورة بين واسط الأهواز والبصرة وهي إلى الأهواز أقرب (معجم البلدان ـ ج ٢ ـ ص ٥٧٤)

٥ـ القاضي التنوخي: الفرج بعد الشدة ـ ج٢ـ ص ٤٣ـ أحمد بن حبش هو وكيل ابن الفرات في ضياعه بوا سط

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومضت الأيام ، فلما ولي الوزارة ، كانت حال العطار قد اختلـــت - فأشارت زوجته عليه بالمضي إلى الوزير ، فأعرض العطار عن قولها في بداية الأمر ، ثم استجاب لإلحاحها عليه ، وذهب إليه وأحسن ابن الفـــرات إليه بالأموال والعطايا(١).

وأحسن ابن الفرات إلى خياط، كما يحكي التنوخي ، فلما كان ابـــن الفرات متوسط الحال ، وساعده الخياط ، وعندما صار ابن الفرات وزيـرا أحسن إليه ، وخيره أن يمنحه جائزة أو يخدمه ، فاختار الخياط خدمـــــة الوزير ، فجعله ابن الفرات رئيسا على الخياطين في داره (٢).

وكان ابن الفرات حكيما ، وله أقوال عديدة في السياسية والحياة ،ومن ذلك ما يرويه التنوخي (٣) :

- " تمشية أمور السلطان على الخطأ ، خير من وقوفها على الصواب"،و هذا رأي سياسي لابن الفرات ، يرى أن يكون للسلطان دور دائـــم وإن أخطأ خير من ثباته على أمر .
- " إذا كانت لك حاجة إلى الوزير ، فاستطعت أن تقضيها بخازن الديوان أو كاتب سره ، فافعل ، ولا تبلغ إليه فيها ".

ويرى ابن الفرات أن تحل القضايا البسيطة دون اللجوء إلـــى السلـــم الوظيفي حتى الوزير ، وتعطيل المصالح .

- " السيف تابع ، والقلم متبوع ، وقل سيف غلب القلم ، إلا كان داعيـة الخراب "
- يرى ابن الفرات أن كلم اللسان أنكى من كلم السنان، و أن السيف و الحرب مجلبة للدمار و الخراب.
- وقد سئل ابن الفرات عن سياسة المملكة وأصولها ، فقال :

- " أول أمور السلطان مخرقة ، فإذا استحكمت ، وتمت ، صارت سياسة"

-يقول ابن الفرات إن السلطان في بداية سياسته ينتهـــج الكذب والتمويه ، حتى إذا صدق ، صارت سياسته .

-ويقول: " العامل في أول سنة أعمى ، وفي الثانية أعور ، وفي الثالثـــة بصير"(٤) .

١-القاضي التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ٧، ص ٢٣٧ و ص ٢٣٨ ، الحكاية ١٣٧
٢-التنوخي : المصدر السابق نفسه، ج ١ ، ص ٦٦
٣- التنوخي : المصدر السابق نفسه ، ج ٥ ، ص ٧٢
٤- المصدر السابق نفسه : ج ٣ ، ص ١١٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقصد بذلك أن العامل في البداية يكون غير عالم بالشيء ، ثم يصبح يعلم به قليلاً ، ثم يفهمه جلّه ، ويفكر كيف يكسب الأموال ؟ وسئل ابن الفرات عن أفضل ما يخلف المرء لعقبه كما يذكر التنوخي (١) ، وكان بعض من في مجلسه قد رأوا أن الضياع والعقار ، والمال الصامت هي من أفضل ما يخلف المرء لعقبه ، إلا أن ابن الفرات يرى أن الإخوان والصديق الوفي هو الأفضل .

وفي عام ٢٩٩هـ ، عُزل ابن الفرات من وزارته الأولى ،وظلّ معتقلاً في دار الخليفة المقتدر ، وكان في دار الخلافة ، سجن لاعتقال الوزراء ،و كبار رجال الدولة ، وظلّ معتقلاً خمس سنين حتى سنة ٣٠٤هـ ، وقد عُذّب في فترة اعتقاله ، ويحدّث ابن الفرات عن التعذيب الذي لاقاه ، ففي يوم دخل عليه أبو الهيثم العباس بن المحَّمد بن ثوابة الأبناريّ (٢) ، وطالبه بكتاب خطي بثلاثة عشر ألف ألف دينار ، فأخذ ا بن الفرات يحلف أنّه لا يملك مثل هذا المبلغ ، ولكنه أجبر على كتابة هذا المبلغ ، مع السبّ والشتم ورميه بالفاحشة كما اورده التنوخي (٣) ، وكان ابن الفرات في دار ضيقة ، في حرّ شديد ، وكانت البوادي مكشوفة حتى يصير في الشمس،و نُحيّت الحصر من تحته وأغلقت أبواب البيوت ، وقُيّد بقيدٍ ثقيل ، وألبس جبّة صوف قد نقعت في ماء الأكارع ، وغُلّ بعنف ، حتى شارف على التلف ، ثمّ أخذ الوزير ابن الفرات يعدّ على نفسه ذنوبه ، فوجد أنه عامل بما عامل به الناس ، من المصادرة ، ونهب المنازل ، وقبض الضياع ،و تسليم الناس إلى أعدائهم ، وحبسهم وتقييدهم ، وإلباسهم جباب الصوف،و هتك حريمهم، وإقامتهم في الشموس ، وإفرادهم في الحبوس ، إلا أنة لم يتذكرّ أنّه غلّ أحدا ، فلماذا غلّ بهذه القسوة ؟ ، ثم تذكرّ النّرسيّ (٤) ، الذي سلّمه ابن الفرات إلى أحد عماله وكان عسوفاً ، وأمره بتقييده ، وتعذيبه ،و غلّه بمقدار ساعتين من النهار، ثمّ تذكر سبكرى (٥) من الجبل(٦) ، مع رسول

١-التنوخي : نشوار المحاضرة – ج ٢ – ص ٣٦

٢-ابن ثوابه الأنباري : كان من شرار الناس – اشترك في حادثة ابن المعتز – فاعتقله ابن الفرات لما وزر للمقتدر وحقد على ابن الفرات - وانتصب لمحاسبته لما عزل من الوزارة – وعذبه وأهانه (تجارب الأمم ٢٢/١و ٢٧)

٣- التنوخي : نشوار المحاضرة – ج ٥ – ص ٥٠- والفرج بعد الشدة – ج ٢ – ص ٤٣

٤-النّرسيّ : هو عبد الله بن الحسن النّرسيّ – نسبه إلى نرس – نهر من أنهار الكوفة – وكان عبيد الله يتقلّد عدّة نواح من سقي الفرات – وكان عبيد الله النرسيّ وآله يُستقصون استقصاءً غليظاً من آل الفرات (الوزراء – ص ١٨٣-١٨٤) و(ص١٩١- ١٩٤)

٥- سبكرى: من قواد الدولة العباسية – كان حاكما على فارس في سنة ٢٩٧هـ – وانتقض على الدولة – فحاربه الجند العباسيّ – وفر – فاعتقله صاحب خراسان – وما وراء النهر احمد بن إسماعيل السّلمانيّ – وبعث به إلى بغداد (تجارب الأمم – ج ١- (ص ١٦ – ص ١٩).

٦- الجبل : إقليم عراق العجم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صاحب خراسان مأسوراً، وكيف أمر بغله ساعتين لعدم منح ابن الفرات ودائعه وأمواله ، وظلّ ابن الفرات أربع ساعات في غلّه ، حتى جاء بدر الحرمي (١) ،إلى ممرّ الحجرة التي حُبس فيها، فاستغاث به ، وصاح : (يا أبا الخير، الله ، الله فيّ ، لي عليك حقوق ، وقد ترى حالي ، والموت أسهل مما أنا فيه، فتخاطب السادة في أمري ، وتذكرّهم حرمتي ، وخدمتي في تثبيت دولتهم (٢) ، إذ خذلهم الناس ، وافتتاحي البلدان المنغلقة (٣) ، وإثارتي الأموال المنكسرة ، فإن كان ذنبي يوجب القتل فالسيف أروح لي) (٤) ، فرجع ، ودخل إليهم ، وخاطبهم ، ورققهم ، ولم يبرح حتى أمروا بأخذ حديده ، وإدخاله الحمّام ، وأخذ شعره ، وتغيير لباسه ، وتسليمه إلى زيدان(٥) ، وترفيهه . وجاء بدر الحرميّ قائلاً : يقولون لك، لن ترى بعدها بأساً ،وأقام عند زيدان، إلى أن رُدّ إلى مجلسه (٦).

ولمّا خرج ابن الفرات من هذه الشدائد الهائلة ، إلى الوزارة الثانية ، أمر أبا الحسن محمد بن جعفر بن ثوابة ، صاحب ديوان الرسائل ، أن يكتب عن المقتدر بالله، إلى أصحاب الأطراف ، بردّه إياه إلى الوزارة فكتب إلى جميعهم كتابا ، ما سمعوا في معناه أحسن منه ، ومنه هذه الفقرات : " لماّ لم يجد أمير المؤمنين من غمده ، فعاود ما عرف من حدّه ، ودبرّ الأمور كأن لم يخلُ منها، وأمضاها كأن لم يزل عنها ، إذ كان المحنّك المدّرب ، العالم بدرّه المال كيف تُحلب - وجوهه من أين تُطلب ، وكان الكتّاب على اختلاف طبقاتهم ، وتباين مرتباتهم ، يقفون عنده إذا استبقوا،وينتهون إليه إذا احتكموا ، وكان هذا الاسم حقاً من حقوقه ، استعير منه ، ثمَّ رُدّ إليه" (٧).

١- بدر الحرميّ :هوأبو الخير بدر الحرمي- نسبه إلى حرم الخليفة - أي أنه من الخدم المرخص له بالدخول والخدمة في دار الحريم للخليفة - وكان من ذوي المكانة عند المقتدر - (الفرج بعد الشدة - ج ٢ - ص ٤٨)

٢- يشير إلى وقوفه إلى جانب المقتدر لما خذله الناس في فتنة ابن المعتز .
انظر التنوخي - الفرج بعد الشدة - ج ٢ - ص ٤٨- الحكاية ١٦١

٣-يشير إلى افتتاحة فارس

٤- التنوخي : الفرج بعد الشدة - ج٢ -ص ٤٧و ص ٤٨

٥- زيدان القهرمانة :كان لها دار خاصة - في دار الخلافة - تعرف بدار زيدان القهرمانة - يُحبس فيها وجوه الدولة - والوزراء وكبار العمال وقد حُبس عندها في سنة ٣٠٤هـ- الحسين بن حمدان التغلبيّ والوزير أبو الحسن علي بن عيسى والأمير يوسف بن أبي السّاج واعتقل عندها في ٢٩٩هـ الوزير ابن الفرات - وفي سنة ٣١٦هـ - اعتقل الوزير علي بن عيسى وكانت زيدان تتعصّب لابن الفرات - وتتخيّر له - وكان ابن الفرات - عندما يكتب إليها - يضيف إلى الدعاء - كلمة - : يا أختي . (تجارب الأمم ٣٨/١ ، ٤٠ ، ٥٠ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ١٤٩ ، ١٨٤ ، ١٩٨)

٦- يعني انه رُدّ إلى الوزارة

٧- الفرج بعد الشدة : ج ٢ - ص ٥١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي وزارته الثالثة ، أنكر الناس أخلاقه ، وما كان يعرف من كرم أخلاقه ، فقد اعتقل الكثير من خصومه (١) ، وسلّمهم إلى ولده المحسّن(٢)،و كان قاسياً قتل منهم قوماً ، فنقم عليه الخاصة(٣)

وكان ابن الفرات ـ في الوزارة الثالثة ـ يتعصب لآل نوبخت ، وكان يقول : " يتمعّضني الناس ، بتعطيلي مشايخ الكتاب ، وتفريقي الأعمال على آل نوبخت ، وآل بسطام ، والله ، لولا أنه لا يحسن تعطيل نفر من العمّال ، وقد قلّدتهم ، لما استعملت في الدنيا، إلا آل نوبخت ، دون غيرهم (٤)٠

وقيل : إنه كان يتعصب لآل بسطام لرياسة أبي العباس عليه،و يتعصّب لآل نوبخت للمذهب (٥)٠

ولمّا زادت سطوة ابن الفرات وولده ، اعتقلهما المقتدر ، وأمر بقتلهما في عام ٣١٢هـ .

* حامد بن العبّاس :ـ

هو وزير المقتدر ، كان يتولى أعمال السواد ، وزر له سنة ٣٠٦ هـ ،و دامت وزارته حتى عام ٣١١ هـ ، ثم أعاد المقتدر الوزير ابن الفرات لوزارته للمرة الثالثة ، كما ورد لدى التنوخيّ ما ذكر فيما تقدم (٦)٠

وكان حامد بن العباس سفيه اللسان ، لا يتورّع عن السبّ والشتم،و يتلفظ بألفاظٍ بذيئة عندما تثور عصبيّته ، ويشتد غضبه كما يذكر التنوخي (٧) ٠ ولكنّ كرمه كان يغطي علي ذلك ، وكان غزير المروءة ، فقد صدف أن مرّ بدارٍ محترقة، ورأى شيخاً يبكي ويولول ، وحوله صبيان ونساء على

١ـالتنوخي : الفرج بعد الشدة ـ ج ٢ ـ ص ٥١

٢ـ المحسّن بن أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات : (٢٧٩-٣١٢)ـ كان ظالما ـ سئ السيرة ـ وكان أبوه لما وزر ـ قد ولاه ديوان المغرب ـ وعزلا معا ـ ولما عاد الأب للوزارة ـ أطلق يد ولده المحسّن في الانتقام من خصومه ، وقتلا معا في ٣١٢هـ ، وكان عمره ٣٣ سنة ـ (النجوم الزاهرة ـ ج ٣ ـ ص ١٨٣ و ص ٢٣٣)

٣ـالتنوخي : نشوار المحاضرة ـ ج ٣ ـ ص ١٨٤

٤ـ التنوخي :المصدر السابق نفسه ـ ج ٨ ـ ص ٩١

٥ـ ابن الفرات شيعيّ المذهب ـ وآل نوبخت شيعة (نشوار المحاضرة ـ ج ٨ ـ ص ٩١)

٦ـالتنوخي : نشوار المحاضرة ـ ج ١ ـ ص ٣٠

٧ـ التنوخي : المصدر السابق نفسه ـ ج ١ ـ ص ٢٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مثل حاله ، فسأل حامد بن العباس عَنه ، فقيل : هذا رجلٌ تاجر ، احترقت داره وافتقر ، فوجم ابن العباس ساعة ، ثم قال : أين فلان الوكيل ؟ فجاء وطلب منه أن يصنع معه معروفاً فيزيد استحقاقه . وقال له : " ترى هذا الشيخ ، قد آلمني قلبي له ، وقد تنغّصت عليّ نزهتي بسببه ، وما تسمح نفسي بالتوجّه إلى بستاني ، إلاّ بعد أن تضمن لي أنّني إذا عدت العشيّة من النزهة ، وجدت الشيخ في داره ،وهي كما كانت مبنيّة مجصّصة ، نظيفة،و فيها صنوف المتاع ، والفرش ، والصّقر، كما كانت وتبتاع لعياله وله، كسوة الشتاء ، والصيف، مثل ما كان لهم ، كما يحدثنا التنوخي (١). ويحكي لنا التنوخي ، أنه كان بين الوزير وامرأة شكت إليه الفقر وطلبت منه البّر، فأعطاها مائتي دينار، إلى غيرها من الحكايات التي تدل على نبله وكرمه (٢) .

وكان ابن العباس وزيراً حاكماً لزمام الأمور ، وحكيماً ، كما يصوّره التنوخيّ ومن أقواله ، التي توضح ذلك : -

- " ما في الأرض أجهل من وزير يطلب الخليفة منه مالاً ، وهو في ولايته ، ويعطيه إياه ، فإنه يطمعه في نعمته ، وإنمّا يدفع النكبة مدة ، ثم تحدُث ، وقد ذهب المال" .

يتحدث ابن العباس عن طريق مصادرة أموال الوزراء من قبل الخلفاء.

- "لا تصلح الدنيا إلا بالعمارة ، والعدل ، وقمع العمّال عن السَّرقات "(٤)

يدعو ابن العباس إلى الأمانة والعدل ، حتى تصلح شأن الدنيا .

- وقال : " ربما انتفع الإنسان في نكبته بالرجل الصّغير ، أكثر من منفعته بالرجل الكبير " (٥).

يرى ابن العباس أن العبرة والحكمة قد تتعلّم من الصّغير أكثر من تعلمها من الكبير .

- " ما في الدنيا أضرّ على الإنسان من مداجاة العدوّ ، وينبغي أن تشهر ما بينك وبين عدوّك ، حتى لا يقبل قوله فيك (٦).

ويدعو ابن العباس إلى عدم مهادنة العدو ومجاراته واشهاركرهه له .

١-التنوخي : نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة- ج ١ - ص ٢٢
٢- التنوخي : المصدر السابق نفسه، ج ١ - ص ٤١
٣- التنوخي:المصدر السابق نفسه - ج ٨- ص ٤٨
٤- التنوخي :المصدر السابق نفسه - ج ٨ - ص ٦٣
٥- التنوخي : الفرج بعد الشدة - ج ٢ - ص ١١٤
٦- التنوخي : نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة- ج ٨ - ص ٦٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عـذّب حامد بن العباس المحسّن ابن الوزير أبي الحسن علي بن محمد ابن الفرات ، وكان حاقداً عليـه ، وصفعـه صفعـاً موجعـاً ، وحبسـه ، كمـا يذكر التنوخي (١) ، لكنّ أبا جعفـر الشـلمغانيّ (٢) ، كـان يحـرص أن يرفـق بالمحسّن ابن الفرات ، وظلّ يقنع حامد بن العباس حتى أطلـق سـراحه (٣)، وظلّ المحسّنّ حاقداً عليـه ، وعندمـا عـاد والـده إلـى وزارتـه الثالثـة ، أمـر المحسّن بقتل حامد بن العباس ، وقتل عام ٣١١هـ (٤)٠

ويذكر التنوخيّ أنّ بَعد مقتل الوزيـر حـامد بـن العبـاس وُجـد فـي بـئر لمستراح له ، أربعمائة ألف دينار عينا، وكـان قد دلّ عليـه لمـا اشـتدّت بـه المطالبة أثناء تعذيبه (٥)٠

وليس بعجيب أن يملك حامد بن العباس أكثر من هذا،فقد كان يتقاضى ثلاثة آلاف دينار شهرياً ، عندما تقلّـد عمالة فارس (٦)٠

• عَليّ بنْ عِيسَىَ بنْ دَاوُدْ بْن الجَرّاح (٧):-

كان عليّ بن عيسى صاحب وقارٍ عظيم، وكان يدعـو إلـى الزهـد وعـدم لبس الفاخر من الثياب ، وكان " شديد الإعظـام لصناعـة الكتابـة ، شـحيحا على محلّه منها، غير مسامحٍ لشيءٍ يعاب به ، مهما صغر فيـها ، وكـانت المسابقة فيما بينه وبين أبي الحسن عليّ بن الفرات فيـها، وكـان كلّ واحـد منهما ، يتقلد ديواناً ، في وزارة العباس بن الحسن " (٨) ٠

١- التنوخيّ : نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة- ج ٣ - ص ١٨٤

٢- أبو جعفر الشلغماني: هو أبو جعفر محمد بن عليّ- ويُعرف بابن أبي العزاقر ، مبتدع ، له عدة تآليف ، وادّعى أن اللاّهوت حلّ فيه ، وأفتى بعض الفقهاء بقتله ، وإباحة دمه وقتله الخليفة الراضي - واحرق جثته ، خشية أن يقدّسها اتباعه (انظر ابن الأثير ٩٢/٨)٠

٣- التنوخي : نشوار المحاضرة - ج ٣ - ص ١٨٦

٤- التنوخي :المصدر السابق نفسه- ج ٣ - ص ١٨٥

٥- التنوخي: المصدر السابق نفسه - ج ١ - ص ٢٤

٦- التنوخيّ المصدر السابق نفسه، ٨ - ص ١١٤

٧-عليّ بن عيسى بن داود بن الجرّاح : ولد عام ٢٤٤هـ- وتوفي سنة ٣٣٤هـ - وزر ابن الجراح للمقتدر والقاهر وهو أحد العلماء الرؤساء من أهل بغداد نشأ كاتبا كأبيه وجدّه- وليّ الوزارة للمقتدر ٣٠٠ هـ - فحمدت سيرته - وعزله المقتدر سنة ٣٠٤هـ - وحبسه - ونفاه إلى مكة - ثم إلى صنعاء - ثم أعاده للوزارة سنة ٣١٤هـ - ثم عزله سنة ٣١٦هـ - وقبض عليه - وأناط به الإشراف على الدواوين - والنظر في المظالم (معجم الأدباء - ج ٤ - ص ٨٢٣- ٨٢٦)

٨-التنوخي :نشوار المحاضرة - ج ١ - ص ٥١ - ج ٢ - ص ٢٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أمر الوزير ابن الجرّاح بالرفق في جباية الخراج (١) ، وفرض على ملك الروم أن يُحسن معاملة الأسرى المسلمين في بلاد الروم(٢).

و كان من عادات الوزير عليّ بن عيسى في الكلام أن يقول "والك "،و قد تعوّد قولها دائماً في كلامه ، حتى أنّه قالها للخليفة الراضي ، وحقدها الراضي عليه ، وأراد البطش به ، لولا توسط الصُّلحيّ (٣) ، ومخاطبته للخليفة الراضي للعفو عن ابن الجراح ، فقد قال له : " يا أمير المؤمنين ، علي بن عيسى ، خادمك وخادم أبائك ، وقد عرفت محلّه من الصناعة وموقعه من جمال المملكة ،ومن حاله وأمر كذا وكذا(٤) ... ويردّ الخليفة"... ما خاطبني قطّ ، إلاّ قال" واك " فهل يتلقى الخلفاء بمثل ذاك ؟"(٥)

ويبّين له الصلحّي أنّ ذلك طبع لابن الجراح قد ألفه ، وقد عيب بذلك في أيام خدمته للخليفة المقتدر ، وما استطاع فراقه ، ويردّ الخليفة الراضي بأنّ ذلك خُلق ، ويمكنه تغييره أو التحفظ مع الخليفة ، لأنّ سوء مخاطبته مع الخليفة تهاون وقلة مبالاة (٦).

وفي عام ٣١٧هـ ، كتب علي بن عيسى إلى الخليفة المقتدر ـ بعدما خرج من حبسه في دار المقتدر ، وكان قد تطاول به الحبس ـ كتاباً جاء فيه :"بسم الله الرحمن الرحيم ، أعزّك الله ، وأطال بقاك ، وأكرمك ، وأتمّ نعمته عليك وزاد في إحسانه إليك ، قد عوّد الله أمير المؤمنين ـ أطال الله بقاءه ـ في تصاريف أحواله ، ومعقبات أعماله ، وعند الخطوب إذا ألمّت والحوادث إذا أظلّت ، أن لايخليه من نظرٍ يتيحه له ، ونعمٍ يجدّدها عنده ،و منح يضاعفها لديه ،لما يعرفه من صفاء نيته ، وخلوص طويّته ، وحسن سريرته ، لسائر رعيّته ، عادة في الصلاح والإصلاح ، هو ـ عزّوجل- متمّمها "(٧) . وردّ المقتدر إلى علي بن عيسى الإشراف على ابن مقلة،و الاجتماع معه على سائر أمور الدولة (٨).

٣- التنوخي : نشوار المحاضرة ـ ج ٨ ـ ص ١٢٩
٤- التنوخي :المصدر السابق نفسه ـ ج ١ ـ ص ٥٢
٣-الصلحي: كان أبو محمد الصلحي في سنة ٣٣٥هـ من رجال ناصر الدولة (كان كاتبا (المنتظم ٣٤٩/٦)
٤-التنوخي : نشوار المحاضرة ـ ج ٥ ـ ص ٨١
٥- التنوخيّ: المصدر السابق نفسه ج ٥ ـ ص ٨٢
٦- التنوخي: :المصدر السابق نفسه ٥ ـ ص ٨٢
٧- التنوخيّ: الفرج بعد الشدة ـ ج ٢ ـ ص ٥٦
٨-التنوخي: المصدر السابق نفسه ج ٢ ـ (ص ٥٢ـص٥٨)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويروي التنوخيّ أن الوزير علي بن عيسى ، نفي إلى مكة(١) ، ودخل في حرّ شديد حتى كاد أن يتلف ، فطاف ، وسعى ، و" اشتهى على الله عز وجلّ ، شربة ماء مثلوج " ، وهذا غير موجود في مكة ، إلا أنّ الله عز وجلّ أنشأ سحابة وأبرقت وأرعدت وجاءت بمطر يسير ، وبرد كثير ، فجمع البرد وشرب علي بن عيسى ، وقال : ليتني تمنّيت المغفرة، بدلاً من تمنّي الثلج ، فلعلّي كنتُ أجاب (٢) .

** **أبو عليّ مُحَمَّد بن مقلة (٣):-**

كان يعملّ محرّراً لأبي الحسن بن الفرات ، أيام خلافته أبا العباس أخاه علي ديوان السواد ، ثم تقدّمت حاله ، فزاد جاريه إلى ثلاثين ديناراً في الشهر، وعُرف بانحيازه إلى آل الفرات ، فلمّا تقلّدّ ابن الفرات الوزارة جعل رزق ابن مقلة خمسمائة دينار في الشهر ، ولما عُزل أبو الحسن عن الوزارة في سنة ٢٩٩هـ ، استتر ابن مقلة (٣) .

طمع ابن مقلة في الوزارة (٤) ، وتقلّد في سنة٣١٦هـ وزارة المقتدر(٥)،ولمّا خلع المقتدر ، ونصب القاهر ، أبقاه وزيراً ، ولما عاد المقتدر للخلافة أقرّه على الوزارة ، و استوزره القاهر سنة ٣٢٠هـ (٦) ..

استوزر الخليفة الراضي ابن مقلة في عام ٣٢٠هـ ، وكثر الاضطراب وتعاظم أمر عبد الله البريديّ في البصرة والأهواز ، وشغب الجندعلى ابن مقلة ، فاضطر إلى الهرب ، ثم قبض عليه ، وسجنه ، وقطعت يده ، ثم قطع لسانه ، ومات في سجنه سنة ٣٢٦هـ (٧) .

١-ابن مسكويه :تجارب الأمم – ج ١ – ص ١٣

٢-التنوخيّ :نشوار المحاضرة – ج ٤ – (ص ٢٢٢ – ص ٢٢٣)

٣-أبو علي مُحمّد بن مقلة : ولد في بغداد عام ٢٧٢هـ ، وتوفي سنة ٣٢٦هـ (تجارب الأمم – ج ١ – ص١٢، ٤٤، ٥٢، ١٤٠)

٤- التنوخي : الفرج بعد الشدّة ، ج ٣ ، ص ١٩٦ ،١٩٧

٥- التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ٢ ، ص ١٢٠، ١٢١

٦- ابن مسكوية : تجارب الأمم ، ج١ ، ص ١٩٩

٧- ابن مسكويه : تجارب الأمم، ج ١ ، ص ١٨٥، ٢٠٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كان ابن مقلة شاعرا أديبا ، يضرب بحسن خطه المثل ، وقد كان يشجع الكتاب وتحسين الخط ، فقد أهدى لكاتبه عطرا وشرابا ومالا كما يحكي التنوخي (١) .

كان يتذوق الشعر ، ويعلم أغراضه ، فقد مدحه ابن بسام (٢) قائلا:

" يا زينة الدين والدنيا وما جمعا ... والأمر والنهي والقرطاس والقلم
إن ينسئ الله في عمري فسوف ترى ... من خدمتي لك ما يغني عن الخدم
أبا علي لقد طوقتني منناً ... طوق الحمامة لا تبلى على القدم
فاسلم فليس يزيل الله نعمته ... عمن يبث الأيادي في ذوي النعم " (٣)

ابتكر ابن مقلة طريقة لإزالة الحلوى عن الثياب (٤) ، دون أن يزيل الحلوى ، بل يخفي أثرها بالحبر ! فقد كان الوزير علي بن مقلة ، يوما ، يأكل ، فلما شيلت المائدة ، وغسل يده ، رأى على ثوبه نقطة صفراء من الحلوى الذي أكله ، ففتح الدواة واستمد منها بيده ، ونقطها على الصفرة ، حتى لم يبق لها أثر ، وقال : ذاك عيب وهذا أثر صناعة ، ثم أنشد :

إنما الزعفران عطر العذارى ... ومداد الدوي عطر الرجال .

ويحدثنا التنوخي عن رعاية ابن مقلة لفئات اجتماعية عديدة آنذاك، ومما يمثل ذلك أنه كان يعرض على أبي علي بن مقلة ، في وزارته ، الرقاع الكثيرة (٥) ، في حوائج الناس ، في مجالس حفله وخلوته ، فربما تجاوز ما يعرضه في يوم ، مائة رقعة ، وقد كان أبو محمد جعفر بن ورقاء (٦) ، يعرض الرقاع على ابن مقلة ، فضجر ابن مقلة من كثرة الرقاع ، وقال له إلى أبا محمد ؟ فغضب جعفر بن رقاء ، وقال: " أيد الله الوزير ، إن كان فيها شئ لي فخرقه ، إنما أنت الدنيا ، ونحن طرق إليك ،و على بابك الأرملة ، والضعيف ، وابن السبيل ، والفقير، ومن لا يصل إليك فإذا سألونا سألناك ، فإن صعب هذا عليك ، أمرنا الوزير - أيده الله - أن لا نعرض عليه شيئا ، ونعرف الناس ثقل حوائجهم عليه ، وضعف جاهنا عنده ، ليعذرونا" (٧) .

١- التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ٢، الحكاية ٢٧، ص٦٧، ٦٩
٢- ابن بسام : هو أبو الحسن علي بن محمد بن نصر بن منصور بن بسام العبرتائي ، كاتب وشاعر (الوفيات ١:٣٥٢)
٣- التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج٤،الحكاية ٣١، ص٦١
٤- التنوخي : المصدر السابق نفسه ، ج٣،الحكاية ١٦١، ص٢٥٤
٥- الرقاع : المظالم والشكاوى تكتب على رقعة
٦- أبو محمد جعفر بن ورقاء : أمير من أمراء الدولة ، من بيت أدب ، ولد بسامراء، ولد عام ٢٩٢هـ ، وتوفي في ٣٥٢هـ ، وتقلد عدة ولايات ، وكان شاعرا جيدا البديهة . (النشوار ٣٤/١)
٧- التنوخي : نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، ج١، الحكاية ٣٤ ، ص٨٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقال له ابن مقلة : " لم أذهب حيثُ ذهبتَ يا أبا مُحَمَّد ، وإنما أردتُ أن تكون هذه الرقاع الكثيرة في مجلسها، أو مجلس يحضُر فيه الكتاب ، فيخّففون عني بالتوقيعات فيها ، ولو كانت كلّها حوائج تخصك لقضيْتها، وكان سروري بذلك أعظم ، هاتها " يقصد الرقاع "

** عهد البويهّيين :-

أ ـ الخلافة والخلفاء :-

يبدأ هذا العهد بدخول معزّ الدولة البويهّي بغداد سنة ٣٣٤هـ ، ونقف فيه عند وفاة بهاء الدولة بن عضد الدولة (١) سنة ٤٠٣هـ .

** في عهد المطيع للّه :-

لم يمض غير قليل على دخول البويهّيين بغداد ، حتى قام معزّ الدولة بن بويه على خلع المستكفي بطريقة مهينة في عام ٣٣٤هـ (٢)، وقام معز الدولة بمبايعة الفضل بن المقتدر بالخلافة، ولقبه المطيع لله (٣)، وأحضر المستكفي ، وشهد على نفسه بالخلع ، وسملت عيناه ، وتوفي عام ٣٣٨هـ

١ـ بهاء الدولة بن عضد الدولة : أبو نصر بهاء الدولة فيروز بن عضد الدولة فناخسرو البويهي (٣٦٠هـ ـ ٤٠٣هـ) ، ولي الملك سنة ٣٧٩هـ ، بعد وفاة أخيه شرف الدولة . (الكامل لابن الأثير ، ج ٩ ، ص٦٢، ٧٩، ٢٤١)

٢ـ التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ٤ ، ص ١٤٠، ١٤١

٣ـ المطيع لله : الفضل بن جعفر المقتدر ، وليّ الخلافة سنة ٣٣٤هـ ، على إثر خلع المستكفي واستمرت خلافته ثلاثين سنة ، وأصيب بالفالج ، وثقل لسانه ، وخلع سنة ٣٦٣هـ .(فوات الوفيات ، ج٢، ص٨٣ـ٨٥)

٤ـ ابن الطقطقى : الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، ص ٢٨٩ ، طبعة صادر ، بيروت

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لقد كان معزّ الدولة يعتقد أنّ الخلافة حقّ للعلويين ، وأنّ العباسيّين قد سلبوها وأخذوها من مستحقيها ، وحمل هذا الاعتقاد معزّ الدولة البويهي على التفكير في نقل الخلافة العباسية إلى أحد العلويين ، إلاّ أنّ خواصّ معز الدولة ، والمقربين إليه حذّروه من سخط الناس ، لأنّ الأقطار الإسلاميّة اعتادت الدعوة العباسيّة (١) ، يقول ابن الأثير : " ... لقد بلغني أن معز الدولة استشار جماعة من خواصّ أصحابه في إخراج الخلافة من العباسيين والبيعة للمعزّ لدين الله العلويّ أو لغيره من العلويين ، فكلهم أشار بذلك ما عدا بعض خواصّه ، فإنّه قال : ليس هذا برأي ، فإنك اليوم مع خليفة تعتقد أنت وأصحابك أنه ليس من أهل الخلافة ، ولو أمرتهم بقتله لقتلوه مستحلّين دمه ، ومتى أجلست بعض العلويين خليفة كان معك من تعتقد أنت وأصحابك صحة خلافته ، فلو أمرهم بقتلك لفعلوه (٢) فعدل معزّ الدولة عن رأيه .

لقد كان معزّ الدولة الأمر الناهي ، وقد ارتأى أن يمارس سلطته دون أن يغيّر الخلافة العباسيّة ، ولم يعد للخليفة المطيع من الخلافة إلاّ الاسم .

وفي عام ٣٣٦هـ ، افتتح الخليفة المطيع لله ، الأمير معزّ الدولة البصرة وتسلّم معزّ الدولة العراق بأسره ، ولم يبق بيد الخليفة إلا ما يسدّ حاجته(٣)،و خلع الخليفة المطيع عام ٣٦٣هـ ، وأشهد على خلعه ، وقرأ رقعة الخلع و نصّها : " هذا ما أشهد على نفسه أمير المؤمنين الفضل المطيع لله ،حين نظر لدينه ، ورعيّته ، وشغل بالعلّة الدائمة ، عما يراعيه من الأمور ،و

١- القاضي التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ٤ـ ص ١٧١

٢- الكامل في التاريخ ، ج ٨ ، ص ٤٥٢

٣- التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ٤ص ٢٤٢، الحكاية ١١٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تسليمه إلى ناهض به ، قائم بحقه ، فهو يرى له الرأي ، عهد "٠ ثم شهد بذلك طوعاً ، في يوم الأربعاء الثالث عشر من ذي القعدة سنة ثلاث وستين وثلاثماية (١) ٠

وقد كان الخليفة المطيع يُعرض عن الطالبيّين (العلويّين) ، إذا مر عنهم ، لأنّه يعلم أنّهم يبغضونه ، ولكنه يُحبهم كما يقول ، ويعاملهم كما يعاملونه (٢٣)٠

**** في عهد الطائع (٣) :-**

بويع الطائع بالخلافة سنة ٣٦٣هـ ، وكان جواداً كريماً ، إلا أن يده قصيرة مع بني بويه ، فإنّهم كانوا الملوك ، وليس للخليفة إلاّ مُجرّد الاسم ٠

وفي عام ٣٦٩هـ ، تم عقد زواج الخليفة الطائع ، على ابنة عضد الدولة(٥) ، وقد كان زواج مصلحة، فقد أراد عضد الدولة الدولة أن يزوّج ابنته من الخليفة الطائع ، مؤمّلاً أن تلد ابنته حفيداً له ، يكون وليّ عهد الخليفة ، وتصبح الخلافة والملك في بيت بني بويه كما يورد التنوخي(٤) ٠

ولكنّ الخليفة الطائع ، علم بما خطّط له عضد الدولة ، وأبعد ابنته عنه ، فاهتم والدها بالأمر ، ولم يجد عضد الدولة خيراً من القاضي التنوخي يوسّطه في القضية ، وخاصة أنه قد خطب خطبة عقد النكاح ،و لكنّ التنوخيّ لم يتدخلّ ،وتمارض لمعرفته بأنّ سعيه لا فائدة منه (٥)٠

١- عبد الرحمن سنبط قنيتو الإربلذي ، خلاصة الذهب المسبوك المختصر من سير الملوك ، تحقيق : السيد مكي السيد جاسم ، ١٩٦٤م ، ص ٢٥٧

٢- التنوخي : نسوار المحاضرة ، ج٣ ، ص ١١٦ ، القصة ٧٢

الطائع : أبو بكر عبد الكريم بن الفضل المطيع لله ، بويع بالخلافة سنة ٣٦٣هـ ، وله ٤٥عاما ، ودامت خلافته إلى سنة ٣٨١هـ ، حيث خلعه بهاء الدولة بن عضد الدولة (المنتظم ٢٢٤/٧)

٣- عضد الدولة : أبو شجاع ناخسروا بن أبي علي ركن الدولة ، كان يلقب بشاهنشاه ، دخل بغداد ٣٦٧هـ وفتحها ، واستقبله الخليفة الطائع ، و طوقه ، وسوّره ، وكانت بغداد خاربه ، فعمّرها ، وأعاد بناءَ ها ، وكان ذكيّا سائساً ، توفي سنة ٣٧٢هـ ، عن عمر يقارب ٤٨ عاما (المنتظم ١١٣/٧)

٤- نشوار المحاضرة ، ج٤ ، الحكاية ١٣٠، ص ٢٦٢، وانظر ابن مسكويه : تجارب الأمم ، ج ٢ ، ص٤١٤

٥- التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ٤ ، الحكاية ٤٥ ، ص ٩٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم يكن الطائع خيراً ممن سبقوه ، فقد نال نصيبه من إساءة البويهيين،و في عام ٣٨١هـ ، احتاج بهاءّ الدولة(١) إلى المال ، فدبّر للخليفة الطائع لخلعه وأطاع بحكمه ، وأخذ ما في داره من الذخائر ، وحُمل إلى دار بهاء الدولة ، وأرغم على خلع نفسه ، وبويع للقادر بالله (٢) ، من بعده سنة ٣٨١هـ (٣).

** **في عهد القادر بالله :-**

وكان القادر من أطول الخلفاء العباسيين حكماً ، ودام حكمه (٤١سنة)،وقد كانت الخلافة قبله قد طمع فيها الديلم والأتراك ، فلما وليها أعاد جدتها ، وجدّد ناموسها ، وألقى الله هيبته في قلوب الخلق ، فأطاعوه أحسن طاعة وأتمّها (٤).

وحلف كلّ من بهاء الدولة ، والخليفة القادر ، على أن يطيعا بعضهما وأن يكون الوفاء بينهما ، إلاّ أن بهاء الدولة ما لبث أن عمل على تقوية نفوذه ، واستبّد بالسلطة دون الخليفة القادر بالله ، ولم يأبه القادر لذلك ،و انزوى بدار الخلافة (٥) .

** **أمراء بني بويه :-**

مؤسّسو الدولة إخوة ثلاثة : علي (وهو عماد الدولة) ، وحسن(وهو ركن الدولة) ، وأحمد (وهو معزّ الدولة) .

-ويمكن ملاحظة بعض الأمور عند البويّهيين منها :-

أ- الألقاب : بدأ بدخول البويهّيين إلى بغداد نمط جديد من الألقاب في تاريخ الدولة العباسيّة - إذ لقبوا ، (معزّ الدولة ، وعماد الدولة ، وركن الدولة) وضُربت ألقابهم على السّكة كما أورده التنوخي (٦).

ب- كان بنو بويه بعيدين عن الثقافة عامة ،وعن الثقافة العربية خاصة (٧)

ج - كانت العائلة البويهّية متضافرة التضافر الوثيق ، ومرتبطة بالطاعة التامة لأكبرها ، في الأجيال الأولى فقط ، ثم زادت الخلافات والنزاعات في الحكم (٨).

١- السّيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٢٧٧

٢- القادر بالله : أبو العباس ، أحمد بن إسحاق المقتدر(٣٣٦هـ-٤٢٢ هـ) ، ولي الخلافة سنة ٣٨١هـ ، وطالت ويتجول في البلاد متنكّراً ، (تاريخ بغداد ، ٤: ٣٧).

٣- التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ٧، ص ١٢١

٤- صلاح مدني : تاريخ الدولة العباسية سياسيا وحضاريا : ص ٢٤١

٥- عبد الرحمن الراوي : المجتمع العراقي في شعر القرن الرابع الهجريّ ، ص٢٢

٦- التنوخي : نشوار المحاضرة ج١ ، القصة ٤٧و ٧٠ و ج٢ ، القصة ٦٢ ، وج ٣ ، القصة ٣٩و٥٧ و٦١

٧- محمد جمال الدين سرور :تاري الحضارة الإسلامية في الشرق ، ص٣٧

٨- التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ٤ ، الحكايتين ٢٣، و٦٧ وغيرهما من الحكايات

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

** مُعزّ الدولة (٣٣٤-٣٥٦ هـ) :-

وهو أصغر إخوته ، كان حادّ الطّباع ، " وإذا حمي جدّا يأمر بالقتل ،و ويكره أن يتمّ ذلك ، ويعجبه أن يُسأل العفو " ، فكان إذا أمر بقتل إنسان سُئل ، وروجع ، فيعفو كما يروي التنوخي (١) .

ويحدّثنا التنوخيّ عمّا كان عليه معزّ الدولة في نشأته ومعاناته من الفقر ، فكان الأمير معزّ الدولة ممّن غني بعد فقر ، كان يحدّث وزيره أبا الفضل العباس بن الحسين الشيرازيّ (٢) ، بأنه كان ببلاد الدّيلم يحتطب لأهله ، وقد نقص الحطب يوماً ، فطلبت أخته الكبرى منه أن يحتطب مرّة أخرى ، فقال لها معزّ الدولة : لا أقدر ، وقد جئتكم بما قدرت عليه . ولكي تشجعه أخته على الذهاب زادت حصّته من الطعام رغيفين وباقة بصل ، كما يروي التنوخي (٣).

ورغم علمه بالفقر ومعاناته له ، شاع الفقر في زمانه ، ففي عام ٣٣٤هـ ، عمّ بغداد الغلاء الشديد ، وازداد سعر الحنطة (٤) ، وعمّ الجوع بغداد حتى أنّ من النسّاء ، من كانت تشوي ولدها ، وتجلس لتأكله كما يذكر التنوخي وهو امر عجيب لا يكاد المرء يصدقه (٥) !

لقد قام معزّ الدولة بإبعاد الناس عن أمور السياسة ، وألهاهم برياضة الركض ، ورياضة المصارعة ،وشغلهم أياما كثيرة بهذه الألعاب ،و حرص أحداث بغداد وضعفاؤهم ، حتى انهمكوا في هذا الأمر ، وقد كان الشباب يتقنون في اللعب ليكافئهم معزّ الدولة عليها ، فقد كان يعمل بحضرته حلقة في ميدان ، ويقيم بشجرة يابسة تُنصب ويجعل عليها الثياب الدّيباج ، وثياب فاخرة ، وأكياس فيها دراهم ، ومن يغلب يأخذ الثياب والدراهم (٦) .

١- التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ، القصة ٧١ ، ص ١٤٢

٢- أبو العباس الشيرازيّ : خدم الوزير المهلبي ، وصاهره ، وخلفه في الوزارة شريكا لأبي الفرج بن فسانجس ، ثم انفرد بوزارة بختيار ، وعزل ، وصودر ، ومات سنة ٣٦٢هـ (تجارب الأمم ١٨١/٢ ، ٣١٣)

٣- التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ٢ ، ص ٩٧ و ص ٩٨

٤- التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ١ ، ص ٣٥٢

٥- التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ١ ، ص ٣٥١

٦- التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج٤ ، ص ٢١٧ ـ ٢١٩ ، الحكاية ١٠٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

** عزّ الدولة بختيار (٣٥٦ ـ٣٦٧ هـ) (١):-

حين مات معزّ الدولة البويهّي ، تسلّم ابنه عزا لدولة بختيار مقاليد الحكم ، ولم يكن الوضع أفضل من أيام أبيه ، فقد كان بختيار سيئ السياسة، فقد أهمل الأمور ، وأقبل على الشهوات، وكان يحبّ قضاء وقته في الصّيد والأكل والشرب ، والسّماع ، واللهو ، واللعب ، والنّرد .(٢)

وفسد عليه جنده ورعيته ، فاستعان بعّمه " ركن الدولة " (٣) ، فبعث إليه ولده " عضد الدولة " (٤) في سنة ٣٦٤هـ ، فأصلح له الأمور(٥).

** عضد الدّولة (٣٦٧- ٣٧٣ هـ) :-

طمع عضد الدولة في ملك الأمير بختيار ابن عمه ، واعتقله ، ولكن وزير بختيار (ابن بقّية) (٦)ثار على عضد الدولة ، وكاتب أباه ركن الدولة ، واضطر عضد الدولة أن يطلق بختيار ، ويعود إلى فارس .

وحين مات والده " ركن الدولة " ، عاد عضد الدولة إلى بغداد عام٣٦٧هـ ، واحتلّها وقتل بختيار ، وامتّد حكمه في ا لبلاد ،ولم يبلغ أحد من أمراء بني بويه ما بلغه من سعة الملك وبسطة السلطان ، وامتد نفوذه إلى العراق ، واستولى في عام ٣٦٨هـ على الموصل ، وديار ربيعة،و مضر ، وخضعت له البلاد الممتدة من بحر قزوين إلى الخليج الفارسّي(٧)

١-بختيار : أبو منصور بختيار عز الدولة بن أبى الحسن أحمد معز الدولة بن بويه ، ولد سنة ٣٣١هـ ، وخلف والده في الحكم سنة ٣٥٦هـ ، وقتل سنة ٣٦٧هـ ، (يتيمة الدهر ٤/٢)

٢- صلاح مدني : تاريخ الدولة العباسية سياسيا وحضاريا ، ص ٢٤٨

٣-ركن الدولة : هو أبو علي الحسن بن بويه ، لقبّه المستكفي بركن الدولة ، وهو شقيق معزّ الدولة وعماد الدولة وهو من كبار الملوك في الدولة البويهية ، صاحب أصبهان والري وهمذان وجميع عراق العجم ، دام مكة ٤٤ عاما توفي بالري عام ٣٦٦هـ ، (وفيات الأعيان ١١ : ١٤١)

٤-عضد الدولة : أبو شجاع فناخسرو بن أبي علي ركن الدولة ، كان يلقب بشاهنشاه ، دخل بغداد ٣٦٧هـ ، وفتحها واستقبله الخليفة الطائع وطوقه وسوّره ، وكانت بغداد خاربة فعمرّها وأعاد بناءها وكان ذكياً سائسا توفي سنة ٣٧٢هـ ، وعمره ٤٨ عاما (المنتظم ١١٣/٧)

٥-التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج٣، ص٢١٢، انظر : ابن مسكويه : تجارب الأمم ، ج٢، (ص٣٤٧،٣٥٢)

٦-ابن بقيّة : وزير الأمير بختيار ، ومدّة وزارته ٣٦٢-٣٦٦هـ (نشوار المحاضرة ، ج ١، المقدّمة ، ص ٢٤)

٧-محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ص ٦٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

** صمصام الدّولة (٣٧٣هـ _ ٣٧٦هـ) (١)
وشرف الدّولة (٣٧٦هـ _ ٣٧٩هـ) (٢) :-

في عام ٣٧٣هـ ، لمّا مات عضد الدولة ، فعادت الخلافات تأخذ دورها بين أبناء بويه ، وتولىّ الحكم بعد عضد الدولة ابنه صمصام الدولة .

وشرف الدولة أكبر من صمصام الدولة ، إلا أنه كان في فارس أثناء مبايعة أخيه بعد والده (٣).

وكان بين صمصام الدولة و أخيه شرف الدولة حربٌ انتصر فيها شرف الدولة ، وسار شرف الدولة من الأهواز إلى واسط سنة٣٦٧هـ ، فاستولى عليها (٤).

وقدم صمصام الدولة واستقبله أخوه شرف الدولة استقبالاً حسناً ، ثم لم يلبث أن قبض عليه ، وسار به إلى بغداد ، ولما ثار الديلم في الأتراك وانتصر عليهم ، ونادوا بعودة صمصام الدولة ، وهدّد (شرف الدولة) بقتله فرضخوا ، وتمكّن من توحيد صفوفهم ، ثم أرسل أخاه ، فاعتقل في إحدى قلاع فارس (٥).

و كان الخليفة الطائع منذ وصول شرف الدولة قد استقبله وهنأه بالظفر ، وتوّج وسوّره ، وكتب له عهداً ، وولاّه ما وراء بابه ، وعقد له على لوائين ، ولقبه شاهنشاه (٦) .

وكان شرف الدولة يميل إلى مرضاة أخيه ، وإيثار الرفق به ، ولكن سُعاة السوء من الحاشية ما لبثوا أن غيّروه فأمر بسمله (٧) .

١- صمصام الدولة : هو أبو كاليجار ، وكانت ولايته في العراق ، وكان على صراع دائم مع شقيقه شرف الدولة ، وهزم صمصام الدولة على يد شرف الدولة ، وسجن وسُمل ومات في عام ٣٨١هـ .(ابن الأثير الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص٢٣)

٢- شرف الدولة : (٣٤٠-٣٧٩ هـ) ، هو شيرويه بن عضد الدولة ، أبو الفوارس ، تملك وظفر بأخيه صمصام الدولة فحبسه ، وكان فيه خير وقلة ظلم ، ومات شاباً (النجوم الزاهرة ١٤٨/٤-١٥٦)

٣- ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ١٤٨-ص١٥٦

٤- ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٢٣ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٩ م

٥- المصدر السابق نفسه ، ج ٩ ، ص ٦٣

٦- صلاح مدني : تاريخ الدولة سياسيا وحضاريا ، ص ٢٥١

٧-ابن الأثير : الكامل في التاريخ : ج ٩ ، ص ٢٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

** بهاء الدَّولة (٣٧٩- ٤٠٣هـ):-

عندما توفي شرف الدولة ، عهد بالأمر لأخيه الأصغر بهاء الدولة، وقد سار بهاء الدولة إلى دار الخلافة بعد وفاة أخيه بخمسة أيام ، فخلع الخليفة الطائع ، وأخذ ما في داره من ذخائر ، وبويع للقادر بالله من بعده سنة ٣٨١هـ (١)٠

** عماد الدَّولة (٢) (٣٢٠- ٣٣٨هـ):-

لم تفترق فارس خلال الحكم البويهّي عن العراق ، إلا في زمن الأخوة الثلاثة ، مؤسسّي الأسرة ، وعماد الدَّولة كان مؤسّس الإمارة البويهّية في فارس ٠

ولم يكن يمثّل عماد الدَّولة خصال السيد الحاكم ، بقدر ما يمثل خصال القائد الذكي ، بل كان أشبه بتاجر مخادع ، وكانت له مواهب الأذكياء (٣) على أنّه يُحب أخويه ، وعلاقته متينة بهما ، ولم يكن له ولد ، فقال عن أخويه : " ولقد أصبحت وأمسيت ، وما مناي على الله إلا العافية،و سلامتهما ، وبقاؤهما أخواي بالنسب ، وابناي بالتربية ، وصنيعتاي بالولايات ٠٠٠ " (٤)٠

١- النتوخي : نشوار المحاضرة ، ج ٧، القصّة ٧٣ ، ص ١٢١

٢- عماد الدّولة : هو علي بن بويه بن فناخسرو الديلميّ ، أبو الحسن ، عماد الدّولة ، أول من ملك من بني بويه كانت له بلاد فارس، وعاصمته شيراز ، وهوأخوّ ركن الدولة (الحسن) ومعز الدولة (أحمد) كان أبوهم صياد سمك ،وتقدّمت بهم الأحوال ، فملكوا وساروا ، واستمر عماد الدّولة في ملكه ١٦ سنة ، ومات بشيراز عقيماً (وفيات الأعيان لابن خلكان ٣: ٣٩٩) .

٣- متز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجريّ

٤- ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٣ ، ص ٣٩٩(تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة، بيروت)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب ـ الوزارة والوزراء :-

لمّا دخل بنو بويه بغداد سنة ٣٣٤ هـ ، واستأثروا بالسلطة، وصاروا يعّينون الوزراء وغيرهم من العمال ، فسلب معز الدولة حقّ الخليفة في تعيين الوزير ، وعيّن له كاتباً يديرُ إقطاعه وإخراجا ته (١).
أحدث أمراء بني بويه تعديلاً في نظام الوزارة ، ولم يكن معروفاً من قبل ، فقد أدخل عضد الدولة أمرين في منصب الوزارة لم يُعهدا من قبل، هما : (٢)

- اتخاذ وزيرين معا .
- قبول وزارة الذمّيين ، فأحد هؤلاء الوزيرين قد يكون ذمّياً مثل الوزير ،وهذان الأمران يولّدان الخلاف بين الوزراء (٣).

ويمكن أن نضيف إلى هذا كلّه أن وزراء البويهّيين تميّزوا بالصّفة الأدبية ،ومنهم ابن العميد والصاحب إسماعيل بن عبّاد .

وممّن تولّوا الوزارة في عهد البويهّيين :-
- أبو مُحَمّد الحسن المهلّبيّ (٤) : (٢٩١-٣٥٢هـ)
وكانت حالته قبل اتصاله بمعزّ الدولة بن بويه ، في شدّة عظيمة من الضرورة ، والمضايقة ، وسافر وهو على تلك الحالة ، ولقي في سفره

١- محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ، ص ٦١
٢- صلاح مدني : تاريخ الدولة العباسية- سياسياً وحضاريا - ص ٢٦٠
٣-آدم متز: الحضارة الإسلامية - ج ١ - ص ١٥٤
٤- المهلبي : هو من أولاد المهلب بن أبي صفرة- ولد ٢٩١هـ- وتوفي ٣٥٢هـ - كان يترسّل ترسّلاً بليغاص ويقول الشعر قولاً لطيفاً واشتهر بالكفاية والأمانة وحسن السيرة- (معجم الأدباء ،ج ٣ ، ص ٩٧٦- ص٩٨١)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شدّة عظيمة ، (فاشتهى اللّحم فلم يقدر عليه ، فقال ارتجالاً :

" ألاَ مَوْتٌ يُبَاعُ فأشْتريهْ فهذا العَيْش مَا لا خَيْرَ فيه
ألاَ مَوْتٌ لذَيذُ الطَعْم يَأتِي يُخَلّصُنِي مِنْ العَيْش الكَريهْ
إذا أبصرتُ قبراً من بعيد وددتُ لوْ أنّني فِيمَا يَليه
ألاَ رَحمُ المُهيمنْ نَفسٌ حُر تَصَدّقْ بالوَفَاة عَلَىَ أخِيهِ)(١)

وكان له رفيق ، يقال له : أبو عبد الله الصوفي ّ ، وقيل أبو الحسن العسقلانيّ ،فلمّا سمع هذه الأبيات ، اشترى له لحماً بدرهم ، وطبخه وأطعمه وتفارقا ، وتنقلت الأحوال ، وولي الوزارة ببغداد لمعزّ الدولة ،و ضاق الحال برفيقه الذي اشترى له اللحم في السفر ، وبلغه وزارة المهلبي ، فقصده وكتبه إليه :

ألاَ قُلْ للوَزير فدتُه نَفسِي فقال مذكر مَا قَدْ نَسيهِ
أتَذكَر إذْ تقولُ لِضيق عَيْش ألاَ مَوْتٌ يُبَاع فأشْتريهِ

فدعاه المهلبيّ ، وقلّده عملاً ، يرتزق منه " (٢)

وقد اشتهر المهلبيّ بالكرم ، وكان يتحدث عن الكرماء ويقول : "كرم الكريم يستر عليهم ، ما تكشفه النوائب من سوء (٣) ، وفرقّ في ليلةٍ من الليالي ، على جماعة كانوا حضوراً معهم ، من مغنيّن وملهين وغير ذلك من الدراهم والثياب ، مايبلغ خمسة آلاف دينار (٤)٠

نظم المهلبّي الشعر ، وأورد التنوخيّ له مقطوعات منها :

" أمِنْلِي يَا أخِي وشَقيق رُوحِي يُفَارقُ عَهْدهِ عِنْدَ الفِراق
وَيسلُو سَلوَة مِنْ بَعْد بُعْدِ ويَنْسَبه الشقيق إلَى الشِقَاق
وَأقسِمُ بِالعِنَاق ، وَتلِكَ أوْقَى واشْقَى مِنْ يمُينِي بالعِنَاق
لقَدْ ألصَقت بي ظَنًّا ظَنَينا تُجَافِي جَانِبَاه علىَ التصَاق(٥)

وله أيضا :

" وُصِلَ الكِتَابُ طليعَة الوَصل بغرَائِب الأفضَال والفَضل
فشَكَرتهَ شَكْر الفَقِير إذَا أغْنَاهُ ربّ المَال بالبَذل
وحَفظتهُ حِفْظَ الأسِير إذَا وُرِدَ الأمَانُ لهُ مِن القَتْل(٦)

١- التنوخي : الفرج بعد الشدة – ج ١- ص١٧٨
٢- التنوخي : نشوار المحاضرة – ج ٧- (ص ٢٥٣- ص ٢٥٤)
٣- التنوخي : نشوار المحاضرة – ج ٣ – ص ٢٥١
٤- التنوخيّ : نشوار المحاضرة – ج ١ – ص ٧٤
٥- التنوخيّ :نشوار المحاضرة – ج ٣ – (ص ١٨٧- ص ١٨٨)
٦- التنوخيّ : نشوار المحاضرة – ج ٣ – ص ١٨٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ل بن عباد ، كافي الكفاة ، وزير لأمير ركن
الدولة من بعده ، كان من نوادر الدهر علما
ة في بالرّي سنة ٣٨٥هـ . وله شعر
ع (١).

اد ، فقد كان يقول الصاحب بن
اهد جراة محمد بن عمر
ظرف أبي مُحَمَّد بن

الرابع الهجريّ
ارة وتجلّت

كبّر أهل القلعة، فاغتاظ أبو الفضل وأمر بردّ الغلام ، فنزل من جاء به، فأمر أن يكتّف ويُرمى ثانية، فسأله من حضر أن يعفو عن الغلام ، فلم يفعل ، وألحوّا عليه ، فحلف أنّه لابدّ أن يطرحه ثانية فامسكوا . وطرح الغلام ، فلمّا بلغ القرار قام يمشي سالمًا ، وارتفع من التكبير والتهليل أضعاف ما ارتفع أولا .

فقال الحاضرون : هل بعد هذا شئ ؟ اسألوه العفو عنه ، وبكى بعضهم فاستحي أبو الفضل وعجب ، وقال : ردّوه آمنا ، فردّوه . فأمر بقيوده ففكّت ، وبثياب طرحت عليه كما يحدثنا التنوخي (٦).

١-التنوخيّ : الفرج بعد الشدة- ج ٤ - ص ٩٧
٢- التنوخيّ : نشوار المحاضرة - ج ٨- ص ٢٠٠
٣- التنوخيّ : الفرج بعد الشدة- ج ٤ - (ص ٩٧- ص ١٠٣)
٤-التنوخيّ : الفرج بعد الشدة- ج ٤ - ص ٩٧
٥-بقل -ظهر وطلع
٦-التنوخيّ: الفرج بعد الشدة- ج ٤ - ص ٩٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعند دخول البويهيّين بغداد عام ٣٣٤هـ ، لم تستقر الأمور بينهم وبين الحمدانييّن على حال ، واستولى معزّ الدولة على الموصل في عام ٣٣٧هـ،ورحل ناصر الدّولة إلى حلب حيث أخوه سيف الدولة الحمدانيّ (١).

وقد كان من طبع سيف الدولة إسداء المكارم مع الغير(٢) فبعث إلى أخيه معزّ الدولة طالباً الصّلح ، وأبرم الصّلح ، وتعهّد سيف الدّولة أن يؤدّي الأموال الواجب أداءها سنوياً عَن ناصر الدولة المعز الدولة.

وظلّ الصّلح حتى ٣٥٢ هـ ، ثم ساءت الأحوال بعد أن طلب معز الدولة الزيادة في دفع الأموال ، ولم يوافقه ناصر الدولة ، فثارت ثورة معز الدولة، واستولى على الموصل ثانية ، ثم تدخّل أبو تغلب بن ناصر الدولة (٣) ،وتعهد بدفع الأموال المقررة على أبيه .

وفي عام ٣٥٨هـ ، ضعف سلطان الحمدانييّن بعد وفاة ناصر الدولة لاختلاف أولاده ، وانقسموا قسمين : قسم يؤازر حمدان بن ناصر الدولة (٤) وقسم يؤازر أبا تغلب ، وانتهى الصراع بانتصار أبي تغلب سنة ٣٦٠هـ(٥).

وتفاقم الأمر بين أبناء ناصر الدولة ، عندما استوحش أبو تغلب من أخيه محمد (٦) ، بعد موت أبيهما ، فقبض عليه ، واستصغي ماله ونعمته،و ثقله بالحديد ، وأنفذه إلى قلعة أرد مشت (٧) ،وحبسه ومنع عنه الناس والأخبار ، وبقي على هذه الحال نحو ثمان سنين (٨) حتى أطلقه عضد الدولة وولاّه ما كان يليه أخوه أبو تغلب (٩) ، وأكرمه كرماً فياضاً ، وحمله

١-التنوخيّ : الفرج بعد الشدة- ج ٤ -ص ١٠٨- القصة ٤٠١
٢-التنوخيّ: نشوار المحاضرة - ج ٣ (ص ١٧٣-١٨٣)- ج ٢ - القصة ٦٣- القصة ١٥٥
٣- أبو تغلب بن ناصر الدولة : فضل الله ، الغضنفر - عدّة الدولة - ابن أبي مُحَمّد الحسن ، ناصر الدولة - بن عبد الله الحمدانيّ - التغلبيّ - أمير الموصل - استولى على الإمارة من أبيه وحارب عضد الدولة - فخسر المعركة - وفرّ إلى الشام - ثم إلى فلسطين - وقتل ثم أسر في سنة ٣٦٩هـ (النجوم الزاهرة - ٤: ١٣٦)
٦- حمدان بن ناصر الدولة - أبو المضفر - ابن ناصر الدولة - أمير الرحبة - وكان شجاعا - وملك الرقة - وسار إلى إلى نصيبين - حارب أبو تغلب وصالحه (تجارب الأمم ٢٥٤/٢)
٧- التنوخيّ : الفرج بعد الشدة - ج ٢ - ص ١٨٤
٦- أبو الفوارس محمد بن ناصر الدولة : أمير حمداني شجاع - كان أسيرا عند الروم سنة ٣٥٤هـ، و أطلق مقابل أمير روميّ أطلقه سيف الدولة(نسوار المحاضرة- ج ١ - ص ٢٢٨)
٧- أرد مشت : قلعة حصينة قرب جزيرة ابن عمر في شرقي دجلة الموصل ، على جبل الجودي - فتحها المعتضد وخربها فأعاد أبو تغلب الحمداني بناءها واتخذها مدخراً لنفائسه ومعتقلاً لخصومة وقد فتح عضد الدولة هذه القلعة سنة ٣٦٨هـ (معجم البلدان لياقوت الحموي ١٩٩/١)
٨- القاضي التنوخيّ : الفرج بعد الشدّة- ج ٢ - القصة ١٩٦- (ص ١٨٤-ص ١٨٥)
القاضي التنوخيّ : نشوار المحاضرة- ج ٢ - حاشية - ص ٤٦
٩- القاضي التنوخيّ : الفرج بعد الشدّة- ج ٢ - ص ١٨٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على فرس فاره بمركب ذهب ، وقيد بين يديه خمس دواب بمراكب فضة وأعطاه من صنوف الثياب الفاخرة، والفرش ، والطيب ، ومنحه دارا قد فرشت بأحسن فرش(١) .

أما في إقليم الجزيرة ، فقد كان الحمدانيون شبه مستقلين ، وفي حلب استطاع سيف الدولة الحمداني ، أن يعلن استقلاله ، واعتبر حامي المسلمين من الروم ويحثنا التنوخي عن المفاداة التي كانت تتم بين المسلمين والروم في عهد سيف الدولة، فقد كان سيف الدولة يقيم الفداء (مبادلة الأسرى)، ففي عام ٣٥٥هـ أنفق على الأسرى خمسماية ألف دينار ،" وأخرج كل من قدر على إخراجه من المسلمين، واشترى كل أسير بثلاثة وثمانين دينارا وثلث رومية ، من ضعفاء الناس " ، وجلة الأسرى ، فادى بهم رؤساء كانوا عنده أسرى من الروم (٢) .

وقد بدأ ضعف الحمدانيين في حلب بعد وفاة سيف الدولة سنة ٣٥٦هـ وواجه ابنه سعد الدولة (٣) بعض المصاعب ، إلى أن توفي في ٣٨١هـ .

وجاء بعد سعد الدولة ابنه سعيدالدولة (٤) أبو الفضائل ، وحاول الفاطميون في أيامه الاستيلاء على حلب ، لكن محاولتهم باءت بالفشل ،و استمر الفاطميون يحاولون الاستيلاء على حلب حتى تمكنوا من ذلك،و امتد سلطانهم إلى حلب مما مهد لهم أمر القضاء على سلطة الحمدانيين،وأعلنت الطاعة للخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي (٥).

١- القاضي التنوخيّ: الفرج بعد الشدة – ج ٢ – ص ١٨٨

٢- القاضي التنوخي : نشوار المحاضرة – ج ١ ، ص ٢٨١

٣- سعد الدولة ، أبو المعالي شريف بن سيف الدولة– صاحب حلب وحمص وما بينهما – جليس على سرير أبيه سيف الدولة سنة ٣٥٦هـ – وحصلت وحشة بينه وبين خاله أبي فراس – فقتل أبو فراس سنة ٣٥٧هـ على يد غلام لسعد الدولة وتوفي سنة ٣٨١هـ (النجوم الزاهرة ١٣٦:٤)

٤- سعيد الدولة-: هو سيد بن شريف بن علي الحمدانيّ– أبو الفضائل – من ملوك الدولة الحمدانية في حلب - وليّ بعد وفاة أبيه " سعد الدولة سنة ٣٨١هـ– ولقب سعيد الدولة " ووجّه إليه العزيز بالله صاحب مصر جيشا يقوده بنجوتكين التركي فاستولى على حمص وحماة في طريقه وحصر حلب مدّة واستنجد سعيد الدولة بالروم وقاتلهم بنجوتكين – ومات سعيد الدولة مسموما بحلب هو وزوجته (النجوم الزاهرة ٢٩٤/٤)

٥- الحاكم بأمر الله الفاطميّ : هو أبو علي منصور الحاكم بأمر الله بن نزار العزيز بالله بن معدّ المعزّ لدين الله بن إسماعيل بن محمد العبيديّ الفاطميّ– وكان مولده في عام ٣٧٥هـ وفاته في ٤١١هـ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* الدّولة الإخشيديّة :-

يذكر التنوخي أنه وجد في بعض الكتب أنّ مؤسس الدولة الإخشيديّة في مصر والشام هو أبو بكر بن طغج بن جف (١) الملقب بالإخشيد ، كان رقيق الحال ضعيفاً له دكان يجلس عليا دائماً ، " وكان له رزقٌ سلطانيّ يسير " ، وبناته كثير ، لا ذكرفيهنّ ، وقد كان يقول : " ليت كان لي فيما رزقته من الولد ، ذكر واحد ، فكنت أتعزّى به قليلاً ، ويخفّ بالرَّجاء له والسرور به ، بعض كربي وهميّ بهؤلاء البنات (٢) .

وتقلّب الزمان بالإخشيديّ ، وخرج في جملة من الخيالة إلى الشام،و ترامت به الأحوال حتى بلغ علوّ شأنه ،وارتفاع ملكه ،وحصول الأمر له،و لولده من بعده ، بعد أن منّ الله عليه بالذكور (٣).

ومصنفات التنوخي لم تسعفنا بأخبار أخرى عن الإخشيديّ هذا، إلا أن إسم " كافور الإخشيديّ " (٤) قد لمع في هذه الدولة.

كان كافور الإخشيديّ مملوكاً للإخشيد صاحب مصر ، ولمّا توفي الإخشيد وخلفه ولده ، سيطر كافور على المملكة ، وحكم مصر حكماً مستمراً دام ٢٢ سنة (٥).

* الدَّولة الطَّاهريَّة :-

الدولة الطاهرية من الدول المستقلة التي قامت في شرق الدولة الإسلامية على يد عناصر فارسيّة (٦) ، وأسسها طاهر بن الحسين (٧) وهو من قواد الخليفة المأمون ، وكان موضع ثقته .

١-أبو بكر محمد بن طغج : ولد في ٢٦٨هـ وتوفي في ٣٣٤هـ وهو مؤسس الدولة الإخشيدية فرغانيّ الأصل من أبناء المماليك نشأ في بغداد وولاه الراضي إمرة الدّيار المصرية وكانت وفاته في دمشق – (وفيات الأعيان ٤١/٢ وتجارب الأمم ١٠٤/٦)

٢- القاضي التنوخيّ :الفرج بعد الشدة– ج ٣ – ص ١٩٥

٣- القاضي التنوخيّ : الفرج بعد الشدة– ج ٣ – ص ١٢٠

٤- كافور الإخشيديّ: هو أبو المسك كافور بن عبد الله الإخشيديّ (٢٩٢- ٣٥٧هـ) وكان مملوكاً للإخشيد صاحب مصر وخلفه المتنبي مدحاً وذماً وتوفي في القاهرة (وفيات الأعيان ٤٣١/١ - والأعلام ٢١٦/٥)

٥- ابن خلكان : وفيات الأعيان – ٤١/٢

٦- التنوخيّ : نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة – ج ٥- ص ٤١

٧- طاهر بن الحسين : هو طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي– ابو الطيّب – ولد في ١٥٩هـ – وتوفي في ٢٠٧هـ من كبار الوزراء والقواد– أدباً وحكمه وشجاعة – وهو الذي وطد الملك للمأمون – وقتل الأمين فيعام ١٩٨هـ لقب بذي اليمينين لأنه ضرب رجلاً بشماله فقده نصفين – وولي العراق وخراسان – ولقبه المأمون بهذا اللقب – وكان أعور (وفيات الأعيان – ١ : ٢٣٥ وتاريخ بغداد ٩ : ٣٥٣)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اتخذ الطاهريّون نيسابور قاعدة لهم ، قامت دولتهم في عام ٢٠٥هـ وحاولوا إفشاء حكم مستقرّ في خراسان وقاوموا عناصر الاضطراب وشجعوا التعليم واهتموا بالزراعة .

كان الطاهريون يدفعون جزية سنوية لدار الخلافة ، وظلّوا أنصارا للعباسيينّ وقضوا معهم على ثورات العلويّن والخوارج ، وقرب العباسيّون الطاهريّن إليهم ومالوا إلى جانبهم في النزاع مع الصفاريّن وابقوا شرطة بغداد في أيديهم حتى عام ٣٠١هـ (١) .

*** الدولة الصفاريّة :-**

وهي دولة قامت على يد عناصر فارسية أيضاً ، وكانت في سجستان وأسسها يعقوب بن الليث الصفار (٢) في عام ٢٥٤هـ (٣).

لم يكن يعقوب الصفار ، يريد الاستقلال عن الدولة العباسية ، وإنما كان يرغب في أن يكون أميرا من قبل الخليفة العباسي ، ليستولي على دولة الطاهريّن ، ونجح في ذلك واستطاع تأسيس دولة انتشر نفوذها في سجستان وفارس (٤).

ولما توفي يعقوب بن الليث سنة٢٦٥هـ بايع الجند أخاه عمرا ، وكان عمرو بن الليث (٥) يتميز في إدارة دولته ، وكانت سلطته تستند إلى القوة الحربية ، ولذلك اهتمّ بالعمل على زيادة موارد دولته .

لم يقم الصفاريون بأداء جزية منظمة لحكومة بغداد ، وطبقوا مبادئ العدل والمساواة بين أتباعهم ، فأدى ذلك إلى تأييد الطبقات الفقيرة في سجستان لهم (٦) .

١- عبد العزيز الدوري: دراسات في العصور العباسية المتأخرة- بغداد - ١٩٤٥م -(ص ١١٠-١١١)

٢- يعقوب بن الليث الصفار : هو أبو يوسف - كان في صغره يعمل في الصفر (النحاس) استولى على فارس وجبى خراجها وملك فارس بقبضه على محمد بن طاهر بن الحسين- وتوفي في ٢٦٥هـ

٣- ابن خلكان : وفيات الأعيان - ج ٢ - ص٣١٢

٤- التنوخيّ : الفرج بعد الشدة - ج ٢ - ص ١٠٤

٥- عمرو بن الليث: هو ثاني أمراء الدولة الصفارية- شجاع داهية- وكان تحت حكمة خراسان وأصبهان وسجستان والسند - واستمرّ إلى سنة ٢٨٧هـ في حروب متصلة مع السامانيين حتى وقع في الأسر في سنة٢٨٧هـ واعتقل ببغداد ومات في سنة ٢٨٩هـ (ابن الأثير ١٧٠/٧)

٦- الدوري : دراسات في العصور العباسية المتأخرة (ص ١١٨ ص١١٩)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* الدولة السامانيَّة :-

وهي دولة فارسيّة ، استقلت عن الدول الإسلامية ، أقامها السامانيون في خراسان وما وراء النهر بعد زوال الدولة الصفارية عام ٢٦١هـ .

اشتهر من بين السامانيين نصر بن أحمد بن أسد بن سامان الذي ولاه الخليفة العباسي بلاد ما وراء النهر سنة ٢٦١هـ ، واتخذ سمرقند مركزا له(١) ، وبعد وفاة نصر عام ٢٧٩هـ ، آلت زعامة السامانيين إلى أخيه إسماعيل بن أحمد ، فعمل على تدعيم نفوذ الدولة السامانية، واستطاع أن يبسط سلطانه على بلاد خراسان بعد أن أوقع الهزيمة بالصفّارية (٢) .

أقرَّ الخليفة المكتفي أبا نصر احمد بن إسماعيل(٣) علي ولاية أبيه، ولم تطل ولايته ، فقد هجم عليه بعض غلمانه وقتلوه سنة ٣٠١هـ .

تولى نصر بن أحمد بن إسماعيل(٤) الحكم - وهو في الثامنة من عمره،واستصغر الناس سنّه واستضعفوه ، وتنافس أمراء البيت السامانى على السلطة، وبعث بعضهم إلى الخليفة المقتدر ، يسأله كل منهم إمرة ناحية من نواحي خراسان ، لكن المقتدر وافق على ولاية نصر بلاد أبيه .

وأخذت بوادر الانحلال تظهر في الدولة السَّامانية في منتصف القرن الرابع الهجريّ، بسبب وقع النزاع بين الأمراء السَّامانيين وخروج القواد والعمال عليهم ،وقامت الحرب في عام ٣٥٦هـ بين السامانيين ولكن الدولة البويهيّة ، وظلّ العداء قائماً حتى عام ٣٦١هـ ،حيث تمَّ الصلح بين الطرفين السامان وركن الدولة وولده عضد الدولة(٥).

١-الدوري : دراسات في العصور العباسيّة المتاخرة (ص ١٢٠-ص١٢١)

٢- محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق- ص ٨٣

٣- احمد بن إسماعيل : أبو نصر - من أمراء بني سامان - وكان طموحا عالي الهمة - واجتاز لريّ وهراة واستولى على سجستان سنة ٢٩٨هـ (لابن الكامل الأثير ٨: ٢٥)

٤- التنوخيّ : نشوار المحاضرة - ج ٣ - القصة ١٨- ص ٣٣

نصر بن أحمد السامانى : (٢٩٣-٣٣١) - أبو الحسن الملقب بالسعيد - صاحب خراسان وما وراء النهر ، ولد وتوفي ببخارى وكان ذكيا مقداما وحكم خراسان وجرجان والري ونيسابور ومات بالسلّ (النجوم الزاهرة ٣: ٨٣)

٥ - بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية - دار العلم للملايين - بيروت - ١٩٤٨م - ص ١١٨ - ج ٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* الدَّولة الغزنويَّة :-

كان لازدياد نفوذ الأتراك في بعض مناطق الدول الإسلامية أثره في تطلّعهم إلى أن تكون لهم السيادة في هذه المناطق ، وتجلّت أطماعهم في الإستقلال بالولايات الشرقية منذ استعانة السامانيين بهم في إدارة شؤون دولتهم .

استطاع سبكتكين (١) بفضل انتصاراته أن يضع أساساً للدولة الغزنونيّة، في عام ٣٥٥هـ وسّع سبكتكين ملكه من ناحية الهند ، وانشأ بها حكومة في بشاور ، وامتدّ نفوذه إلى فارس باستيلائه على خراسان وماإليها ، واعترف سبكتكين للسامانيين بالسيادة ،وفتح البلاد باسمهم حتى اتسّعت رقعة ولايته وعمرت خزائنه (٢).

* د ـ الدواوين :-

الديوان ، كلمة تطلق على جريدة الحساب ، ثم أطلقت على الحساب ، ثم على الموضع الذي يجري فيه الحساب (٣) .

اتسعّت الدواوين في أيام الخلافة العباسيّة وتشعّبت ، ولمّا استقرت الأمور في أيام المهديّ ، قلّد الدواوين عمر بن بزيع وتفكّر فوجد أنه لا يمكن أن يضبطها لتعدّدها واتّساع أعمالها ، فاتخّذ دواوين الأزمة، وولىّ كلّ ديوان رجُلاً ،وأصبح لكلّ ديوان من دواوين الأصول ديوان زمام يراقبه ويشرف على أعماله ،ثم اتخذ المهديّ ديواناً أسماه ديوان زمام الأزمة ، يظهر أنه كان يراقب على دواوين الأزمّة ويشرف عليها (٤) .

١- سبكتكين : وهو قائد تركي ـ كان مولى لمعز الدولة ـ وحاجبه ـ وغرف بجاشنكير وكان معزّ الدولة يعتمد عليه في أمر الجيش وسيطر على بغداد وخلع المطيع ونصّب الطائع ـ وخرج مع الخليفة الطائع لمحاربة بختيار .
أنظر التنوخي ـ الفرج بعد الشدة ـ ج٤ ـ ص ٣٦٢
التنوخي : نشوار المحاضرة ـ ج ٣ ـ ص ٢٠٦
التنوخي: نشوار المحاضرة ـ ج ٤ ـ ص ٢٥٩
التنوخي: نشوار المحاضرة ـ ج ٥ ـ ص ١٧٣

٢- خلّف سبكتكين وراءه بعد وفاته عام ٣٦٣هـ ـ ألف ألف دينار وعشرة آلاف ألف دينار وصندوقين من الجواهر وخمسة وأربعين صندوقا ـ من أنية الذهب ـ غير العروض الأخرى من بلور وفرش ـ وخيل ـ ودواب ـ وجمال ـ ومماليك (المنتظم ٦٧/٧ ، وتجارب الأمم ٣٢٧/٢ و ٣٣٣ و٣٣٤)

٣- ابن منظور : لسان العرب ـ المجلد الرابع ـ مادة " دوّن "

٤- التنوخيّ : الفرج بعد الشدة ج ١ ـ ص ٢٢٠ ـ و انظر التنوخيّ نشوار المحاضرة ،ج ٨ ، ص ٢٤)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كان لكلّ ولاية ديوان ، يشرف على شؤونها وينقسم كلّ ديوان إلى فرعين ،أولهما يُسمىّ الأصل ، ويختص بفرض الضرائب وحملها إلى بيت المال ، ومراقبتها ، والعمل على زيادة مواردها ، أي أن هذا القسم يختصّ بالإدارة ، وثانيهما يُسمَّى الزمام أو ديوان المال ، ويرأسه عادة رجلٌ من أصحاب المال ، واستمرّ هذا النظام قائماً إلى أنّ وليّ المعتضد الخلافة (١)

ولمّا جاء الخليفة المعتضد ، ختم دواوين الولايات كلّها ، وألّف منها ديوان الدّار (٢)، وثلاثة فروع وهي : ديوان المشرق ، وديوان المغرب ، وديوان السواد (العراق) ، وكذلك وضع هذا الخليفة أزمة هذه الدواوين كلّها في يد رئيس واحد (٣).

كان الاشتغال في الدواوين ، يختلف في عمله ، عن عمل الفقهاء والعلماء ، فيمثّل المشتغل بإدارة الدواوين الثقافة الأدبية ، ولا يتعرض للعلوم الشرعيّة ، إلاّ بمقدار ما يتطلّبه عمله وثقافته، ومن ثمّ أصبح العمل في الدواوين ملجأ للأدباء الدّين لم ينشأوا في بيئة دينيّة .

وانحصرت الأعمال الإدارية في عهد العباسيّين في عدّة دواوين ،و منها:

١- ديوان الجيش : وله مجلسان ، يتولىّ أحدهما أمر استحقاقات الجند ،و تقدير أرزاقهم ، وكان يراعى في تقديرها كفاءتهم ورتبهم العسكرية والأماكن التي يرابطون فيها (٤) .

أما المجلس الثاني فيختّص بالنظر في السجلات التي تقيّد بها أسماء الجند إذ كانت ترتب وفقاً لأجناسهم وقبائلهم (٥).

٢- ديوان المصادرين : وكانت وثائق الأموال المصادرة ، ترد إليه ويكتب منها نسختان تحفظ إحداهما بالديوان وتُرسل الأخرى للوزير(٦)

٣- ديوان الرسائل : وكان رئيسه يضطلع بتحرير المراسيم ووثائق التوية ، والعقود ، والرسائل الرسمية والسياسية وعُرف باسم " ديوان الإنشاء والمراسلات (٧).

١- التنوخيّ : الفرج بعد الشدة – ج ١ – ص ٢٢١ = انظر التنوخيّ – نشوار المحاضرة – ج ٨ – ص ٢٤١
٢- الصابي : الوزراء – ص ١٣١- ويسميّ أيضا ديوان الدار الكبير – المصدر نفسه – ص ٢٦٢
٣- التنوخي : الفرج بعد الشدة – ج ١ – ص ٢٢١
٤- التنوخي : نشوار المحاضرة – ج ٨
٥- متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجريّ – ص ١٤٨
٦- التنوخي : نشوار المحاضرة – ج ٨ – ص ٣٥
٧- التنوخيّ : نشوار المحاضرة – ج ٨ – ص ٣٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤- ديوان التوقيع : وإليه تُقدّم رقاع أصحاب الحاجات ، وبعد استطلاع نظر الخليفة فيها ، تُرسل إلى صاحب ديوان الدار ، ومن هذا الديوان ترسل إلى صاحب الديوان المختصّ بالمسائل التي ترد في الرّقاع (١).

٥- ديوان الخاتم : وكان يقوم موظّفو هذا الديوان بنسخ أوامر الخليفة وإيداعها به ، بعد ختمها بالشمع (٢).

٦- ديوان الفضّ : كانت ترد إليه الكتب التي يبعث بها الأمراء والعمّال إلى الخلفاء ، وكانت تُفضّ ، ويتولىّ الخلفاء النّظر فيها ، ثم تُرسل إلى الدواوين (٣).

٧- ديوان بيت المال : وهو في بغداد ، يشرف على ما يرد على بيت المال من الأموال، وما يخرج من ذلك من وجوه النفقات والإطلاقات(٤)

٨- ديوان البريد : يعرف رئيسه بصاحب البريد ،ومهمته هي موافاة الخليفة بكافة الأخبار والحوادث التي تصل إليه من أعوانه المنتشرين في أنحاء الأقاليم (٥).

عني أمراء بني بويه عناية كبيرة بشؤون البريد ، حتى أنه لم يعد يخفى عليهم شئ من أمور الدولة ، وكانت المراسلات البريدية تفضّ في حضرة الأمير البويهيّ ،ويأخذ منهاالرسائل الهامة ، ويرسل سائر الرسائل إلى ديوان البريد ليوزّعها على أربابها .

كان البريد يُنقل أثناء الحروب بالجمّازات ، بعد أن عدلوا عن استخدام الخيل وكذلك تجلىّ الإهتمام بتنظيم نقل البريد ، بواسطة الحمام الزّاجل في الدولة الإسلامية .

٩- ديوان الشرطة : عُهد إليه مراقبة المفسدين والقبض على الجناة، وبلغ من اهتمام الخلفاء بالشرطة انهم كانوا يختارون رئيساً من بين كبار رجالات الدولة ، ومن أهل العصبية والقوة (٦).

وحدّد ابن خلدون (٧) اختصاصات صاحب الشرطة في هذه العبارة : "... وكان أصل وضعها في الدولة العباسية لمن يقيم أحكام الجرائم في حالة استبرائها أولاً ، ثم الحدود بعد إستيفائها ... ، فكان الذي يقوم بهذا الاستبراء ، وباستيفاء الحدود بعده ، يسمّى صاحب الشرطة ...).

١-التنوخيّ : الفرج بعد الشدة – ج ٢ – ص ٢٢٢
٢- التنوخي : الفرج بعد الشدة – ج ٢- ص ٢٢٢
٣- التنوخيّ: الفرج بعد الشدة- ج ٢ – ص ٢٢٢
٤- متز: الحضارة الإسلامية – في القرن الرابع الهجريّ – ص ١٤٩
٥- التنوخيّ : نشوار المحاضرة – ج ٣ – ص ٢٧٨
٦- محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية – ص ٦٧
٧-العبر وديوان المبتدأ والخبر – ج ١ – ص ٢٠٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان صاحب الشرطة يتخذ مقره في حاضرة الدولة أو الولاية،و يعاونه في كلّ مدينة فريق من الجند ، يخضعون لرئيس منهم ، ويختص هؤلاء بحفظ الأمن وإقرار النظام وتنفيذ أحكام القضاة والمحتسبين وكانت الدولة تنفق عن سعة على رجال الشرطة، فتمنحهم الرواتب الكبيرة ، حتى كان منصب رئيس الشرطة ببغداد لا يقلّ عن منصب الوالي (١)٠

وأحدثت دواوين اقتضت الظروف إحداثها ، مثل ديوان البُرّ ، وقد أحدثه الوزير أبو الحسن علي بن عيسى بن الجراح ، عندما أقنع المقتدر ، فوقف على الحرمين والثغور ، المستغلات التي يملكها بمدينة السلام ٠

وأنشأ أيضاً ديوان المرافق ، أي ديوان الرشى، وكان سبب إحداثه آنذاك من سبق من الوزراء ، تساهلوا في الجباية ، وأنزلوا من بدالات ضمانات ألاحصار ، مبالغ عظيمة ، لقاء مبالغ ارتفاق ، يؤديها إليهم العمال سرّاً فأنشئ ديوان المرافق ، ليصرفها في أمور الدولة(٢) ٠

١- محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ـ ص ٦٨

٢- التنوخيّ : الفرج بعد الشدة ـ ج ٢ ـ ص ٢٢١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث

صورة الحياة الاجتماعية في القرن الرابع الهجريّ في مصنفات التنوخيّ

- **عناصر السكّان وأثرها في الحياة الاجتماعية**

١- العناصر العرقية
٢- الطوائف الدينيّـــة
٣- فئات المجتمع الإسلاميّ

- **الترف وأثره في المجتمع الإسلاميّ**

١- ترف الخلفاء وكبار رجال الدولة
٢- أثر الترف في المجتمـــع الإسلاميّ

- **الموسيقى والغناء**

١- تطوّر الموسيقى والغناء
٢- مجالس الطرب والغناء
٣- ضروب التسليـــــــــة

- **المجون والشعوبية والزندقة**

١- المـــجـــــــــون
٢- الشعوبية و الزندقة
٣- فـــــرق الزندقة
٤- آثـــار الزندقـــة

- **الزهـــــــد والتصوّف**

****

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

• عناصر السكان وأثرها في الحياة الاجتماعية :-

١- العناصر العرقية :-

أ ـ العـــــــرب :-

كان العرب في القرن الرابع الهجريّ على نوعين هما :-
البدو الذين نزحوا من الجزيرة العربية، وهؤلاء يحملون روح البداوة مـــن تقاليد وعصبيّة قبليّة ، وكانوا مصدراً للفوضى والاضطرابات ، فكثيراً مـــا يغيرون على أهل المدن ، وهؤلاء كان لهم اثر سيئ في الحياة الاجتماعيـة بنشرهم الرعب والفساد، والاضطرابات عن طريق الغارات ، فكثيراً ما خرّبوا مـد نـا كبيـرة ، والحقوا بها خسائر ماديـة ، فالكوفـة خرّبتـها بنـو خفاجة (١)٠

والمتحّضرون سكان المدن ، وهؤلاء يشكلون مدينة بني حمدان فـــي الموصل ، ومن العرب المتحضرين أيضا ، سكان البصرة والكوفـــــة ،و بغداد مقرّ الخلافة العباسيّة (٢)٠

وعلى الرغم من ضعف نفوذ العنصر العربيّ ، في القـــرن الرابـــع الهجريّ ، إلاّ أنهم حافظوا على عدم تفشيّ الفساد في المجتمع ، وفي الدعوة إلى التمسك بمبادئ الدين الحنيف٠

ب ـ الأتـــــراك :-

ظهر الأتراك بأعداد كبيرة في المجتمع العباسيّ في القرن الثاني للهجـرة في عهد المأمون ، فقد استقدهم المعتصم حين كان أميرا ، وازدادت شوكتهم فـي أواسط القرن الثالث الـهجريّ ، حتـى أخـذوا يقتلـون الخلفـاء ، وكـان المتوكلّ أول خليفة عباسيّ يقتل على أيدي الأتراك (٣) ٠

ولم يكن للأتراك مدينة أو حضارة قديمة ، بل كانوا أشبه بالبدو ، ولذلـك أطلق عليهم ا لجاحظ أعراب العجم (٤) ٠ وقد أكسبتهم البداوة قـــوة في

١- التنوخي : الفرج بعد الشدّة ، ج ٤ ، ص ١٠٨ ، الحكاية ٤٠١
التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ١، ص ٢٨١ ، الحكاية ١٥١
٢- التنوخي : الفرج بعد الشدّة ، ج٣ ، ص ٢٩٤
التنوخي : نشوار المحاضرة ج ١ ، ص ٢٣٤
التنوخي : المصدر السابق نفسه ، ج٤ ، ص ٢٥٣
٣- د٠ مليحة رحمة الله ، الحالة الاجتماعيـة فـي العراق فـي القرنيـن الثالث والرابـع بعد الـهجرة ، بغداد ، ١٩٧٠م ص١٠ ـ ١٢
٤-الجاحظ ، رسائل الجاحظ ، (١١ رسالة) ، مطبعة التقدم ، القاهرة ، ١٣٢٤هـ ، ص ٦٢ ، وما بعدها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البدن، وخشونه في الطبع ،وكان طابعهم حبّ الجنديّة والفروسيّة ، والإكثار من الجنود المجلوبة من بلادهم لتقوية حكمهم ، كما عُرفوا بأنهم ينظرون في شئ من الاحتقار إلى أهل البلاد ا لتي يحكمونها (١)٠

كانوا ينتصرون لمذهب أهل السنة ، ولا يميلون إلى الفلسفة والجدل في الدين ، ويقرّبون علماء الدين وخاصة علماء التفسير الحديث (٢)٠

أثر العنصر التركيّ في أحوال الدولة الداخلية ، فمصادرة أموال الناس ازدادت في عهدهم ، ففي عهد المتوكلّ صودرت أموال الوزير محمد بن عبد الملك الزيات ، وغيره من كبار الدولة ، وصارت المصادرات مصدراً يعوّل عليه وقت الحاجة (٣)٠

وكان جند الأتراك يحاولون جمع الأموال عن طريق آخر غير المصادرات ، وهو مطالبتهم الخلفاء بزيادة أرزاقهم ورواتبهم ، وقد أدت تلك الحالة إلى إثارة الاضطرابات في الدولة ، كما يروي التنوخي (٤) ٠

وظهرمن بين الأتراك الجواري اللاتي اشتهرن بجمالهنّ ، فقد كانت قصور الخلفاء والأمراء العظماء تعّج بالكثير من الجواري التركيات ، ومنهم من اتخّذهن زوجات لهم (٥) ٠

كان للجواري تأثير كبير في الحياة الاجتماعية ، فقد نشرن فنّ التجميل ،وابتكار الأزياء في المجتمع العراقي عامة ، والبغداديّ خاصّة، فضلاً عن اهتمامهّن بالتأنق في اللباس وا لطعام والشراب والاعتناء بالنظّافة واللياّقة(٦)٠

١ـ د٠ محمد جمال الدين سرور ، تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ، ص ١٦٩
٢- المرجع السابق نفسه ، ص ١٦٩
٣ـ د٠ مليحة رحمة الله ، الحالة الاجتماعية في العراق ، ص ١٣
٤- ا لتنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ٣ ، ص ١٩٥
٥- التنوخي : المصدر السابق نفسه ، ج ٢ ، ص ٤٥
التنوخي : المصدر السابق نفسه ، ج ١ ، ص ٢٤٢
٦- التنوخي : المصدر السابق نفسه ، ج٢ ، ص ١٧٤
وانظر : أحمد أمين : ظهر الإسلام ، ج١، ص ٣٥ ، ط ٢ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ١٩٧٥م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ج - الفـــــرس :-

تغلغل هذا العنصر في المجتمع العباسيّ ، منذ قيام دعاة العباسيّين بنشر دعوتهم في أواخر العهد الأموي . وقد جنى كلّ من العرب والفرس فوائد كثيرة من جراء تعايشهم مع بعضهم، فقد أخذ العرب من الفرس كثيراً من النظم السياسية والإدارية . وظلّت الحال مستقرّة ، حتى جاء القرن الثالث حين قويت شوكة الأتراك وضعفت شوكة الفرس، وحدث صدام بين هذين العنصرين من جهة ، وبين العرب من جهة أخرى(١) .

وعلى الرغم من تمتّع الفرس بامتيازات في الدولة العباسية ،وتقلّدهم مناصب رفيعة ، إلا أنهّم لم ينسوا أنّ العرب أزالوا مجدهم السابق ، فأخذوا يدبرون المؤامرات ضدّهم ،وظهر ذلك في القرنين الثاني والثالث بعد الهجرة (٢).

هيمن الأتراك على أمور الدولة ، حتى مستهّل القرن الرابع الهجريّ حيث عاد الفرس مرّة أخرى إلى السيادة والسيطرة ، ممثلين في بني بويه(٣) ، واشتدت شوكتهم ، واتسع نفوذهم في حاضرة الدولة الإسلامية .

كان أثر الفرس في المجتمع ظاهراً ، وتجلى في نواح عدّة منها بناء القصور (٤)وابتكار الأزياء (٥) ، وتعدّد أنواع الطعام (٦)، وإدخال العديد من وسائل الترف والبذخ في المجتمع .

وعلى الرغم من سيطرة الأتراك ، إلاّ أنّ آثار الفرس على الحياة الاجتماعيّة ، كانت واضحة ومستمّرة في إحياء مجالس الغناء و الشراب (٧).

كان التأثير الفارسيّ واضحاً في الملابس ، والقلانس ، والأقبية ،و السراويل ، والجوارب ، وتجلىّ ذلك التاثير في الملابس في أزياء النّساء من استعمال الحلى والمجوهرات والأحزمة ، والنقش على

١-أحمد أمين : ظهر الإسلام ، ج ١ ، ص ٦٠-٦٣

٢-التنوخي : نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، ج ٤، ص ١٤٠

٣-التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج٤ ، ص ٢٤٢

وانظر محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ، ص ٦٣

٤-التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ١، الحكايات ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، وغيرها

التنوخي : المصدر السابق نفسه ، ج ٨، الحكاية ١٠٩ ، وغيرها

٥- التنوخي : الفرج بعد الشدة ، ج٢، الحكاية ٢٠٧، وغيرها

التنوخي : المصدر السابق نفسه ، ج٣، الحكاية ٢٦٩، وغيرها

التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج٢، الحكايات ، ٢٤، ٩١، ١٦٢، وغيرها

٦-التنوخي : نشوار المحاضرة : ج٣، الحكاية ٥٤، وج ٧، الحكاية ١٠٤

٧-التنوخي : المصدر السابق نفسه ، ج ٢ ، الحكاية ١٨٨ وغيرها

التنوخي : الفرج بعد الشدة ، ج٢، الحكاية ٢٥٢ وغيرها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأردية والعصائب . وفي أدوات الطعام التي كانت تستخدم في موائد الخلفاء والوزراء ، وكانت مصنوعة من الذهب والفضة والبلّور (١) .

وكان للعنصر الفارسيّ اثر كبير في اهتمام الخلفاء العباسيّين ،و رجال دولتهم بالاحتفال بعيدي النيروز(٢) والمهرجان (٣) ، وهما من الأعياد الفارسية ، استمرّ الاحتفال بهما خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة .

وحرص البويهيون على إظهار تشيّعهم في بعض الاحتفالات وخاصة مقتل الحسين ، في اليوم العاشر من محرّم الذي يعتبر يوم حزن عام ، تعطّل فيه الأسواق ، كما نراهم يقيمون الأفراح في عيد (غديرخم) (٤) ، الذي يوافق اليوم الثامن عشر من شهر ذي الحجّة، وكانت الاضطرابات تعّم الدولة ، نتيجة لهذه الاحتفالات وسببها الخلاف بين أهل السنة والشيعة (٥) .

١-التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج٧، القصة ١٠٤، وغيرها

٢- التنوخي : المصدر السابق نفسه ،ج٨،ص٢٤٦،الحكاية ١٠٨، وج١، الحكاية ١٥٧

٣- التنوخي : المصدر السابق نفسه ، ج٨،ص٢٤٦ ، الحكاية ١٠٨

يوم المهرجان : عيد من أعياد الفرس ، والكلمة فارسية : (مهر) : محبّة ، و(كان) متصلة .

النيروز : معناها اليوم الجديد ، وهو عيد الربيع ، وهو أول أيام السنة الشمسيّة

انظر نشوار المحاضرة ، ج١، القصة ١٥٧

٤-مليحة رحمة الله ، الحالة الاجتماعية في العراق ، ص ١٧

٥-التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج ٣ ، ص ١١٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

د- الـــــــرّوم :-

كثر عدد الروم في القرن الرابع الهجريّ (١) ، فقد جـئ بهـــم أسرى حرب من أراضي الدولة البيزنطية ، نتيجة اشتداد الحروب بين الحمدانيين والروم .

أصبح للروم شأن في الدولة ، لاشتغالهم في قصور الخلفاء ، ورجالات الدولة ، وبخاصة في عهد المقتدر ، الذي كان يملك عـــدداً كبيـــراً مـــن مماليكهم ممّن يقومون بخدمته وحراسته .

أمـا النسـاء الروميـات ، فقد كثر عددهنّ ، عـــن طريـــق الـرق،و اعتبرن جـواري وانتشرن تبعـاً لذلـك فـــي قصـــــور الخلفـــــاء والأغنياء ، لاتّصافـهنّ بالجمـال ، كمـا أصبـح بعضـهن فـي منزلـة رفيعـة عنـــد الخلفـــاء والأغنياء ، عندما أصبحن أمهات وزوجات لهم .

كان للروم نشاط أدبيّ وعلميّ ملحوظ ، ومنهم الشاعر " ابن الرومي"(٢) و" أبو الفتح ابن جني " الذي نبغ في النّحو والصّرف (٣).

تطـوّرت الآلات المـو سـيقية علـى يـد الـروم ، فـأدخلوا القيثـارة والرباب(٤)، أما من حيث اللباس ، فادخلوا أزياء كثيرة ، خاصـة الديبـاج (٥) والكتابـــة على الألبسة وتفننوا في نتوع الطعام ، وظهر تأثيرهم في موائد الخلفـــاء والأغنياء .

**** الرّقيـــــــــق :-**

كان في القرن الرابع الهجريّ نوعان من الرقيق،الأسود والأبيض،و شمل الأسود ما يجلب من ساحل أفريقيا الشرقيّ ، وهـــم الزّنـــج ، أما الأبيض يشمل الترك والروم والأرمن وغيرهم(٦).

١- التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج ٤ ، ص ١٠٣

٢- أنظر أخبار ابن الروميّ في : الفرج بعد الشدة ،ج ٢ ، ص ٩، ص ١١٤، ص ١٥٤، ج٣ في ص ٤٦ وج٥ ص٨٥

٣- أحمد أمين : ظهر الإسلام ، ج١ ، ص ٦٧-٦٨

٤- التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج ٢، ص ١٧٠

٥- التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ٤ ، ص ٢١٨، وج ٥ ، ص ١٨٣ وغيرها

٦- عبد العزيز الدوري : تاريخ العراق الاقتصاديّ ، مطبعة المعارف بغداد /١٩٤٨ ، ص ٦٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

** الرقيق الأسود (الزنج):-

لقد أدّى ظهور الملكيات الواسعة ، وتوفر رؤوس الأموال الكبرى لدى كبار الملاك إلى شراء الرقيق الأسود ، لاستصلاح الأراضي الزراعية . وعاشت هذه المجموعات بعيدة عن حقيقة المجتمع العباسيّ ، لا تعرف سوى العمل ، والطاعة لأصحاب الأراضي ، وكانوا مستعدّين لتلبية الثورات ضدّ ملاك الأراضي لاستعادة حقوقهم وتحريرهم (١) .

كان الزنج يدعون إلى الإصلاح الاجتماعيّ ، باسم الدين ، وقد استغلّ العامة ومن بينهم أرباب الصنائع والمهن بصفة خاصة، هذا التذمّر، وقاموا بحركات ثوريّة متمرّدة على السلطة ، كثورات الجند الذين يطالبون بأرزاقهم ، مما حمّل الدولة الإسلامية أعباءً مالية كثيرة في سبيل إخماد ثورة الزّنج (٢) .

كان الجيش العباسيّ يضم طائفة من الزنج (٣)، كما اشتغل الكثير منهم في خدمة الخلافة ،وامتلأت القصور ، وبيوت أوساط الناس بالزنجيّات .

واشترك الزنج في الحياة السياسية والاجتماعية ، فمنهم من كانوا جنوداً وقوّاداً تستعين بهم الدولة في حروبها ، وقد وصل كثير من الأرقاء المعتقين إلى مناصب رفيعة ، فمنهم من تولّى قيادة الجيوش مثل مؤنس الخادم في العراق (٤) ، وجوهر الصقلّي في المغرب ومصر (٥)،و منهم من حكم الولايات مثل كافور الإخشيديّ في مصر (٦) وسبكتكين التركيّ في بلاد الأفغان (٧).

١- مليحة رحمة الله : الحالة الاجتماعية في العراق ، ص ٢٧
٢- شوقي ضيف : العصر العباسيّ الثاني ، ص ٢٦-٣٣
٣- التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج٢، ص٢٥، ١١٨، ٣٢٧
٤- التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج٨، ص ٣٨
٥- متز : الحضارة الإسلامية ، ج١، ص ٢٧٨
٦- التنوخيّ : الفرج بعد الشدّة ، ج ٣ ، ص ١١٩ . ١٢٠
٧- التنوخيّ ، نشوار المحاضرة ، ج ٢ ، ص ٢٢٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تأثر الإنتاج الأدبيّ بكثرة الرقيق ، فألّف ابن بطلان الطبيب كتابه العلميّ في تجارة الرقيق ، وتبعه غيره ، فذكروا أوصاف الرقيق من كلّ جنس ، ووضعوا قواعد للجمال وفي ألوان الرقيق وحسنه (١).

٢- **الرقيق الأبيض :-**

وكان الرقيق الصقلبّي ، يفضّل على التركيّ ، لما اتّصفوا به من خلق وطاعة وهيئة وجمال وذكاء (٢).

وكان يقوم هؤلاء الرقيق ، بأعمالٍ مختلفة ، فمنهم من كان يقوم بالخدمة في البيوت الخاصة للأغنياء وفي قصور الخلافة ، وكان لدى الخليفة المقتدر من هؤلاء أحد عشر ألف خادم ،ما بين روميّ ،وصقلبيّ وسودانيّ ، ومنهم من كان يقوم بحراسة القصور ،ويطلق عليهم الفراشون (٣).

استخدم الرقيق في الجيش ، فاشتهر من بينهم بعض القوّاد ، وأطلق على البيض منهم المماليك وهؤلاء يقومون بحراسة الخلفاء (٤).

أما الجواري ، فكان بعضّهن يشتغل بالغناء ، ويعزفن القيان، وكان للجارية التي تتصف بالجمال ، ألف دينار ، أما صاحبة الصنعة ، فكان ثمنها غاليا (٥) ، وكان الخلفاء يحتفظون بعدد كبير من الجواري ، فقد حرص المقتدر على اقتناء عدد كبير من الجواري .

علا شأن بعض الجواري ، بعد أن تزوّجن من الخلفاء ، وكان دورهن كبيراً في سياسة الدولة كالسيدة أم المقتدر (٦) ، وغيرها من أمهات الخلفاء وزوجاتهم .

كانت الجواري اللواتي يعشن في قصور الخلفاء والأمراء ، أحسن حالاً من غيرهّن، وقد صارمنهّن القهرمانات اللواتي تدخّلن في شؤون الدولة السّياسية مثل " علم " (٧) و" ثمل" (٨) .إنّ التوسع في اقتناء الجواري، ودخولهّن بيوت الناس ، أدّى إلى انتشار الفساد ، وضعف الثقة بين الزوج وزوجته .

١- أحمد أمين : ظهر الإسلام، ج ١ ، ص ١٢٨، ١٣٠

٢- آدم متز : الحضارة الإسلامية ، ج ١ ، ص ٢٨٢

٣- التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج ١ ، ص ٢٩٥، ج٨ ، ص ١٧٢

٤- الخطيب البغداديّ : تاريخ بغداد ، ج١ ، ص ١٠١، (١٤ جزءاً) مطبعة السّعادة ١٩٣١ م

٥- آدم متز : الحضارة الإسلامية ، ج ١ ، ص ٢٨٠

٦- التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج ١ ، ص ٢٤٢

٧- ابن مسكويه : تجارب الأمم ، ج ١ ، ص ٨٤

٨- ابن مسكويه : المصدر السابق نفسه ،ج ٢ ، ص ٧٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما الأرقاء من الذكور ، فهم نوعان : الغلمان المماليك والخصيان ، وفي العصر العباسيّ انتشر الخصيان في قصور الخلفاء ، ورجالات الدولة ، يقول الجاحظ في وصف الخصيّ : " إنّه ليس برجل ولا امرأة،و أخلاقه بينهما سريع التبدّل والغضب محباً للنّميمة ، ضيّق الصّدر" (١).

٣- الطوائف الدينية :-

أ - الأشراف :-

أوجد الإسلام نوعاً من شرف الدم ، لا يزال باقياً إلى عصرنا هذا وذلك في قرابة النبيّ أو بني هاشم أو أهل بيت رسول الله ، وكانوا يأخذون بوصفهم قرابة رسول الله رابتاً معيناً من الحكومة الإسلامية (٢) ، وقد حرّمت عليه الصّدقة هم ومواليهم ، وقد تمسّكوا بما في القرآن الكريم من آيات أشارت إلى قرابة الرسول كقوله تعالى " **إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً** " (٣) ، وقد أطلق عليهم الإشراف أو أهل البيت ، (٤) ، وتشمل طبقة الإشراف بني هاشم من العباسيّين والعلويّين .

وكان للأشراف نقيب في كلّ مدينة من المدن الكبيرة مثل بغداد ،و وواسط والكوفة، والبصرة ، والأهواز ، وفي مصر كان نقيب العلويّن في العهد ا لفاطميّ من كبار رجال الدولة في دار الخلافة.

كان لبني هاشم من العباسيّن والطالبيّين ، نقيب واحد حتّى القرن الرابع الهجريّ ، ثم صار لكل فريق نقيب ، ويرجع السبب في ذلك إلى تزايد نفوذ العلويّن وضعف أمر العباسيين (٥) .

ومما يثبت أنّه أصبح للطالبيّن نقيب خاص ، تقلّدُ أبى أحمد الحسين ابن موسى (٦) نقابة الطالبين في عام ٣٥٤ هـ .

١- الجاحظ : مفاخرة الجواري والغلمان - تحقيق شارل بلا - دار المكشوف ، بيروت ، ١٩٥٧م ، ص ٥٤،٥٣

٢- متز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجريّ ، ج ١ ، ص ٢٥٠

٣- محمد جمال الدين سرور : الحضارة الإسلامية في الشرق ، ص ١٧٠

٤- التنوخيّ: الفرج بعد الشدّة ، ج ٣، ص ٢٩٠ ، الحكاية ٣٣٦

٥- أنظر مليحة رحمة الله : الحالة الاجتماعية في العراق ، ص ٣٣

٦- التنوخيّ : الفرج بعد الشدّة ، ج ٣ ، ص ٥٨، ٦١، ٢٣٤، ٢٣٦

أبو أحمد الحسين بن موسى العلويّ الطالبيّ : (٣٠٤- ٤٠٠هـ) نقيب العلويّن ببغداد - وهو والد الشّريفيين الرّضيّ والمرتضى ، ولي النقابة للعلويّن وامارة الحجّ سنة ٣٥٤هـ واعتقله عضد الدولة سنة ٣٦٩هـ وأطلقه شرف الدولة بن عضد الدولة في سنة ٣٧٢هـ وعزل عن النقابة سنة ٣٨٤هـ واعيد إليها سنة ٣٩٤ هـ وأضيف إليه الحجّ و المظالم (المنتظم / ج ٧ ، ص ٢٢٧)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كان عهد النقيب يقرأ بحضرة الخليفة ، وحضور القضاة ، والشهـــــود والإشراف ،وكبار رجال الدولة ، وهذا يدل على أهمية وظيفة النقيب ، وقد يجمع النقيب بجانب صفته النقابية وظائف أخرى ، كان يمثل الخليفة فـــي الحج ويقرأ الخطبة نيابة عنه ، وقد يكون قاضيا ، وينظر الأحكام بيـــن الناس (١) ، كما حدث في عام ٣٩٤هـ ، إذ قلد بهاء الدولة البويهي أبـــا أحمد الموسوي ، قضاء القضاة ، والحج ، والمظالم ، ونقابة الطالبيين (٢) .

ب ـ أهل الذمـــــــة :-

أهل الذمة (٣) من الطوائف الدينية التي انتشرت في نواحي الدولـــة الإسلامية وأطرافها ،وهم من اليهود والنصارى ، وقد تمتع أهل الذمة بكثير من ضروب التسامح الديني، فأقامـــوا شعائرهم الدينيـــة بحريـــة، وشاركوا المسلمين في وظائف الدولة ، فالنصارى الذين عاشوا في ظل المسلمين لم يصبهم قط ، ما أصاب المسلمين في أسبانيا من الظلم والعدوان (٤) .

قويت الروابط بين المسلمين وأهل الذمة ، لمشاركتهم جميعا في نواحي الحياة العلمية والأدبية، فمنهـــم مـــن كان طبيبـــا ، ومهندســـا وتاجرا، وصرافـــا ، وغير ذلك ، ولم ينفصلوا عن بعض إلا في ممارسة الطقوس الدينية ومناطق السكن .

أما اليهود فوجدوا في بغداد بكثرة، وكذلك انتشر اليهود في شرق الدولة الإسلامية بخراسان (٥) ، والنصارى كانو ا بمحلة الشماسية (٦) .

كان للنصارى رئيسان يعين كـــل منهما بعهد خاص مـــن الخليفـــة ، أحدهما يطلق عليه(الجثاليق النسطـــوري) (٧) وثانيهمـــا (بطريـــق اليعاقبة) ، أما اليهود فلهـــم رئيـــس خـــاص يلقب أحيانا بملك ، يدفع لـــه أهل ملته الضرائب (٨) .

١- التنوخي : الفرج بعد الشدة ، ج ٣، ص ٥٨، ٦١، ٢٣٤، ٢٣٦
التنوخي : نشوار المحاضرة : المحاضرة ، ج ٣ ، ص ١١٦
٢-ابن الجوزي : المنتظم ، ج ٧، ص ٢٢٧
٣- التنوخيّ : الفرج بعد لشدة ، ج ٣ ، ص ٤٠٠
٤- بارتولد : الحضارة الإسلامية ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٤٢ م ، ص ٢٤
٥- مليحة رحمة الله : الحالة الاجتماعية في العراق ، ص ٣٤
٦- التنوخيّ: الفرج بعد الشدة ، ج ٤ ، ص ١٠٩
٧- التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج٤،ص ٢٦٧
٨- متز : الحضارة الإسلامية ، ج ١ ، ص ٥٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان نصف ما يُحصّل اليهود يعطى لرئيسهم ، ويرسل النّصف الآخر لبيت مال الدولة ، بخلاف ما كانت عليه الحال بالنسبة إلى النصارى الذين كانوا يؤدّون الضرائب لبيت المال مباشرة(١) .

قام أهل الذمة في البلاد الإسلامية بجميع الأعمال التي تدرّ عليهم الأرباح الوافرة ، كالصّيرفة والصياغة والدباغة والتجارة، وقد برع اليهود بالصّيرفة أما النّصارى فكانوا كتبة وأطبّاء (٢) .

وكان الخلفاء يستعينون بالنصارى في وظائف الدولة، فاستخدم الوزير "الحسن بن القاسم بن وهب " النصارى في وظائف كتابيّة (٣) .واتخذ عضد الدولة ، نصر بن هارون وزيراً له ، وقد أذن له في عمارة البيع والأديرة ، وإطلاق الأموال لفقراء النّصارى ، وكان للخليفة الطائع كاتب نصرانيّ (٤) .

حدّد الإسلام العلاقات الاجتماعيّة بين المسلمين والنصارى واليهود والمجوس والصابئة :-

كان تغيير الدين لا يجوز إلاّ إذا كان دخولاً في الإسلام ، فكانت الطوائف الدينية منفصلة بعضها عن بعض تمام الانفصال ، وكان المسلم إذا ارتدّ عن الإسلام عوقب بالقتل ، كما أن ا لنّصارى كانوا يقتلون من يُغير دينه (٥)

وسُمح بزواج المسلم من أهل الكتاب ، دون أن تترك الزوجة دينها، ولم يسمح بزواج المسلمة من كتابيّ (٦) .

ولم يكن يتوارث أهل ملتين مختلفتين ،وأصدر المقتدر في عام ٣١١هـ كتاباً في المواريث، أمر في " أن تردّ التركة لمن مات من أهل الذمة، ولم يخلف وارثا على أهل ملته (٧) .

١- متز : الحضارة الإسلامية ، ج ١، ص ٥٨

٢- الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجريّ ، ص ١٥٩، ١٦٩

٣- مليحة رحمة الله : الحالة الاجتماعية في العراق ، ص ٣٧

٤- التنوخيّ : الفرج بعد الشدة، ج ١، ص ٤٢، ٤٣ ـ مقدّمة المحقق الشالجيّ
التنوخيّ : نشوار المحاضرة : ج ٧ ، ص ١٢١، ١٢٢، ٢٨١

٥- متز : الحضارة الإسلامية ، ج ١ ، ص ٥٦-٥٧

٦- متز : المرجع السابق نفسه ، ج ١ ، ص ٥٥-٥٦

٧- محمد جمال الدين سرور ، الحضارة الإسلامية ، ص ١١٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* الجزيـــــــة :-

كان أهل الذمة بحكم ما نالوه من تسامح المسلمين ودخولهم في ذمّتهم وحمايتهم يدفعون الجزية ، كلّ واحد منهم بحسب قدرته ،و كانوا ثلاث طبقات تدفع الدنيا منها اثني عشر درهماً ، والوسطى أربعة وعشرين درهماً والعليا ثمانية وأربعين درهماً في السنة ، أو ديناراً أو دينارين أو ثلاثة في البلاد التي عملتها الذهب (١).

وأعفي من الجزية النساء ، والصبيان والأطفال والمرضى ،و العاجزون والرّهبان ، وقد روعي الرفق في جباية الجزية من أهل الذمّة (٢).

وكان لأهل الذمة ، لباس خاص يتميزون به عن المسلمين عامة ، فاليهود ارتدوا البراطيل الطويلة، على حين اتخذ النّصارى البرانس (٣).

وكانت أعياد النصارى على نوعين ، دينية عامة كعيد رأس السنة و أعياد خاصة يحتفل بها بعض الأديرة دون غيرها ، وكان الخلفاء يشاركون النصارى في الاحتفال بأعيادهم (٤).

ج - الصّـــابئـــــــة :-

جاء ذكر الصابئة في القرآن الكريم في قوله تعالى : " **إنّ الذين آمنوا والذين هادوا والصّابئون والنّصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون**(٥) " وفي قوله تعالى :" **إنّ الّذين آمنوا والّذين هادوا والصابئين والنّصارى والمجوس والّذين أشركوا إنّ ا لله يفصل بينهم يوم القيامة إنّ الله على كلّ شئ شهيد** "[٦]

وقد اعتبرهم المسلمون من أهل الذمة ، وأعطوهم أمان أهل الكتاب .

١- متز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ج ١ ، ص ٧٤

٢- أبو يوسف ، القاضي يعقوب بن إبراهيم صاحب الإمام أبي حنيفة : كتاب الخراج ، بولاق سنة ١٣٠٢هـ ص ١١٢-١٢٥

٣- البرنس : كل ثوب يكون غطاء الرأس جزءاً منه ، متصلاً به
التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ٤ ، ص ١١٥

٤- التنوخي : الفرج بعد الشدة، جد ٢ ، ص ٣٩٨
التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ٤ ، ص ٨٨

٥- القرآن الكريم : سورة المائدة ، الآية ٦٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد كتب للصابئين في منتصف القرن الرابع الهجريّ كتابٌ عن أمير المؤمنين المطيع لله ، أقرّ في رفع الظلم عن الصابئين ، وحراستهم والتخلية بينهم وبين مواريثهم (١).

وفي أيام القاهر في عام ٣٢٠هـ ، استفتى محتسب بغداد في الصابئة، فأفتاه بقتلهم لأنّهم يعبدون الكواكب ، فعزم على قتلهم ، ولكنّه عدل عن ذلك بعد أن أدّى إليه الصابئة مالاً كثيراً (٢).

*** فرق الصّابئة :-**

وهناك فرقتان من الصابئة : صابئة حران ، وصابئة العراق، وكان لصابئة حران مصلّى يعظمونه وينسبونه إلى إبراهيم ،(٣) يقول هلال الصابئ : " إنّ صابئة حرّان تعبد الكواكب ، يجرون بذلك مجرى عبدة الأوثان (٤).

وكانت صابئة العراق فرقة موحّدة ، نشأت في فلسطين قبل ظهور النّصرانيّة ، وهم من اتباع المعمدان المشهور باسم " يحيي ابن زكريا " (٥).ويطلق عليهم العرب اسم " المغتسلة " لأنهم يسكنون على ضفاف الأنهار لتسهيل التعميد في الماء الجاري (٦).

و كانوا يحتفلون بأعيادهم ويبتهجون بها ومنها (عيد الميلاد) ، ويقع في الثالث والعشرين من كانون الأوّل ، وعيد آخر يقع في السابع والعشرين من تموز، وسمّي (عيد البوتات) ، وله مراسيم خاصة ، في الصوّم والطعام ، والذبائح وأعياد الصابئة كثيرة تحدث في جميع اشهر السنة ، لها مراسيم وتقاليد (٧).

١- أحمد أمين : ظهر الإسلام ، ج ١، ص ٨١

٢- آدم متز : الحضارة الإسلامية ، ج ١ ، ص ٦٧

٣- ابن حوقل : صورة الأرض ، مطبعة نيبان وشركاؤه لبنان ، ص ٢٠٤

٤- هلال بن الصابي : رسوم دار الخلافة ، تحقيق ميخائيل عواد ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٦٤م ، ٣٨٣هـ ، ص ٧

(٥- ٦) مليحة رحمة الله : الحالة الاجتماعية في العراق ، ص ٤٢

٧- النديم : الفهرست ، ص ٤٥٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وللصائبة صلواتهم، وهي ثلاث مرات في اليوم ، قبل طلوع الشمس بنصف ساعة ، وفي نصف النهار ، ومع الغروب ، ويتوضؤون قبل الصلاة ، ويصومون ثلاثين يوماً ، وصيامهم متقطّع على ثلاث مراحل ، في كلّ مرحلة عشرة أيام (١).

* **أثرهم في المجتمع :-**

ولم يكن تأثير الصائبة فعّالاً ، ويرجع ذلك إلى قلّة عددهم ، وعدم تصاهرهم مع مخالفيهم في الدين ، والسرّيّة في تعاليمهم الدينية (٢).

واشتهر الصابئة في بعض الصناعات ، كالنّقش على الفضة ،كما نبغ منهم بعض الأطباء ، مثل ثابت بن سنان ، وابن قرّة ، واحتلّ بعض كتّابهم مركزاً في الدولة من أمثال هلال بن الصابي (٣) ، والفلكي أبي عبد الله البتّانيّ .

د- المجوس :-

وهم أتباع ، زراد شت ، يعبدون النار، واعتبروا أهل ذمّة كالنّصارى واليهود والصابئة ، وكان لهم رئيس دينيّ يمثّلهم في قصر الخلافة يلقب بالملك (٤) .

ولقي المجوس معاملة حسنة من حكام المسلمين ، فمثلاً في عام ٣٦٩هـ قام الأمير عضد الدولة البويهيّ بإنزال العقاب بكلّ من اشترك في الفتنة بين المجوس والعامة من المسلمين .

عُرف المجوس بالتجارة والحرف الفنية ، وقد استكبتهم الخلفاء على دواوين الخراج (٥) وغير ذلك .

١- ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ط ٢ ، المطبعة الكاثوليكيّة ، بيروت ، ١٩٥٨ م ، ص ١٥٣

٢- مليحة رحمة لله : الحالة الاجتماعية في العراق ، ص ٤٤-٤٥

٣- التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج ٤ ، ص ٧٩-٩٣

٤- متز : الحضارة الإسلامية ، ج ١ ، ص ٦٠

٥- التنوخيّ : نشوار المحاضرة ،ج ٦ ، ص ٤٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واحتفل الخلفاء بالأعياد المجوسية الفارسية القديمة كالمهرجان (١) والنّيروز (٢) ٠

٤- فئات المجتمع الإسلامي في القرن الرابع الهجريّ :-

أ- فئة العامّة وهي ما يلي :-

*** القول في العامة إجمالا :-**

ليس لدى التنوخيّ ومعاصريه معيار عام في تصنيفهم لفئات المجتمع في القرن الرابع الهجريّ ، ولذلك انتفت عندهم فكرة الطبقية ، ولو أنهّم اتخّذوا توزيع الثروة معيارا لعدّوا أنفسهم بين الفئات الشعبيّة التي تشبههم في قلّة الرزق ، ولذلك كانوا يصنّفون أنفسهم من فئة الخاصة بحكم المستوى الثقافي والفكريّ الذي يمتازون به ،وأن يحشدوا الفئات الأخرى في مجموعة واحدة يطلقون عليها اسم "العامة "، ولفظة "العامة " لديهم واسعة الدّلالة (٣) ٠

تشكل العامة ، من مختلف الأجناس من عربيّ وديلميّ وتركيّ وكرديّ، وغير ذلك من، أجناس، وكان اغلبهم من المسلمين ، وقليل من أهل الذمة ، وكان أغلبهم من الفقراء ، وكا نت تدفع لهم الصّدقات لما يعيشون من ضنك العيش ، فبيوتهم لم تتجاوز الغرفة أو الاثنتين،و طعامهم خبز الشعير والدّبس والخلّ وقليل من التمر (٤)٠

ويمكن تصنيف العامة في الفئات التالية وفق ما نجده في مصنفات التنوخيّ :-

*** العيّارون :-**

من بين صفوف العامة ظهر (العيّارون)(٥) و(الشطّار) وقد تميزت حركاتهم بالطابع الثوريّ وبخاصة ضدّ أصحاب الأموال ٠ وكانت تضمّ بين صفوفها مختلف الأجناس والطوائف ٠

١- التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ٨ ، ص ٢٤٦

٢- التنوخيّ : المصدر السابق نفسه ، ج ٨ ، ص ٢٤٦

٣- وداد القاضي : مجتمع القرن الرابع في مؤلفات أبي حيان التوحيديّ رسالة مقدمة إلى الدائرة العربية في الجامعة الأميركية (بيروت ، آذار ١٩٦٩ ، ص ١٧٩

٤-جرجي زيدان ، تاريخ التمدّن الإسلامي ، ج ٥ ، ص ٥١

٥- التنوخيّ : الفرج بعد الشدّة ، ج ٣ ، ص ٣٩٩ ، ونشوار المحاضرة ، ج ١ ، المقدمة ص ٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان لجماعة العيّارين تنظيمات عسكرية ومدنية ، أما التنظيم العسكري فكان لكلّ عشرة عريف ، ولكلّ عشرة عرفاء نقيب ، ولكل عشرة نقباء قائد ، ولكلّ عشرة قواد أمير ، وكانت لهم بزّة عسكرية مكوّنة من خود ، مصنوعة من الخوص ، والصدّف الأحمر والأصفر في أعناقهم (١).

كان العيارون أو الشطار شبّاناً أشداء يرفعون الحجر ، ويتميزون بقدرة جيدة على الاحتمال (٢).

أما التنظيم المدنيّ ، فهو يشمل النواحي الإدارية الداخلية ، واجتماعاتهم سريّة ولهم طقوس خاصة ، ولباسهم مميز عن بقيّة الناس ، إذ يتزّرون بالمنزر ويتشحون بالإزار (٣) . وهم يتّصفون بتحمّل الأذى ، وصبرهم على المشاقّ وقد احترف بعضهم السرقة ، وجعلوا غايتهم نهب الحوانيت وبيوت الأغنياء (٤) .

يذكر الصّولي أنّ العيّارين كانوا يشتركون في المؤامرات ضد الخلافة، فنهبوا دارها سنة٣٢٦هـ . وقد تمكّن الأمير البويهّي عضد الدولة البويهّي من القضاء على حركاتهم سنة٣٦٤هـ ، ونتيجة لما كانت تعانيه هذه الجماعة من فقر وحرمان اتخذت طابع العنف الشّغب (٥).

*** أرباب الحرف والصنّاع :-**

كان أرباب الحرف ، في القرن الرابع الهجريّ ، على الرغم من اختلاف أديانهم ومذاهبهم وعناصرهم ، يدافعون عن بعضهم ويدافع كلّ صاحب حرفة عمن يشاركه في مهنته .

كان أرباب الحرف والصناعات على نوعين ، أولهما : الأحرار ، وكانت إقامتهم في المدن ، وهم أصحاب الصنائع ،وثانيهما : الرقيق وكانوا يعملون خدماً في البيوت أو في الخياطة والحدادة والفلاحة وكانت نسبتهم اكبر من النوع الأوّل (٦).

١- التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج ١ ، ص ٨٦

٢- أبو حيان التوحيديّ : أخلاق الوزيرين ، ص ٣٧١ ، تحقيق الأستاذ محمد الطنجيّ ، دمشق ، ١٩٦٥ م

٣- مليحة رحمة الله : الحالة الاجتماعية في العراق ، ص ٥٦

٤- التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج ١ ، ص ٨٦

٥- الأوراق ، القاهرة ، مطبعة الحلبيّ ، ١٩٥٨م ، ص ٩٠

٦- مليحة رحمة الله : الحالة الاجتماعية في العراق ، ص ٥٠-٥١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان المستوى المعيشيّ لهؤلاء العمل متدنّياً لمحدودية مواردهم ، و كانت رواتبهم درهماً واحداً في اليوم ، وكان أصحاب الحوانيت لا يتعدّى إيرادهم ثلاثمائة درهماً في الشهر (١)٠

وبرز من الصناع ، علماء في القراءات ، والحديث ، وساهموا في تطوّر الحياة الاقتصادية ، لحاجة المجتمع إلى مختلف الصناعات ٠

ب - فئة التجار والعلماء :-

تشكلّ هذه الفئة من التجار والعلماء الطبقة الوسطى من مجتمع القرن الرابع الهجريّ ٠

*** التجـــــار :-**

كان التجار على نوعين ، أولهما : كبار التجار : وهم باعة المجوهرات والسّلع ا لثمينة ، وهؤلاء كانت علاقتهم مع الخلفاء ورجالات الدولة ٠ أما النوع الثاني : فهم صغار التجار، ويبيعون ما يسدّ حاجات الناس اليوميّة (٢)٠

كان مستوى معيشة التجار مرتفعاً ، حتى عند صغار التجار ، منهم من يتمتع بثقافة عالية، وكانوا يتعرّضون في بعض الأحيان للمصادرات من قبل الحكومة التي تستولى على أموالهم قبل وصولها إلى الأسواق، كما أنّ الخلفاء كانوا يقترضون من التجار لسداد نفقات الدولة (٣) ٠

*** العلمـــــاء :-**

كان للعلماء منزلة كبيرة لدى الخلفاء ورجال الدولة ولدى الطبقة الطابقة ، ومنهم الفقيه والفيلسوف والمؤرخ ، وكان من الخلفاء والوزراء والأمراء من يميل إلى نشر العلم ، كاهتمام الأمير البويهيّ عضد الدولة (٤)با لنهوض بالعلوم الإسلاميّة ٠

١- الدوريّ : تاريخ العراق الاقتصاديّ ، ص٢٦٠

٢- جرجي زيدان : تاريخ التمدّن الإسلامي ، ٥ أجزاء ، دار الهلال ، ج ٥ ، ص ٣٨

٣- التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج ١ ، ص ٢٥ ، الحكاية ٧

٤- التنوخيّ : الفرج بعد الشدّة ، ج ١ ، ص ١٢٤ ، ص ٣٥٤ وغيرها من المواطن

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لم يكن العلماء يشتغلون بمهن أخرى ، سوى العلم ، وكانوا في رغـــد من العيش ، ولم يتميزوا عن عامة الشعب ، إلاّ في الملبس ، فيرتدي القضاة والفقهاء ، المبطنة والطيلسان الأسود (١)، والدرّاعة السـوداء(٢) ،و القلانس المستديرة (٣) ، ثمّ أبدلت بالعمائم ، وكانوا لا يلبسون الحريـــر إلاّ في بيوتهم ويرتدون الصوف الأبيض .

ج - فئة الخلفاء والأمراء والوزراء وكبار رجال الدّولة :-

وهي الفئة المترفة ، بل الغارقة في التّرف ، وكانت تّجبى إليهم أمـوال الخراج ، وما كان يجبى على الواردات والصادرات ، وقد بـالغوا فـي بنـاء مساكنهم وأطعمتهم واشربتهم ، وهذا ما سنلمحه خلال حديثنا التّرف وأثـره في المجتمع .

*** التّرف وأثره في المجتمع الإسلاميّ :-**

١- ترف الخلفاء وكبار رجال الدولة :-

لمّا فتح العرب العراق وإيران والشام ومصر ، ورثوا ما في الأولـى والثانية من الحضارات الساسـانيّة والكلدانيّـة والآراميّـة ، ومـا فـي الثالثـة والرابعة من حضارات بيزنطيّة وساميّة قديمة ومصريّة ، وأخذوا يكوّنون حضارتهم الإسلامية (٤) .

ولما استقر الأمر للعباسيّين ، أخـــذ خلفاؤهم كثيراً من نظم الفرس، و تقاليدهم ، وشيّدوا القصور ، واتخـذوا الخـدم ، والغلمـان وحـذا حذوهـم القوّاد ، والأمراء والوزراء ورجـــال الدولـــة . و تجنب بعض الخلفـاء، البذخ والترف ، كالخليفة المتقي ،وكان كثير الصّدقـات، ولـم يعمـل علـى جمع الأموال ،وكذلك المطيع و الطائع .

ويتجلىّ ترف الخلفاء العباسيّين في بداية القرن الرابع الهجريّ في :-

---

١- التنوخيّ : الفرج بعد الشدة ، ج ١، ص ٥٤ ، ج ٤ ، ص ٢٧٨

٢- التنوخيّ : الفرج بعد الشدة ، ج ٢ ، ص ٥٥

٣- التنوخيّ : الفرج بعد الشدة ، ج ٢ ، ص ٢٩٨

٤- شوقي ضيف : العصر العباسيّ الأول ، ص ٦٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* بناء القصور :-

تفنّن الخلفاء في رسم لوحات فنيّة من قطع البناء في قصورهم ،ولعلّ رائعة القرن الرابع الهجريّ هي (دار الشجرة)، وهي أحد قصور المقتدر وصف الخطيب البغداديّ دار الشجرة بقوله : " عندما دخل رسول الروم إلى دار الشجرة وراها ، كثر تعجّبه منها ، وكانت شجرة من الفضّة وزنها خمسمائة ألف درهم ، عليها أطيار ، مصنوعة من الفضة ، تصفر بحركات ، فقد جعلت لها ، وكانت الشجرة ، في وسط بركة مدوّرة كبيرة فيها ماء صاف ، والي يمين البركة تماثيل خمسة عشر فارساً ، ألبسوا الديباج وغيره ، وفي الجانب الأيسر مثل ذلك (١) ، ويذكر الخطيب البغداديّ أيضا : " إنّ عدد الستّور ، التيّ علّقت على دار الخلافة ، في عهد المقتدر ، بلغ ثمانية وثلاثين ألف ستر من الديباج ، أما عن البسط ، التي وطئ عليها رسول إمبراطور الروم ، فكان عددها اثنين وعشرين ألفا"(٢).

من هذا الوصف نستطيع أن نقف على مقدار البذخ ، والإسراف ، في بناء القصور وتأثيثها وتزيينها ، ومن الغريب أنّ القادم من حاضرة البناء والترف يتعجّب لما يراه عند العرب ، وهذا يؤكّد أنّ ما رآه فريد من نوعه ، لم يسبق له رؤيته في بلاده ، فقد فاقت حضارةُ العرب حضارة الروم .

وعرف الخليفة الراضي ، بحبّه للبناء وإسرافه فيه ، فيروي التنوخي: أنّ أبا بكر الصّوليّ ، حكى لوالده حكاية ، عن بذخ الراضي وإسرافه فيه ، وقد دخل عليه يوماً ، مع جماعة من النّدماء ، وكان مشغولاً بالبناء ، جالسا على آجرّة ، وطلب الراضي منهم الجلوس ، فجلس كلّ واحد على آجرّة، واتفق أن جلس الصوّليّ على أجرّتين ملتزمتين ، فلما قام الجماعة ، أمر الراضي بأن توزن آجرّة كلّ واحد ، ويدفع إليه ، بوزنها دراهم أو دنانير(٣)

نلحظ أنّ الراضي يهب أصدقاءه الأموال هبة عشوائية ، غير مبالٍ ، بما سيدفع من أموال ، والآجرّ وزنه ثقيل ، فكم وزناً سيدفع من الدراهم !

١- البغداديّ : تاريخ بغداد ، ص ١٠٢-١٠٤

٢- البغداديّ : تاريخ بغداد ، ص ١٠٤-١٠٥

٣- التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج ١ ، ص ٢٩٨-٢٩٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونعلم أن الخليفة يهب الأموال لقاء عمل قام به الفرد ، كقول قصيدة أو مساعدة أحد ، او خدمة تفيد المجتمع وغير ذلك ، إلاّ أن الخليفة الراضي يمنح المال لمن كان يجلس معه .

ثمة ملاحظة أخرى ، وهي لعلّ انشغال الراضي بالبناء ، وعدم اهتمامه بضيوفه ، وعدم ضيافتهم - إذ لم تذكر القصة أنه قد قدّم له شيئاً - جعل الراضي يشعر بتقصيره مع ضيوفه ، فمنحهم هذه المنح من الأموال !.

وعند انتقال الثروة إلى بني بويه ، لم ينعم الخلفاء بمظاهر البذخ والترف لأنّ أمراء بني بويه حدّدوا رواتبهم ، واقطاعاتهم ، فلم تشيّد قصور للخلفاء ، بل بنيت لأمراء بني بويه ، فقد كان معزّ الدولة بن بويه ، يقيم في قصر فخم ، امتدّ أساسه في الأرض تسعة وثلاثين ذراعاً ، بني في محلّه الشماسية ، انفق عليه ثلاثة عشر ألف درهم (١) .

و" ابتنى معزّ الدولة قصره بباب الشماسية (٢) ،والاصطبلات متّصلة بآخره من أحد جوانبه ، التي لم يسبق إلى حسنهما ، وعمل الميدان على دجلة(٣) متّصلاً بين القصر والبستان الشارع على دجلة " . أوّل ما بدأ بني السور المحيط بالقصر والميدان ، والمُستاة العظيمة ، من حدّ رقة الشماسية (٤) إلى بعض الميدان ، وطول ما بناه منها ألف وخمسماية ذراع ،وعرضها ثّيف وسبعون آجرّة كباراً ، سوى الدّستاهيجات (٥) التي تخرج منها إلى داخلها لضبطهما ، وكان العمل في ذلك متّصلاً ، والصنّاع فيه متفرقين " (٦) .

وكان بناء هذا القصر ، بعد أن كان معزّ الدولة قد عمل على بناء مدينة لنفسه ، " وخرج إلى مدينة كلواذي (٧) ليتخّذها هناك ، ثم رحل إلى قطرّبل (٨) ، فأراد أن يبنيهما عندها ، ثم تقرّر رأيه على بناء دار بباب الشماسيّة حصينة يستغني بها عن المدينة ، وتخفّف عليه نفقتهما "(٩).

١- التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج ٣ ، ص ٥١

٢- باب الشماسيّة : باب محلة الشماسيّة التي تقع في أعلى مدينة بغداد ، وهي أعلى من الرصافة ، ومن محلة أبي حنيفة وفيها دار معزّ الدولة ، وبلغت النفقة عليها ثلاثة عشر ألف درهم ومسناته باق أثرها ، وباقي المحلة صحراء موحشة يتخطف فيها اللصوص ثياب الناس (معجم البلدان ٣١٨/٣)

٣- الرقة : وجمعها رقاق ، وهي الأرض التي يغطيها ماء النهر ثم ينحسر عنها .

٤- التنوخيّ : النشوار ، ج ١ ، ص ١٣٨

٥- الدستاهيجات : الدعائم التي تبني بجانب الأسوار لتقويتها

٦- التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج ١ ، ص ١٣٩

٧- كلواذي : مدينة ، حرف اسمها الآن إلى " كرارة " (معجم البلدان ٦٣١/٢)

٨- قطرّبل : قرية بين بغداد وعكبرا(معجم البلدان ، ١٣٣/٤)

٩-التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج ١ ، ص ١٣٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقدّر للبناء ألوف وألوف الدّراهم ، وزادت النفقة عن التقدير أضعافا . وكان معزّ الدولة يطالب وزيره أبا محمد المهلّبيّ بتوجيه وجوه الأموال لذلك البناء (١) .

وكان عضد الدّولة ، يمتلك ثروة كبيرة ، بلغت ثلاثين ألف دينار ،و عشرين ألف ألف درهم ، وانشأ بستانا ، بلغت النفقة عليه ، وعلى سوق الماء إليه خمسة آلاف ألف درهم (٢).

أما الوزراء ، فلم تكن قصورهم تقلّ روعة وعظمة عن قصور الخلفاء، فالوزير عليّ بن الفرات ، في عهد الخليفة المقتدر ، كان يملك أموالا كثيرة وله من العين والورق والضياع والأثاث ، والمجوهرات ما يحيط بعشرة آلاف ألف دينار (٣) ، وللوزير حامد بن العباس الكثير من الأملاك والأطيان (٤).

وفي العصر البويهيّ ، قلّما نجد وزيرا ، يمتلك ثروة كبيرة ، وذلك أن الثروة انتقلت إلى أيدي الأمراء ، إلا أنّ هناك من جمع ثروة كأبي محمد الحسن المهلّبيّ ، الذي كان يملك دارا كبيرة ، تُعرف بدار البركة (٥).

- **اللباس :-**

كانت الملابس مظهرا من مظاهر البذخ والترف ، التي تجلّت في قصور الخلفاء ، وقد أخذوا عن الفرس ، أنواعا مختلفة منها ، ونقشوا في تطريزها ، وتزيينها بالذهب والجواهر ، ومن الألبسة القلانس التي توضع فوق العمائم ، وزيّنوها بجوهرة ثمينة .

ومنها الطيلسان والأقبية والسراويل والجوارب وغيرها(٦) ، ولبسوا الحرير والديباج والدّراعة والجبّة المصنوعة من الحرير (٧)، والدراريع الدّبيقيّة (٨).

١- التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج ١ ، ص ١٣٩
٢- التنوخيّ : الفرج بعد الشدة ، ج ١ ، ص ١٣٤
٣- التنوخيّ : المصدر السابق نفسه ، ج ٨ ، ص ٣٨
٤-التنوخي : المصدرالسابق نفسه ، ج ١ ، ص ٢٤
التنوخيّ : المصدر السابق نفسه ، ج ١ ، ص ٧٤
٥ - التنوخيّ : المصدر السابق نفسه ، ج ١ ، ص ٣٠٣
٦- التنوخيّ : المصدر السابق نفسه ، ج٢ ، ص ١٦٧
٧- التنوخيّ : المصدر السابق نفسه ، ج٢ ، ص ١٦٧
٨- الدّبيقيّة : ثياب منسوبة إلى دبيق ، وهي بلدة بين الفرما وتنيس من أعمال مصر (معجم بلدان ٥٤٨/٢)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان الخلفاء يلبسون لباسا خاصا بالمناسبات والاحتفالات ، يشتمل على العمامة السوداء ، وبردة الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام (١)، وقد عرفوا العديد من أنواع الأقمشة ، وتهادوها بينهم مثل الديباج المثقل (٢) ،وأبي قلمون المذهّب (٣) ، والوشي (٤) ، والدّبيقي المرتفع(٥) والقصب (٦) ، واستخدموا المناديل الدّبيقية والشستجة القصب (٧) .

أمّا لباس المرأة في قصور الخلفاء ، فكان منها الديباج ،والموشاة بالذهب والفضّة والجواهر (٨) ، وثياب الخز والإبرسيم (٩) ، وكانت المرأة تتفنّن في اختيار ألوان ثيابها . وقد ارتدت النساء الإزار (١٠) ، و تقتن في حياكته ، ووضعن الزنانير ، وخيوط الإبرسيم والذهب ليزيدهنّ جمالاً،و وضعن الجواهر على عصائب الرأس ، وبالغن في لبس القصب المقصّب(١١) .

وكانت نساء الخليفة يبالغن في استخدام العطر والطيّب ، (كالندّ العتيق والمسك والكافور، وماء الورد) (١٢) ، والغالية (١٣).

ومن مظاهر الترف والبذخ ، اقتناء الخلفاء ونسائهم المجوهرات الثمينة ، بأنواعها المختلفة ، وقد عرف المقتدر ، بأنّه يمتلك الكثير من المجوهرات ، كالدّرة اليتيمة(١٤) ، والمسبحة التي أهداها إلى زيدان القهرمانة (١٥).

١- مليحة رحمة الله : الحالة الاجتماعية في العراق ، ص ٦٧

٢- الديباج : ضرب من الثياب الفاخرة ، ملوّن ألوانا . (النشوار ، ج ٤، ص ٢١٨)

٣- أبو قلمون : ثوب يتراءى إذا قوبل به عين الشمس بألوان شتىّ ، يُعمل باليونان ، (معجم البلدان ١٦٦/٤)

٤- الوشي : النقش ، والثياب الموشيّة هي الثياب المتمنمة المنقوشة (النشوار ١٩٩/٨)

٥- التنوخي : نشوار المحاضرة، ج٨ ، ص ١١٩، الحكاية ٥٥

٦- القصب : ثوب رقيق ناعم من الكتان

٧- الشّستجة : منديل من قماش يستخدم للمسح (نشوار المحاضرة، ج ٨ ، ص ١١٩، الحكاية ٥٥)

٨- مليحة رحمة الله : الحالة الاجتماعية في العراق ، ص ٦٨

٩- شوقي ضيف : العصرا لعباسي الثاني ، ص ٧٠-٧٣

١٠-الإزار : قطعة قماش كبيرة تلتقطى الجسم وتعقد على وسطه ، ويزّين

١١-المقصّب : الثوب المطرّز بشرائط الذهب ، (التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج١، ص ٣٠١)

١٢-التنوخي: نشوار المحاضرة ، ج ٢ ، ص ١٧٦

١٣-الغالية : أخلاط من الطيب ، تجمع وتعجن وتُسحق وقيل سمّيت الغالية لارتفاع ثمنها (النشوار ، ج ١ ، ص ٢٩٢، الحكاية ١٥٦، و(النشوار ، ج٣ ، ص ٥٨).

١٤-شوقي ضيف : العصر العباسيّ الثاني ، ص ٧٣

١٥- المسبّحة : أو السُّجة : هي خرزات منظومة في سلك يري التسبيح بها ، وكان حمل السبحة دلالة على التقوى ثم تعدّى الأمر إلى اتخاذ السبحة للتسلية ، وأصبح للسبحة هواة يجمعون اصنافا منها ، ويغالون في أثمانها وكانت سبحة المقتدر تقوّم ، بمائة ألف دينار ، إذ أن ا لمقتدر استدعى جواهر كثيرة ، واختار منها مائة حبة ، ونظمها سبحة يسبّح بها . وهذه السبحة عرضت على جوهريين ، فقوموا كل حبة منها بألف دينار (نشوار المحاضرة ، ج ٧، وأعطى المقتدر قهرمانية زيدان، سبحة لم يُر مثلها ، وكان يضرب بها المثل فيقال : سُبحة زيدان (المنتظم ٧٠/٦) . التنوخي : الفرج بعد الشدة ، ج ٢ ، ص ٣٢٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما لباس الأقدام ، فكان يشمل النّعال ، والخفاف ، والجوارب ، فقد لبست السيّدة أم المقتدر النعال المصنوعة من ثياب دبيقية ، تسمى ثياب النّعال (١) ، وقد كانت تقطع على مقدار النّعال المحذوّة ، وتُطلى بالمسك والعنبر المذاب وتُجمّد، ويُجعل بين كلّ طبقتين من الثياب ، من ذلك الطيب ماله قوام ، وكانت تُصنع طاقات وطبقات كثيرة وتلفّ بعضها على بعض ، ثم تُصمَّغ حواليها بالعنبر ،وتُلزق حتى تصير قطعة واحدة، وتجعل الطبقة الأولى بيضاء مصقولة ، وتخرز حواليها بالإبرسيم ، ويُجعل لها شُرُكا من الإبرسيم ، وتُلبس بعد ذلك ، وكانت نعال السيدة من هذا المتاع ، لا تُلبس إلاّ عشرة أيام ، حتى تخلق ، وتتفتت ، وتذهب جملة دنانير في ثمنها وتُرمى ، فيأخذها الخدم ، ويستخرجون من ذلك العنبر والمسك ويبيعونه ، وهو يساوي جملة دنانير (٢).

• **الفـــــرش :-**

بالغ الخلفاء وكبار رجال الدولة في التأنق في فرش قصورهم ، وفي اقتناء الأثاث الثمين ، وقد ذكر التنوخيّ حكايات كثيرة ، فعلى سبيل المثال لا الحصر "أنّ يوسف بن وجيه (٣) صاحب عُمان كان يجلس ضُيوفه في فازة(٤) بهنسيّ (٥)، في صدرها سدّة(٦) أبنوس مضبّبة بالذهب ، ومساميرها ذهب ، وعليها دست ديباج فاخر جدّا ، وبين يديها بساط جهرميّ فوقه حصير واسع كبير عظيم طبرانيّ (٧)، ومخاد وصدر (٨) منه ومائدته من فضة بزرافين ، تسع عشرين نفسا ، وعنده من الأجاجين (٩) والأقداس (١٠) الخرداذيّ (١١) والمداقات البلّورية (١٢) الكثير، ويملك قضيبا عليه خواتيم ، نحو خمسمائة خاتم من ياقوت ، فيروزج وعقيق يريه لضيوفه (١٣) .

١- التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج١، ص ٢٩٤

٢- التنوخيّ: نشوار المحاضرة ، ج١، ص ٢٩٥

٣- يوسف بن وجيه : أمير عُمان ،هاجم البصرة مرتين، بينهما عشر سنوات ، الأولى سنة ٣٣١هـ ، وحارب البريديّ وملك الأبلة ، وقارب أن يملك البصرة ثم أحرقت مراكبه ، فرجع ، والثانية في سنة ٣٤١هـ ، حيث حاصرها مستعينا بالقرامطة ، ولم يوفق وعاد إلى عُمان (الكامل) ص ٣٩٩-٥٦٥

٤- الفازة : مظلة بعمودين

٥- البهنسيّ : نسبة إلى بهنسة ، وهي مدينة بمصر من الصّعيد الأدبي غربي النيل (معجم البلدان ، ج١، ص ٧٧١)

٦- السّدّة : جمعها سُدد ، ما يجلس عليه كالمنبر

٧- الحصير الطبرانيّ : نسبة إلى طبريّة ، وهو بارد في الصيف ، (معجم البلدان ٥٠٩/٣)

٨- الصدر: نوع من المتكآت أو المساند

٩- الأجاجين : مفردها إجانة : وهي الإناء الكبير ذو الحافة المرتفعة

١٠-الأقداس : مفردها قدس ، وهو السَّطل

١١- الخرداذيّ: وهو إناء أو قنينة يودع فيها الخمر

١٢ ـ المداقات : داف : خلط ، والمدافّ : هو القدح الذي يخلطبة الشراب بالماء ويشرب

١٣- التنوخي : نشوار المحاضرة، ج ٨ ، ص ٢٥٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان بعض المترفين ، يفرشون البيت بفرش أرضيّ كامل ، من البسط الأرمنيّة(١) والمصليّات ، والأنخاخ (٢) ، والمساور(٣) ، والدست (٤)،و الستور(٥) ، والبرذعة(٦) والوطيّة السريّة(٧) والكلّة(٨) ، والشموع(٩).

• **الطّعام والشراب :-**

ومن مظاهر الترف عند الخلفاء وكبار رجال الدّولة ، تفننهم في الموائد وأصناف الطعام ، والولائم التي يقيمونها . وقد كان الخدم ليل نهار يسعون إلى إرضاء رغبات من في القصر ، " فقد بلغ عدد خدم المقتدر بالله الذين اشتملتهم الجريدة(١٠) ، أحد عشر ألف خادم صقلبيّ ، وكذا رومي ،و أسود وخصيّ ، وكانوا يعملون بالمناوبة ، هذا غير الخدم من الفحول ،و الغلمان الحُجريَّة (١١) ".

وكان حامد بن العباس من أوسع الناس نفساً ، وأكثرهم نعمة ، وأشدّهم سخاءً ، وتفقداً لمروءته ، فقد كان يقيم في داره كلّ يوم عدّة موائد ، ولا يخرج من الدار أحد من العامّة والحاشية وغيرهم إذا حضر الطعام ، أو يأكل حتى غلمان الناس ، فربمّا نصب في د اره في يوم واحد أربعين مائدة(١٢).

وكان يجري على كلّ من يجري عليه الخبز لحماً ، وكانت جراياته كلها الحوّارى (١٣) . وصدف يوما أن رأى الوزير حامد بن العباس قشر باقلاء في الدّهليز ، واستشاط غضباً ، لأنه لا يريد أن يأكل أهل قصره أو خدمه غير اللّحم (١٤).

١-الفرش الكامل للبيت : يشتمل على فراش متماثل في اللون والنقش ، مختلف في المساحة ، ويكون الصدر أكبر القطع مساحة ويفرش في ساحة البيت أو القاعة .(النشوار ـ ج٨ ، ص ٥٢

٢- الأنخاخ : مفردها نخ ، وهي السّجادة الطويلة ، قليلة العرض ، تمدّ بين الصدر والحائط

٣- المساور : نوع من المساند والمتكآت

٤- الدّست : قطعة خاصة توضع في الصدر

٥- الستور : ستائر تعلق على الجدران والشبابيك

٦- البرذعة : فراش للراحة والاستمتاع

٧- الوطيّة السريّة : الفرش اللين الفاخر قماشا وصناعة .(النشوار . د ٢، ص ١٧٥)

٨- الكلّة : الناموسيّة .(النشوار ، ج٨، ص٢٣٩. والكلّةكانت عبارة عن غشاء رقيق يتوقى من البعوض ، وكلّة القصب كانت تتخذ من عيدان القصب نفسه .

٩- النشوار : ج ٨ ، ص ٥٢

١٠-الجريدة : القائمة

١١-التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج٥ ، ص ٤٨

١٢-التنوخيّ : نشوار المحاضرة، ج ١ ، ص ٢٢

١٣-المصدر السابق نفسه ، ص ٤٨ . الحوّارى: خبز من الدقيق الأبيض خالي من النخالة

١٤- التنوخيّ : نشوار المحاضرة، ج١، ص ٢٢-٢٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" وكانت وظيفة الوزير أبي الفرج بن فسانجس ، في أيام وزارته في كلّ يوم ، نيفا وستيّن رطلاً لحماً ، له ولنسائه وغلمانه وجميع ما يتخذ في دوره ، وثلاثة جدي ، وعشر دجاجات ، وأربعة أو خمسة أفرخ ،و ثلاث جامات حلوى من السوق ، وفالوذج (١) ، وزلابية دقيقة (٢) ".

وكان للوزير ابن الفرات مطبخان : مطبخ للخاصة ، ومطبخ للعامّة، وكان يقدّم إلى الأخير يومياً ، تسعون رأساً من الغنم ، وثلاثون جدياً ، غير المئات من الدّجاج وكان الخبازون ، وأصحاب الحلواء يعملون ليل نهار(٣)وكان ابن الفرات يدعو للمائدة الخاصة في كلّ يوم تسعة اصفياء من الكتّاب ، ويقدّم إلى كلّ واحد منهم طبق فيه أصناف فاكهة ، وكلّ طبق فيه سكّين، ومعه طست زجاج يرمي فيه بالثّفل (٤) .

وكان الخلفاء ومن معهم إذا فرغوا من الطعام، جيئ بالحلوى والفاكهة، وعند الانتهاء من تناول الطعام - وقد يأخذ ساعتين من الزمن - ينهضون لغسل أيديهم ويؤتى بالغسول (٥) ، من ذراري (٦) طيّبة والفرّاشون قيام يصبّون الماء عليهم ، والخدم وقوف على أيديهم بالمناديل الدّبيقيّة ،و رطليّات ماء الورد لمسح أيديهم ، وصبّه على وجوههم ، وكأنّ العباسيّين لم يتركوا للمدنيّة الحديثة شيئا (٧).

وبعد ذلك ياتي مجلس الشراب (٨) ، ويشربون من الشرّابيّ(٩) ، ويكون في المجلس أصناف الفاكهة ، وألوان الرياحين، والطّيب والكافور والتماثيل(١٠) والشمّامات (١١) والمطبوخ القطربليّ (١٢).

١- التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج ١ ،ص ٢٠٧، الفالوذج : هو عبارة عن حلوى من الدقيق والماء والعسل وهي فارسيّة .
٢- الزلابية : نوع من الحلوى من الدقيق والماء والسكّر
٣- التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج ١ ، ص ٢٠٧
٤- شوقي ضيف : العصر العباسي الثاني ، ص ٧٤
٥-التنوخيّ: النشوار ، ج ٧ ، ص ١٧٥
الغسول : وهو الأسنان الذي تغسل به الأيدي ، وكان يشتمل على أنواع عديدة من الطيب ، تخلط وتدق وتحفظ في وعاء يسمونه الأشنادان ، له غطاء يحفظ رائحته ويتناول منه بالمعلقة كي لا يتسخ الباقي بملامسة الأيدي .
٦-الذراري : الذريرة ، والذرور ، وهي مسحوق من قصب الطيب ، يجلب من الهند ، ويوضع في الغسول .
٧- شوقي ضيف : العصر العباسيّ الثاني ، ص ٧٥
٨-التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج ٧ ، ص١٧٥، الحكاية ١٠٤
٩- الشرّابي : الخدم الذين يعنون بالشراب وآلته وبالفاكهة والروائح
١٠-الثماثيل : كانت تصنع من الكافور ، وتنصب في مجالس الشراب للزينة
١١- الشمامات : كانت تصنع من أنواع الطيب ليشمّها الجالسون
١٢- المطبوخ القطربلي : نبيذ من قطربّل ، التنوخيّ : النشوار ، ج ٧، ص ١٧٥، الحكاية ١٠٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الأشربة المقدّمة أيضا الجُلاّب (١) ، والنبيذ من الزبيب أو العسل (٢) ، وكانت تقدّم مع الطعام المشّهيات ، وتُسمى الأنقال(٣) والتّحايا(٤) .

وعرفوا من الأطعمة أصنافاً عدّة ، مثل الإدام (٥) ، والأوساط (٦)،و اللقّات(٧) ، والبزماورد (٨) ، والسنبوسج(٩) ، والبطّيخ (١٠) ، والسفرجل (١١) ، والخبز السميذ (١٢) ، والخبيص(١٣) . والسكباج(١٤)، والحمّص (١٥) والشعّير (١٦) ،واللّوز (١٧) ، والشيرج(١٨) ، ومطبوخ العنب (١٩)،و الفالوذج (٢٠) ، واللوزينج (٢١) ، وماء الأكارع (٢٢)،و

١- الجلاّب : هو شراب ممزوج بماء الورد

٢- النبيذ : الخمر المعتصر من التمر أو العنب أو العسل ، وسميّ نبيذاً لأنّ الذي يتخذّه يأخذ تمراً أو زبيباً ، فيلقيه في وعاء يصّب عليه الماء ، ويتركه حتى يفور ويصير مسكراً والمطبوخ منه هو الذي يعرّض على النار ، والقطربلي نسبة إلى قطربل . النشوار : ج ٧ ، ص ١٧٥

٣- الأنقال : جمع نُقل وهو ما يؤكل مع الشراب ، النشوار ، ج ٧ ص ١٧٧

٤- التحايا : التحيّة في اللغة : السّلام ، وفي مجالس الشراب هي الريحان والأشياء الطيبة الرائحة تقدّم للشاربين ، كالوردة والتفاح النشوار ن ج ٧ ، ص ١٧٧

٥- الإدام : التنوخي ، الفرج بعد الشدّة ، ج ٣، ص ٢٦٩وهو الطعام الذي يؤكل مع الخبز

٦- الأوساط : التنوخي : الفرج بعد الشدّة ، ج ٢ ، ص ١٥٤

الوسط : لون من الطعام الناشف ، شديد الشبة بما يسّمى اليوم الساندويش ويبسط رغيف الخبز وتنشر عليه طبقة من الدجاج ، ثم تسطر عليه سطور من اللوز ، والجوز والزيتون والجبن والنعّنع ، وفوقها البيض المسلوق وتغطى برغيف آخر من الخبز .

٧- اللقات : التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج ٥ ، ص ٢٣٤

التنوخيّ : الفرج بعد الشدة ، ج ٤ ، ص ٤٢٧

اللقات هي : مفردها لقة لون من الطعام الناشف ، كاللحم والجبن والبيض ملفوفاً في رغيف من الخبز يتناوله المتعّجل

٨- البزماورد : التنوخي : نشوار المحاضرة، ج ٣، ص ١٩٠

تفسير التنوخيّ : نشوار المحاضرة، ج ٥ ، ص ٢٣٤

٩- السنبوستج : التنوخيّ: نشوار المحاضرة، ج ٥ ، ص ٢٣٥

يدعى سنبوسك وسنبوسق ، وهي فطائر مثلثة تُصنع منرقاق العجين المعجون بالسمن ، وتحشى بقطع اللحم والجوز

١٠-البطيخ : التنوخيّ : الفرج بعد الشدّة ، ج ٣ ، ص ٥٨

١١-السفرجل : التنوخيّ : الفرج بعد الشدّة ، ج ٢ ، ص ٣٨٣

١٢-الخبز السّميذ : التنوخيّ : الفرج بعد الشدّة ، ج ٣ ، ص ٢١٩- والخبز السّميذ هو المصنوع من الدقيق الأبيض يتخذ على هيئة حلقات .

١٣-الخبيص : التنوخيّ : الفرج بعد الشدّة ، ج ٢ ، ص ١٦٦- هو نوع من أنواع الحلوة من السّميذ واللّحم .

١٤-السكباج : التنوخيّ : الفرج بعد الشدّة ، ج ٢، ص ٣٨٤-وهو مرق يصنع من اللحم والخلّ وهو شديد الحموضة .

١٥الحمص : التنوخيّ : الفرج بعد الشدّة ، ج ٢ ، ص ٣٧٩

١٦-الشعير : التنوخي : الفرج بعد الشدّة ، ج ٢، ص ٣٧٩

١٧-اللوز : التوخيّ : الفرج بعد الشدّة ، ج ٢ ، ص ٣٧٩

١٨-الشّيرج : التنوخيّ : الفرج بعد الشدّة ، ج ٣، ص ٢٧١- الشّيرج والسّيرج ، وهو زيت السمسم وكان البغداديّون في عهد التنوخي يكثرون من استخدام السيرج ، ويدخل في كثير من الوان أطعمتهم .

١٩-مطبوخ العنب : التنوخيّ : الفرج بعد الشدّة ، ج ٢ ، ص ٢٦٢

التنوخيّ : الفرج بعد الشدّة ،ج٢ ، ص ٣٨٥ - وهو إذا عرض نبيذ العنب على النار سميّ بالمطبوخ

٢٠-الفالوذج : التنوخي ، الفرج بعد الشدّة ، ج ٣ ، ص ٣٦- حلوى تعمل من الدقيق والعسل والماء .

٢١-اللوزينج : حلوى تُصنع ببسط العجين المرقق ، ويوضع عليه اللوز المسحوق ، والسكر الناعم معجونا بماء الورد ثم يطوى ويلف ويقطع قطعا صغار ويصّب عليه الشيرج ويغمر بالجّلاب المضاف إليه ماء الورد ، وينشر عليه الفستق المدقوق ويسمى اليومم (البقلاوة) وهو حلوى فارسيّة .

٢٢-ماء الأرکاع : التنوخي : الفرج بعد الشدّة ، ج ٢ ، ص ٥٠- الكراع : في الدواب هو مادون الكعب ، وفي الإنسان مادون الركبة من مقدّم الساق ، وماء الكراع : الماء الذي يطبخ به الكراع وهو طعام يستطيبه العرب قديماً وحديثاً وقد روى عن النبي عليه الصلاة والسلام ، انه قال : " لودعيت إلى كرع الجبت " والكراع يؤكل في جميع البلاد العربية ويسمى في مصر (كوارع) وفي الشام (مقادم) وهي تشمل الكراع واللسان ، والرأس ، والكرش .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اللبن الحازر (١) ، والقهوة (٢) ، واليقطين (٣) ، والدباء (٤) ، والبهار(٥)،و الخشكنانة (٦) ، والبُرمة (٧) ، والبوارد (٨) ، والبقل(٩) ، والدّيكبريكة (١٠)،و الزّيتون (١١) ، والطّاجن (١٢) ، والطّباهج (١٣) ، والمضيرة(١٤)، والجوامرك (١٥)،والرطب الآزاذ (١٦) ، والقطائف(١٧) وغيرها الكثير من أصناف الطعام .

ولعلّنا نلاحظ من نظرنا إلى أصناف الطعام المختلفة هذه أن العباسيّين في القرن الرابع الهجرّي ، قد عرفوا أنواعاً عديدة ، من الأطعمة ومن حضارات مختلفة ، واهتموا بالطعام المقليّ ، والتوابل والمقبلات وتناول الفاكهة بأنواعها المختلفة ، والتقنن في صنع الحلوى وتقديمها وما زالت معروفة حتى يومنا هذا، وإن تغيّرت الأسماء .

١-اللبن الحازر : التنوخيّ : الفرج بعد الشدة ، ج ٤، ص ٣٨١-وهو اللبن الحامض جداً ، وكان العرب يحبّونه

٢- القهوة : التنوخيّ : الفرج بعد الشدّة ، ج ٢، ص ٣٦٦ ، والقهوة هي الخمر

٣- اليقطين : التنوخيّ : الفرج بعد الشدّة ، ج ١ ، ص ٩٢- واليقطين كلّ ما لا ساق من النبات كالقثاء والكوسة

٤-الدبّاء : التنوخي : الفرج بعد الشدة ، ج ٢، ص ٣٦٦- الدباء : واحدته دباءة وهو القرع

٥- البهار : التنوخي : نشوار المحاضرة، ج ٧ ، ص ١١٢- البهار : نبت طيب الرائحة

٦- الخشكنانة : التنوخي : نشوار المحاضرة، ج ٧ ، ص ٢٤٠- من الحلويات ، يصنع من العجين ويحشى باللوز والجوز والسكّر .

٧- البُرمة : التنوخيّ : نشوار المحاضرة، ج ٤ ، ص ١٩٦- والبُرمة : لون من الوان الطعام يصنع في البرمة كالبزماورد

٨- البوارد : التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج ٤ ، ص ١٩٦، والبوارد : هو الطعام الذي يؤكل بارداً

٩- البقل : التنوخيّ : نشوار المحاضرة، ج ٤ ، ص ١٠٤، والبقل هو نبات عشبّي يُطبخ ويؤكل

١٠- الديكبريكة : التنوخيّ : نشوار المحاضرة، ج ٤ ، ص ١٧٧، والديكبريكة : طعام مكوّن من اللّحم والبيض والحمّص والخلّ ويُحلّى بالسُّكّر

١١- الزّيتون: التنوخي : نشوار المحاضرة، ج ٤ ص ٢٧١

١٢- الطّاجن : التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج ٣ ، ص ٨٦- والطاجن : هو الطعام المقلي

١٣- الطباهج : التنوخيّ : نشوار المحاضرة، ج ٣ ، ص ٨٥- الطباهجة : طعام من بيض وبصل ولحم ، وهي فارسيّة

١٤- المضيرة: التنوخي : نشوار المحاضرة، ج ٣ ، ص ١٩٣ المضيرة: مرقة تطبخ باللبّن المضير (الحامض) مع اللحم أو الفراريج

١٥- الجوامرك : التنوخي : نشوار المحاضرة، ج ٢ ، ص ١٨٥، والجوامرك هو الفتيّ من الطير

١٦-الرطب الآزاد : التنوخيّ : نشوار المحاضرة، ج٢ ، ص ٥٩- وهو نوع من الرطب في بغداد - يسمّى الزهديّ

١٧- التنوخيّ: نشوار المحاضرة، ج ٢ ، ص ٥٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

• الـــــــورد :-

كان الخلفاء يحبّون الورد ، ويتباهون في اقتنائه وشرائه ، قيل : إنّ المقتدر أراد الشّرب على نرجس في بستان لطيف ، في صحن داره، وأراد أن تكون رائحته عبقة ، فأمر أن يسمّد بسحق مقدار من المسك ، وخلطه مع الطين (١) .

وقد اشترى الوزير المهلبيّ في ثلاثة أيام متتابعة ، وردا بألف دينار ،و طرحه في بركة عظيمة كانت له ، وشرب عليها (٢) . وشرب أبوا لقاسم البريديّ ، بالبصرة على وردٍ بعشرين ألف درهم ، في يوم واحد ، على رخصة هناك ، وطرح فيه عشرين ألف درهم خفاقا (٣) ، وزنها عشرة آلاف درهم وشيئا كثيرا من قطع النّدّ المثاقيل اللّطاف ، وقطع الكافور (٤) .

وروى صاحب التّشوار ، أنّه رأى وردا أصفر ، واستغرب لذلك. وقد عدّ ورق وردة ، فكانت ألف ورقة !ويبدو هذا الأمر صعب التصديق،و رأى وردا أسود حالك اللّون له رائحة ذكيّة ورأى بالبصرة وردة ، نصفها أحمر قاني الحمرة ، ونصفها الآخر ناصع البياض ، والورقة التي وقع الخطّ فيها كأنها مقسومة بقلم (٥)

• **أثر التّرف في المجتمع الإسلاميّ:-**

• كان لإمعان الخلفاء والأمراء والوزراء في الترف وحرصهم على امتلاك الثروات الكبيرة ، **أثره في ظهور فئتين مميزتين** (٦) :-

أ- فئة تشمل الخليفة ورجال دولته وأهليهم وأتباعه

ب- فئة تشمل العلماء، والأدباء والتجار، والصّنّاع والمزارعين

وكانت الفئة الأولى محطّ أنظار هؤلاء فالشعراء لا يتيسرّ لهم العيش إلا في مدح الخلفاء، والتجار ينالون ربحا وافرا من وراء تزويد قصورهم بمتاجرهم (٧) .

١- التنوخيّ: نشوار المحاضرة، ج ١ ، ص ٢٩٥

٢- التنوخيّ : المصدر السابق نفسه ، ج ١ ، ص ٣٠٣

٣- الدراهم الخفاف : دراهم خفيفة الوزن ، تُصنع من أجل النثار خاصة ، لكي لا تؤذي من تنثر عليه

٤- التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج ١ ، ص ٣٠٤

التنوخيّ : المصدر السابق نفسه ، ج ٣، ص ٢٧٦

٥- التنوخيّ : المصدر السابق نفسه : ج ٥، ص ٣٩

٦- محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ، ص١٨٧

٧- أحمد أمين : ظهر الإسلام ، ج ١ ، ص ١١٤-١١٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- أدّى التفاوت الطّبقي ، بين حياة الترف وأتباعها ، وبين فئة العامة إلى قيام العامة بثورات ضدّ حكامهم ، كحادثة ٣٠٧هـ ضدّ الوزير حامد بن العباس (١) ، وثورة الزنج وغيرها من ثورات (٢).
- وكانت لحياة ا لترف ، التي نعم بها الخلفاء ، تأثير سيء في الدولة ، إذ عمد بعضهم إلى مصادرة أموال وزرائهم ، وكبار رجال دولتهم،و صارت مصدراً يعوّل عليه وقت الحاجة ، فالخليفة المقتدر لحاجته الملّحة إلى الأموال ، صادر أموال الوزير ابن الفرات ، وأموال الوزير عليّ بن عيسى (٣).
- أدّت كثرة المصادرات ، إلى اضطرار بعض الناس ، إلى إخفاء أموالهم إما في دورهم ، كما فعل حامد بن العباس ، أو دفنها في أماكن بعيدة في الصحراء (٤) وكان لعادة دفن الأموال ، أو خزنها آثار سيئة بفقدان مبالغ وفيرة من الدولة(٥).
- دفع ـ الميل إلى الترف ـ رجال الدولة ، إلى الرشوة ، في توزيع الوظائف وزاد فرض الضّرائب على العامّة لحاجة الخلفاء وبطانتهم إلى الأموال ، لزيادة التّرف (٦) .
- أوجد التّرف مظهراً من مظاهر التقدّم العمرانيّ في بناء القصور (٧).
- وساهم الترف في تقدّم الصناعات المختلفة ، كصناعة الخزّ والديباج(٨).
- وكان للتّرف أثرٌ كبير في تقدّم الأدب والغناء ، وذلك أنّ أنظار الأدباء والشعراء والمغنّين كانت موجهّة إلى الخلفاء لعرض نتاجهم ،طمعا في هباتهم (٩).

- **الموسيقى والغناء :-**

١- تطور الموسيقى والغناء :-

يعود تطوّر الموسيقى والغناء في العصر العباسيّ ، إلى عدّة عوامل منها(١٠) :-

---

١- التنوخي: نشوار المحاضرة، ج ١، ص ٢٤
٢- مليحة رحمة الله : الحالة الاجتماعية في العراق ، ص ٧٦
٣- التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج ١ ، ص٣٠و ص ٣٢٢
٤- التنوخيّ : المصدر السابق نفسه ، ج ١، الحكاية ٦ ، ص ٢٤
٥- مليحة رحمة الله : الحالة الاجتماعية في العراق ، ص ٧٧
٦- مليحة رحمة الله : المرجع السابق نفسه ، ص ٧٧
٧- التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج ١ ، ص ١٣٨
٨- التنوخيّ : المصدر السابق نفسه ، ج ٢ ، ص ١٦٧
٩- مليحة رحمة الله : الحالة الاجتماعية في العراق ، ص ٧٨
١٠-مليحة رحمةالله : المرجع السابق نفسه ، ص ٨٣-٨٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- تأثر العباسيّين بالفرس والروم ،وكانوا مثقفين ثقافة واسعة في الغناء والموسيقى ، ويقول المسعوديّ : " لم تكن أمة من الأمم ، بعد فارس والروم أولع بالملاهي والطرب من العرب ".
- انتشار الجواري ، وقد اهتمّ النخّاسون بتعليمهن الأدب والشعر والغناء والموسيقى ليبيعهنّ بأثمان باهظة .
- اهتمام الخلفاء بطبقة المغنّين وتشجيعهم بالمنح ، والهدايا التي كانوا يغدقونها عليهم .

وبلغ من تقدير بعض الخلفاء للمغنيّن ، أنهم كانوا يدعونهم لحضور مجالسهم ،وقد بلغ ميل بعض الخلفاء العباسيّين ، وبعض الكتاب للغناء والموسيقى إلى حدّ بالغ من الأهمية ، فمنهم من ألف الكتب في هذه القن،و منهم من اهتم بعقد جلسات للمناقشة والمناظرة في طبيعة الغناء، وكانوا يتحدّثون عن نشأة الموسيقى والغناء وتاريخها ، والحديث عن الآلات الموسيقية والفرق بين الغناء عند الروم والفرس والهنود والعرب (١).

- **مجالس الطّرب والغناء :-**

كانت مجالس الطرب والغناء ، تعقد في قصور الخلفاء ورجالات الدولة، وكان يحضرها المغنّون والمغنّيات والنّدماء ، وكانت تقام مجالس الطرب والغناء في الأعياد والمواسم كالنوروز والمهرجان (٢) ، فالخليفة الراضي أمر في ليلة المهرجان ، بإحضار الجلساء ، في مجلس بقصر التّاج المطلّ على دجلة وأجاز في ذلك اليوم الدنانير ، والخلع والطيّب للمغنيّن والندماء والملهين .

وكانت تقام مجالس الغناء ، في حفلات الزواج ، وغيرها من المناسبات السعيدة ، وكان يجتمع المغنّون ، والموسيقيون والنّدماء والشعراء ، في المجلس المقام به الحفل ، فيُغنّى المغنّون والقيان (٣) ، وذلك من خلف الستارة (٤) ، ويعمّ الطرب المجلس وتغنّي الجواري أحسن غناء وقد يتوسّطون في الشّرب ، وقد يزيدون فيه ،وعندها لا يبقى للاحتشام مكان،و تهتك الستّارة ، وتخرج العوّادة (٥) ، والطنبوريّة (٦) والكرّاعة(٧)

١-التنوخيّ : نشوار المحاضرة، ج ٨ ، ص ٢٤٦٢

٢- التنوخيّ : المصدر السابق نفسه ، ج ١ ، ص ٣٠٠- انظر المسعوديّ : مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ٢٦٢

٣- التنوخيّ: نشوار المحاضرة ، ج ٢، ص ١٧٤

٤-المسعوديّ : مروج الذهب ، ج ٤، ص ١٥٧-١٦١

٥-العوّادة : العازفة على العود ، وعرفوا الدساتين : وهي الرّباطات التي توضع عليها الأصابع . (التنوخي الفرج بعد الشدة . ج ٣ . ص ٨

٦- الطنبورية : الزامرة بالمزمار (النشوار ، ج ٢ ، ص ١٧٤)

٧-الكرّاعة : المغنية على طبل صغير (النشوار ، ج ٢ ، ص ١٧٤)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والرَّبابيّة (١) ، والصّناجة (٢) ، والرقاصة ، والزقانة (٣) ، بثيابٍ فاخرة وحلي (٤).

وعرف الغناء بالقضيب (٥) ، ويقال للمغنّي بالقضيب : قوّال ومن القوّالات (خاطف القوّالة) (٦) ، وكانت تغنّي ولها نحو السبعين سنة(٧) .

وعُرفت (تحفة القوّالة)(٨) أيضاً ، وكانت تغني من وراء الستارة في مجالس يحضرها الناس ، ففي عام ٣٢٦ هـ ، غنّت تحفة من وراء الستارة

بيَ شُغْلٌ به عن الشغل عنه ... بهواه وإن تشاغل عنّي
سرّه أن أكون فيه حزيناً ... فسروري إذا تضاعف حزني
ظنّ بي جفوة فأعرض عنّي ... وبدا منه ما تخوّف منّي (٩)

*** ضروب التّسلية :-**

ومن ضروب التسلية التي كان أهل الترف يشغفون بها ، لعبة الشطرنج،و كان من يحسنها تفتح له أبواب الخلفاء والوزراء والكبراء(١٠) وهي اختراعٌ هنديّ (١١) ، ويذكر المسعوديّ أن الشطرنج كانت تُلعب على رقعة أدم مربعّة حمراء ، ويذكر بجانب الرقعة المربعة رقعة مستطيلة ورقعة مدّورة ورقعة نجوميّة وتسمى الفلكيّة ، ويذكر أيضا أنه قد استحدثت في زمانه رقعة للشطرنج تُسمىّ الجوارحيّة ، سمّوا كل بيت من أبياتها باسم جارحة من جوارح الإنسان وكانوا يقامرون في لعبة الشطرنج(١٢) .

١- الربابيّة : العازفة على الربابة .
٢-التنوخيّ : نشوار المحاضرة، ج ٢، ص ١٧٤، والصناجة :ضاربة الصّنج .
٣- التنوخي : المصدر السابق نفسه ،ج ٢ ، ص ١٧٤، ، الزفن : الرقص مع ضرب الرجل على الأرض .
٤- التنوخي: المصدر السابق نفسه : ج٢، ص ١٧٤ .
٥- الغناء بالقضيب : أن يغني المغني وبيده قضيب يضرب به على الأرض أو على مخدّة من الجلد ، لضبط النغمة (التنوخي : نشوار المحاضرة / ج ٥ ، ص ٢٣٦) .
٥- خاطف القوالة : تغني وتضرب بالقضيب ، توفيت سنة ٣٦١ هـ (النشوار ، ج ٢ ، ص ٣٤٣).
٧- التنوخي : نشوار المحاضرة، ج ٢ ، ص ٣٤٣ .
٨- تحفة القوالة : جارية أبي عبد الله البازيار . وكانت تغني من وراء الستارة (النشوار . ج ٧. ص ٣٠) .
٩- التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ٧ ، ص٣٠
١٠-شوقي ضيف : العصر العباسيّ الثاني ، ص ٧٧
١١- التنوخي : الفرج بعد الشدّة ، ج ٣، ص ٤٣
١٢-مروج الذهب : ج ٤ ، ص ١٠٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكانت لعبة النرد أو (طاولة الزهر) (١) وهي اختراع فارسيّ من أكثر الألعاب شيوعاً أيضاً ،وكانت تلعب على رقعة بها أربعة وعشرون منزلاً بثلاثين حجراً وفصّين يجري بهما اللّعب كما هو معروف في عصرنا (٢)٠

وكانوا يخرجون للصيد والقنص، ومن أشدّ الخلفاء شغفاً بالصّيد المعتضد وقد شجّع الأمير معزّ الدولة السعّي والصراع ،وذلك إنّ معز الدولة احتاج إلى السعاة ، ليجعلهم فيوجاً بينه وبين أخيه ركن الدّولة (٣).

" وشغف بعض أصحاب معزّ الدولة بالسباحة ، حتى أحدثوا فيهاالطرائف ، فكان الشاب يسبح قائماً ، وعلى يده كانون فوقه حطب يشتعل تحت قدر إلى أن تنضج ، ثم يأكل منهما " (٤)٠

وكانت العامة تجد تسليتها المحبّبة عند القصاص فقد كانوا منتشرين في طرقات بغداد ، وكانوا يقصّون نوادر الأخبار وغرائبها ، وكان كثير منهم من يخلط هزله بحكاية لهجات النازلين ببغداد من الأعراب والخراسانيّين والزنوج والفرس والهنود والروم أو يحاكون العميان ، وقد يحاكون بقض الدوابّ وخاصّة الحمير (٥) ٠

- **المجون والشعوبيّة والزندقة :-**

١- المجون : -

كانت قصور الخلفاء في عصور عدد من الخلفاء فيها مجالس للشراب والسماع والغناء ، وبالمثل كانت قصور عدد من الأمراء وكبار الدولة (٦) .

وكانت هناك أيام سنوية ، يخرج فيها الناس ، للّهو والمجون ، وهي أيام الأعياد سواء أعياد المسلمين، أو أعياد الفرس ، أو أعياد النّصارى وكانت تشبه كرنفلات ضخمة يلهو الناس فيها لهواً مباحاً وغير مباح(٧) ٠

١- التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج ٤ ، ص ١٢٦
٢- شوقي ضيف :العصر العباسي الثاني ، ص ٧٨
٣- التنوخيّ : نشوار المحاضرة، ج ٤ ، ص ٢١٧
٤- التنوخيّ : المصدر السابق نفسه ، ج ٤ ، ص ٢١٩
٥- الجاحظ : البيان والتبين ، ج ١، ص ٦٩
شوقي ضيف : العصر العباسيّ ، ص ٧٩
٦- شوقي ضيف : العصر العباسيّ الثاني ، ص ٩١-٩٧
٧- التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج ٨ ، ص ٢٤٦، وغيرها من الحكايات

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكانت الخمر في كلّ مكان، ومعها القيان والجواري المبتذلات،و الغلمان ،وهؤلاء المجّان والخلفاء توّرطوا في آفة مزرية هي آفة الشغف بالغلمان المرد (١).

ويذكر ابن الأثير أنه في عام ٣٢٣ هـ ، دبّر الحنابلة ببغداد حملة شعواء على المجون، وفتّشوا دور القوّاد والعامة ، وكانوا كلّما وجدوا نبيذاً أراقوه ، أو آلة غناء حطّموها ، أو مغنيّة ضربوها، وحرّموا على الرجال رفقة الصّبيان والغلمان (٢) .

- **الشعوبيّة والزّندقة :-**

ظلّت نيران الشعوبيّة مستعرة ، إذ أخذ كثيرون يشيدون بفضائل الشعوب القديمة وحضارتها ومدنيتها، وفي مقدّمة هؤلاء الفرس والهند والنبط والسريان ، منوّهين لما كان لهم من أمجاد وحضارة (٣) ، وكأنما لم يسمعوا بما دعا الإسلام من هدم للفوارق العصبيّة ، كما جاء في خطبة الوداع : " أيها الناس إنّ ربّكم واحد ، وإنّ أباكم واحد كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم ، وليس لعربيّ على عجميّ فضل إلا بالتقوى ".

إنّ أسوأ ما أدّت إليه هذه الشّعوبية الحمقاء الزندقة والزنادقة الذين كانوا يبغضون العرب وكلّ ما اتصّل بهم من إسلام وغير إسلام (٤)، و" إنّ عامة من ارتاب بالإسلام إنما كان أوّل ذلك رأي الشعوبية ،والتمادي فيه ،وطول الجدال المؤدّي إلى القتال ،فإذا أبغض شيئاً أبغض أهله ، وإن أبغض تلك اللغة ، أبغض تلك الجزيرة ،وإذا أبغض تلك الجزيرة أحبّ من أبغض تلك الجزيرة ، فلا تزال الحالات تنتقل به حتى ينسلخ من الإسلام ، إذ كانت العرب هي التي جاءت به وكانوا السلف والقدوة " (٥).

١- التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج ١، ص ٣٤٩-٣٥٠ ، وغيرها من الحكايات

٢- الكامل في التاريخ : ج ٨، ص ٢٢٩

٣- شوقي ضيف : العصر العباسيّ الثاني ، ص ٩٧

٤- التنوخيّ : الفرج بعد الشدّة ، ج ١، ص ٣٣٨

٥- الجاحظ : الحيوان ، ج ٧، ص ٢٢٠، يقع في ٧ أجزاء ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر- القاهرة - ١٩٦٠م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الفرق التي وصفت بالزندقة :

الراوندية :-

وهي فرقة تقول بالتناسخ والحلول ، ويورد التنوخيّ أحاديث عن ابن الراونديّ (١) وملازمته لأهل الإلحاد ، وقد تمادى حتى كفر بالدّين، وبجميع الديانات ، وألف كتباً كثيرة .

وأهمّ من ورث عن ابن الراونديّ إلحاده وزندقته وطعنه على الدين الحنيف ، الطبيب أبو بكر محمد بن زكريا الرازي ، المتوفيّ سنة ٣٢٠ هـ، وكان كيمانيا إلاّ أنه اتّبع هواه وخيّل ، إذ أنكر النبوات وألف في الزندقة ،ومن كتبه " مخاريق الأنبياء " (٢) ، إلاّ أن المعتزلة كانوا لهم بالمرصاد ونقضوا آراءهم وبيّنوا فسادها .

وكان للزنادقة تأثيرات مختلفة على الدّولة والمجتمع الإسلاميين، ولعلّ أبرز تلك الآثار الأثر الدينيّ الذي انتقت عنه الآثار الأخرى من سياسيّة أدبية وأخلاقية .

*** الأثر الدينيّ :-**

ترى بعض فرق الزنادقة إهمال تعاليم الدين والتشكيك فيها ، ومنهم من اتخّذ موقفاً عدائياً مع كلّ ما يسمّى بالدين ، وقالوا بوجوب الإيمان بما يقع تحت الحواس ، وعرف هؤلاء بأسماء مختلفة (٣).

وهناك جماعات أخرى آمنوا بالدين، لا للدين أو الإيمان ،وإنّما للوصول لمآربهم التي يسعون إليها .

وكان النشاط الإيجابي في محاربة الزنادقة من قبل المعتزلة الذين وقفوا أنفسهم سداً منيعاً أمام أفكار الزنادقة ، يقارعونهم الحجة بالحجة ،و يبطلون شبههم ، ويجلّون أفكار وعقائد الإسلام ، ولم يرَ علم الكلام النور إلاّ أيام الردّ على الزنادقة ومجادلتهم .

١- التنوخيّ : نشوار المحاضرة، ج ٤،ن ص ١٥٢ ، الحكاية ١٥٢- قال ابن الجوزي في المنتظم (٩٩/٦) عن ابن الراونديّ بأنه معتمد الملاحدة والزنادقة وقد ألف كتبا في نقض الأديان منها : " نعت الحكمة " و" قضيب الذهب " و" الزمرّدة " و" التاج " و" الدافع " و" الفرند " إمامه المفضول " وتوفي سنة ٢٩٨ هـ

٢- شوقي ضيف : العصر العباسيّ الثاني ، ص ١٠٤

٣- عاطف شكري أبو عوض : الزندقة والزنادقة ، ص ١٩٧، دار الفكر ، الأردن ، عمان

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن أمثلة تأثير الزنادقة في الآراء الدينية عند العامة من المسلمين ما ذكره أحمد أمين قائلا : " إن عقيدة المسلمين في الصراط بهذا النمط الذي يحكيه زرادشت ، وفي الأعراف على هذا الوجه ،وتحليق الروح على الجسد، وإقامة الشعائر لذلك، ثلاثة أيام كل هذه عقائد تشبه مشابهة تامة في الديانة الزراد شتية ، وقول المعتزلة في الجبر والاختيار، وقول الصوفية في أقسام النفس ، وكله مأخوذ عن هذه الديانة " (١) ، يعني الزرادشتية .

* **الأثر السياسي :-**

كان أثر الزنادقة السياسي على الدولة الإسلامية واضحا، فنشوء الشعوبية كانت نتيجة لتعصب كل جنس من المسلمين لقوميته ، ولعل السبب الرئيس في ذلك هو تعصب العرب لقوميتهم ومناداتهم بها ، وتقريبهم مفهوما مع إبعادهم مفهوم الإسلام ، فأدى ذلك إلى تشتت الجنسية - الأم - الإسلامية ، غذى هذه الحركات كلها الزنادقة ، وأدى إلى " إضعاف شأن الأمة الإسلامية ، فلم تعد الحماسة الدينية كما كانت في عصورها الأولى ، فإن قوي العقل ضعف القلب ، وإن كثر عدد المسلمين، فقد قلت قوتهم ، ومن أجل ذلك وقفت الفتوح تقريبا ، وانصرف جهاد المسلمين إلى إطفاء الفتن السياسية والفتن الدينية ، وأسلم ذلك إلى انقسام المسلمين إلى ممالك ودول ، كما انقسموا من قبل إلى مذاهب ونحل " (٢).

* **الأثر الأدبي :-**

لعب شعر الزنادقة دورا في تغذية الانحلال الخلقي ، وبث معاني الكفر والشك بين فئات من الناس ، وقد أفسد الزنادقة اللغة والأدب بما صنعوه من شعر ، ونسبوه إلى الشعراء المتقدمين .

ونتيجة لكثرة الفرق الإسلامية ، وتعددها ، فقد أثرت في الأدب تأثيرا قويا " فعمقت موضوعاته ودقت معانيه " (٣) .

١- فجر الإسلام ، ص ٢٠٧

٢- أحمد أمين : ضحى الإسلام ، ج ٣، ص ٣٥١

٣- أحمد أمين: ضحى الإسلام ، ج ٣، ص ٣٥٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

• **الزّهد والتصوّف :-**

لم يغلب المجون والإلحاد ، فإنه كان يشيع في طبقات خاصّة ، فالمجون كان بين الأفراد المترفين المنعّمين ، والشعوبية كانت تشيع بين أبناء الأعاجم، وبالمثل الزندقة فقد كانت مقصورة على أفراد ،فقد كان المجتمع إسلامياً ، وكانت الطبقة العامة فيه متمسكة بالإسلام ،ومنهم الزاهدون في الحياة الدنيا ، الذيّن كانوا يحيون حياة زهد- خالصة كلّها تبتل وعبادة وتقشّف ، وابتعاد عن الإستمتاع بالحياة وملذاتها ،وانصراف عن النّعيم أملين النعيم الأزليّ السرمديّ الذي لا يزول أبداً .

انبثق من حركة الزهد والنسك نزعة التصوّف والصّوفيّة ، وكان لهم مصطلحات خاصة ، وطبائع وعقائد تميّزهم ،و" المتصوّفة فئة من المتعبدين والصوفيّ (عند الصوفيّة) من كان فانياً بنفسه ، باقياً بالله مستخلصاً من الطبائع متّصلاً بحقيقة الحقائق " (١) .

• **وأورد التنوخي العديد من مصطلحات الصوفيّة مثل :-**

ا- **البَدَلْ**(٢): الأبدال سبعة رجال من سافر منهم من موضع ترك جسداً على صورته حياً بحياته ، ظاهراً بأعمال أصله ، بحيث لا يعرف أحد أنّه فقد(٣)

ب- **العالم** (٤) : هو كلّ ما سوى الله من الموجودات ، لأنه يعلم به الله من حيث صفاته (٥).

ج - **القُطب** (٦) : وقد يُسمّى غوثاً ، باعتبار التجاء الملهوف إليه ، والقطب عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله في كلّ زمان (٧).

د - **التواجد** : " هو استدعاء الوجد تكلفا" (٨) .

١-التنوخيّ: نشوار المحاضرة ، ج ١، المقدّمة ، ص ٤

٢-التنوخيّ: المصدر السابق نفسه ، ج ٢ ، ص ٣٥٣

٣- الجرجاني : التعريفات ، طبعة اصطنبول، ص ٣٧

٤- التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج ٢، ص ٣٥٣

٥- الجرجاني : التعريفات ، ص ١٢٦

٦- التنوخيّ : نشوار المحاضرة، ج ٢، ص ٣٥٣

٧-الجرجاني : التعريفات ، ص ١٥٥

٨-التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج ١، ص ٩٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هـ ـ **الخطرات**(١) : " وهو ما يرد على القلب والضمير في الخطاب ، ربانيا أو ملكيّا أو نفسيا ، أو شيطانيا من غير إقامة ، وقد يكون وارد لا تعمل لك فيه "(٢) .

و - **الوساوس** (٣) : الهواجس والوهم (٤).

ز - **التوكّل** (٥) : " وهو يعني الثقة بما عند الله واليأس عما في أيدي الناس"

ح - **القرب** (٦) : "وهو قرب العبد من الله تعالى بكلّ ما تعطيه السعادة" .

ط - **الأدب**(٧) : "وهو معرفة ما يحترز به عن جميع أنواع الخطأ ".

وقد ذكر التنوخيّ في مصنفاته هذه المصطلحات مع حوادث حصلت مع أعلام الصوفية في ذلك العصر، وعاداتهم التي كانوا يمارسونها في حياتهم ، فالشبليّ (٨) مثلاً له عادة نتف شعر رأسه ، والتواجد في الطرقات و كان ابن خفيف (٩) شيخ الصوفية بشيراز ، يتكلّم على الخطرات والوساوس ، ويحضر حلقته ألوف من الناس ، إلى هذا المذهب .

وحدث " أن مات رجلٌ صوفيّ من أصحابه ، وخلّف زوجة صوفية، فاجتمع النساء الصوفيات و هن خلق كثير ،ولم يختلط بمأتمها غيرهنّ : فلّما فرغوا من دفنه دخل ابن خفيف ، وخواصّ من أصحابه إلى الدار ... ،وأخذ يعزّي المرأة بكلام من كلام الصوفية إلى أن قالت : قد عزّيت فقال لها ابن خفيف : هاهنا غير ؟ فقالت : لا غير فقال : ما معنى التزام النفوس آفات الهموم وتعذيبها بعذاب الغموم ؟ ولأي معنى نترك الامتزاج ، لنلتقي الأنوار وتصفو الأرواح وتقع الإخلافات ،وتنزل البركات ؟ (١٠).

١- التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج ١ ، ص ٩٩

٢- الجرجاني : التعريفات ، ص ٨٥

٣- التنوخيّ : نشوار المحاضرة : ج ١ ، ص ٩٩

٤- الجرجاني : التعريفات ، ص ٢٢٨

٥- التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج ٣ ، ص ١٢٠

٦- التنوخيّ : المصدر السابق نفسه ، ج ٣ ، ص ١٢٣

٧- التنوخيّ : المصدر السابق نفسه ، ج ٣، ص ١٢٣

٨- أبو بكر دُلف بن جُحدر الشبليّ : نسب إلى شَبلية قرية من قرى أشرو سنة ، من بلاد ما وراء النهر وراء سمرقند كان والياً في دنياوند ثم تصوّف واشتغل بالعبادة ، وكانت مجاهداته فوق الحدّ وتوفي سنة ٣٣٤هـ (وفيات الأعيان ٣٩/٢) و (معجم البلدان ٢٥٧/٣).

٩- التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج ٣، ص ٢٢٨

١٠- التنوخيّ : المصدر السابق نفسه ، ج ٣ ، ص ٢٢٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويشرح التنوخي هذا الحوار ، " بأنّ قول ابن خفيف " ها هنا غير ..." يعني ها هنا غير موافق في المذهب ، أما قولها " لا غير " فيعني : ليس من مخالف . وقوله : " نترك الامتزاج " ، كناية عن الوطء ، من الممازجة وقوله : " لنلتقي الأنوار " ، على أصلهم ، إنّ في كلّ جسم نوراً إلهيّا . وقوله " الإخلافات " أن يكون خَلَفٌ لكلّ من مات أو غاب من أزواجكنّ " (١).

وقد بلغ هذا الحديث ومثله الأمير عضد الدولة، وقبض على جماعة منهم ، وضربهم بالسياط ، وشرّد جماعة منهم ، وشتّت جموعهم ، لما في كلامهم من خطورة على المجتمع الإسلاميّ (٢).

وكان من المتصوّفة من يحاول أن ينشر بعض أقواله الخاصة بين الناس ، مثل المزيّن الكبير الصّوفي (٣) ، فقد نصح من أضاع شيئاً أن يقول: " يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه، إنّ الله لا يخلف الميعاد ، اجمع بيني وبين كذا " (٤) ، ومنهم من كان يعطي فصوصاً للناس لتحميهم،و لتزيل الغمّ ، كما فعل الكتانيّ الصّوفي (٥) مع أحد المتصوفة المعروف بالخوّاص (٦) .

ومن المتصوّفة من هم عفيفو النفس ، متقشفون في حياتهم ، يعملون ويكسبون دون خداع الناس ، مثل عبد الصّمد الدينوريّ (٧) ، ومهنته دقّ السُّعد (٨) ، وسمع الدينوريّ عطاراً يهودياً ، يقول لابنه بأنه قد جرب المسلمين فما وجد فيهم ثقة . فتركه عبد الصمد أياماً ، ثم جاءه ، فقال : أيها الرّجُل تستأجرني لحفظ دكانك وآخذ منك ثلاثة أرطال خبز ، ودانقين فضة

١-التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ٣ ، ص ٢٢٩

٢- التنوخي: المصدر السابق نفسه ، ج ٣، ص ٢٢٩

٣-أبوجعفر الزين الكبير: مات بمكّة وكان من العبّاد ، توفي سنة ٣٢٨هـ ، (التنوخي، النشوار ، ج ٣ ، ص ١٩٨)

٤- التنوخي : نشوار المحاضرة، ج ٣، ص ١٩٨

٥- الكتاني الصوفي : هو أبو بكر محمد بن علي بن جعفر ، أحد مشايخ الصوفية ، بغداديّ أقام بمكّة ومات بها ، وكان يدعى سراج الحرم توفي سنة ٣٢٢هـ (تاريخ بغداد للبغداديّ ، ج ٣ ، ص ٧٤)

٦- الخوّاص الصوفي : هو إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل ، أبو إسحاق الخوّاص الصوفي كان أوحد المشايخ في وقته من أقران الجنيد ، ولد بسامراء ، وتوفي بالريّ سنة ٣٠٣هـ ، (التنوخي ، نشوار المحاضرة، ج٣، ص ١٩٨)

٧- أبو القاسم عبد الصمد بن عمر بن محمد بن اسحاق الدنيوريّ : الواعظ الزاهد ، المتصرّف كان يضرب به المثل في المجاهدة والتقشف والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر وتوفي سنة ٣٩٧هـ (المنتظم ٢٣٥/٧)

٨- السُّعد : نبت له اصلٌ تحت الأرض ، أسود طيب الريح ، يطيب النكهه وينفع في لسعة العقرب ، ويعجل الدمال القروح ويزيل انتفاخ البطن (النشوار ٥/ص ٣١) ، المنتظم ، ج ٧ ، ص ٢٣٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كلّ يوم فرضي اليهوديّ وعمل معه سنة ، وعندما جاء اليهوديّ ، حاسبه وطلب عبد الصمد منه أن ينظر لدكانه ، فلم يجد فيها خيانة أو خللاً، وأخبر به أنه ما أراد العمل معه إلا لينقض ما قال لابنه عن المسلمين ، وأقام على دقّ السعد (١).

وقد حجّ جعفر الخلديّ (٢) على التوكّل . فقد حجّ ستًّا وخمسين مرة ، منها عشرون حجة على المذهب ، يعني التوكّل بلا زاد ولا راحلة (٣).

ومن الصوفية من تركوا مذهبهم بعد عمر ، فالصوفي رويم (٤) كتم حب الدنيا أربعين سنة ، فقد تصوّف أربعين سنة، فولّي بعد ذلك ، إسماعيل بن إسحاق القاضي ، قضاء بغداد ، وكانت بينهما مودّة ، فجذبه إليه، وجعله وكيلاً على بابه ،فترك رويم الصوفية ، والتصوف ، والتوكّل . ولبس الخز والقصب والدبيقيّ ، والمرويّ وركِبَ الحمير ، والبغال ، وأكل الطيبات،و بنى الدور (٥) .

ومن المتصوّفة الذين شاع خبرهم ، وعلا صيت ذكرهم في القرنين الثالث الهجريّ والرابع الهجريّ ، الحلاّج (٦) ، وقد روى التنوخي في مصنفاته الكثير من الأخبار عن الحلاّج وأتباعه ، وعن مخاريق الحلاج ومعجزاته إن جاز التعبير .

و الحلاّج من تلاميذ الجنيد ، وهو الحسين بن منصور المعروف باسم الحلاّج ،ويقال إن أباه كان حلاّجاً يحلج الصُّوف ، أما جدّه كان مجوسيًّا ثم اسلم ،ودخل الدين الحنيف ، وقد نشأ في مدينة تستر . فلزم " سهلاً التستريّ الصّوفيّ " الذي أضاف إلى التوبة عند المتصوّفة عنصر الندم ،و الذي أخذ عن الشيعة فكرة عمود النور محل نفوس المؤمنين وكأن الله يتجلّى فيهم منذ البدء .

١- التنوخيّ : نشوار المحاضرة، ج ٥، ص ٣٠-٣١

٢- جعفر الخلديّ : هو أبو محمد جعفر بن محمد بن نصير بن القاسم الخواص الصوفي ، سافر كثيراً وروى علما جماً ، وحجّ ستين حجة ، نشوار المحاضرة ، ج ٣، الحكاية ٧٣و٧٤و٧٥و٧٦و٧٧ وج ٦ / الحكاية ٣٢).

٣-التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ٣ ، ص ١١٩ ن الحكاية ٧٦

٤- رويم : هو رويم بن أحمد بن يزيد بن رويم ، أبو محمد الصوفي ، وهو من أفاضل البغداديين عالم بالقرآن ومعانيه كان يتفقه لداود بنعلي الأصبهاني ، توفي ٣٠٣هـ (المنتظم ١٣٦/٦) والنشوار ٣/ الحكاية ٧٧

٥- التنوخي : نشوار المحاضرة، ج ٣، ص ١٢٠

٦- انظر في أخبار الحلاج (الفهرست ص ٢٨٣و النجوم الزاهرة ٢٠٢/٣ والتنوخي ، نشوار المحاضرة ج ١ الحكايات ٨١-٩١ ، ص ١٥٩-١٧٦ / ج ٢ ،الحكاية ١٥ ص ٢٩٠ ، ج ٦ ، الحكايتان ٥٠و٥١)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قدم الحلاج بغداد ، وصاحب الجنيد ، وأخذ عنه عباراته وحركاته وبالغ فيها حتى وقع في نفس الحلاج ، أنه أعلى صوفي في عالم التصوف،وأنه رقي مرتبة الكمال التي يحلم المتصوفة في إدراكها • وتعلم علم الفلسفة اليونانية وعلم الكيمياء على يد أبي بكر الرازي ، أشهر أطباء عصره ، وطاف بلادا كثيرة ، حتى وصل الهند ، وتعلم فيها السحر والشعوذة • وعاد إلى بغداد سنة ٢٩٥ هـ ، وأخذ يبث آراءه ، ويكثر من الكلام الموهم للكفر ، والخروج حتى على متصوفة عصره من مثل قوله " أنا الله" ، و" أنا الحق" •

علا شأن الحلاج ، حتى صار الناس يقولون أنه مجاب الدعوة، وأن له معونات تتم على يديه ، وأنه إذا ضرب يده إلى التراب صار التراب ذهبا أو دراهم (١) ، وقيل إن الحلاج كان لا يأكل شيئا شهرا أو نحو ذلك (٢)و هذا الأمر مبالغ فيه لا محالة ، فقد سئل أبو الفرج الصوفي عن ذلك ، وكان صالحا وقد كان القصري غلام الحلاج ، زوج أخته فسأله عند ذلك ، فقال إنه لا يعلم مدى صحة ذلك ، ولكن لا بد أن تتم حيلة تخفي على الناس ، وهي الرصد فالإنسان إذا ظل مراقبا أياما وأياما لا يأكل • ثم حين يخلو بنفسه يأكل وإذا تمضمض للطهور يشرب(٣) •

وأكثر مخاريق الحلاج التي يستهوي بها جهلة الناس ، إظهار المأكل في غير أوانها بحيل يقيمها ، فمن لا تتكشف له ، يتهوس بها ، ومن كان فطنا لم تخف عليه • ومن الطرائف في ذلك (٤)، أنه كا ن يقول للمسترشدين الذين يسألون عنه وعن عقيدته أن ينتشهوا ما يشاؤون ، حتى يأتيهم به • فحصل أن اشتهى أحدهم سمكا طريا وهم في منطقة جبلية لا أنهار فيها ، فطلب منه الحلاج أن ينتظر، وقام ودخل البيت ليدعو الله أن يبعث له بالسمك (وهذا في الظاهر كما قال للمشتهي) •

أما في الحقيقة ، فقد كان بيته يؤدي إلى بستان عظيم ، فيه صنوف الأشجار والثمار والنوار ، والريحان ، التي هي في وقتها، وما ليس في وقته مما قد عتق ، وغطي ، واحتيل في بقائه وهناك خزائن مليحة ، فيها أنواع الأطعمة المفروغ منها ، والحوائج لما يعمل في الحال ، إذا طلب وكان في البستان بركة مملوءة بالسمك الكبير والصغير •

١- التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ٢ ، ص ٢٩٠
٢- التنوخي : المصدر السابق نفسه ، ج١ ، ص ١٥٩
٣- التنوخي : المصدر السابق نفسه ، ج ١، ص ١٦٠
٤- التنوخي: المصدر السابق نفسه ، ج ١ ، ص ١٦٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقد خاض الحلاّج في البركة ، وأحضر السمكة ، وأعطاها للمشتهي ،وقال له : دعوت الله تعالى فأمرني أن أقصد البطائح ، وأجيئك بهذه ومضيت إلى البطائح ، وخضت الأهواز ، حتى أخذت هذه السمكة (١).

ومن أقوال الحلاّج وتواقيعه :" أن الآن أوانك، للدواء الغرّاء ،الفاطميّة الزهراء المحفوفة بأهل الأرض والسماء ، وأذن للفئة الظاهرة مع قوة ضعفها في الخروج إلى خراسان ليكشف الحقّ قناعه ، ويبسط العدل باعه"(٢) .

وقيل إن الحلاج سمع يوماً زمراً طيّباً شجيّاً ، فقال : هذا نوح إبليس على الدنيا (٣)، ويوماً بعد يوم زادت أوهام الحلاّج ، حتى أنه اتفق مع شخص أن يدّعى العمى وعدم الحركة، ويمكث على هذه الحال سنة، ثم يقول بأنه رأى مناماً ،أخبره رسول الله محمد عليه السلام ، بأن هذا البلد سيطرقه عبدٌ صالح مجاب الدعوة ،وتكون عافيته على يده حتى جاء الحلاج بعد عام ،ومسح بيده عليه، وقام من مرضه وشاع أمر الحلاج ، وكثر الناس عليه(٤).

أحاطت ريب المعتزلة بالحلاج ، واتّهموه بالزّندقة، وأثار الفقهاء عليه رجال الدولة ، وسيق سنة ٣٠١هـ إلى السّجن ، وظلّ فيه ثماني سنوات،و دعا الوزير حامد بن العباس قضاة المذاهب الأربعة لمحاكمته ،وانعقدت جلسات المحاكمة ،وشهد الشهود بادعائه الربوبيّة والنبوّة ،ولكنه أنكر ذلك وثبت عليه قوله بأن الحجّ ليس من الفرائض الواجب أداؤها ،وهذا إنكار لركن من أركان الإسلام (٥).

وكان أهم ما جعل العلماء يذهبون إلى زندقته ، نظريّته في الخالق وخلقه ، فقد كان يظهر إيمانه بالله وبأن الله لا تحيط به القلوب ، ولا الأبصار ولا ينعت بالشرح والوصف ، وهذا تنزيه للخالق ، ولكنه ، يقول: إن الإنسان إذا أقبل على تحمل المشاقّ والآلام انطبعت في نفسه الإلهية (٦).

١-التنوخيّ : نشوار المحاضرة، ج ١، ص ١٦٦-١٦٧
٢- التنوخيّ : المصدر السابق نفسه ، ج١ ، ص ١٦٩
٣- التنوخيّ : المصدر السابق نفسه ، ج ١ ، ص ١٦٩
٤- التنوخيّ : المصدر السابق نفسه ، ج ٦، ص ٧٦-٧٧
٥- التنوخيّ : المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ، ص ٧٩-٩٠
٦- شوقي ضيف : العصر العباسيّ الثاني ، ص ٤٧٧-٤٧٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي صبيحة يوم الثلاثاء ، لستٍ بقين من ذي العقدة ، أخرج الحلاج من السجن وضرب بالسوط ، واجتمع من العامة خلق كثير لا يُحصى عددهم ، فضُرب إلى تمام الألف سوط ، وما استعفى ، ولا تاوّه . ولما بلغ الألف سوط ، قطعت يده ، ثم رجله ، ثم يده ، ثم رجله ، وحزّ رأسه ،و أحرقت جثته وقلبت على الجمر ، ولما صارت رماداً ألقيت في دجلة(١).

"ونصب الرأس يومين في بغداد على الجسر ، ثم حمل إلى خراسان ،و طيف به في النواحي ، وأقبل أصحابه يعدّون أنفسهم برجوعه بعد أربعين يوما . واتفق أن زادت دجلة في تلك السنة ، زيادة فيها فضل ، فادّعى أصحابه ، أنّ ذلك بسببه ، ولأن رماد جثته خالط الماء ، وقد زعم أصحاب الحلاج أنّ المضروب ، عدوّ الحلاج ، ألقي شبهه عليه"(٢).

١- التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج ١ ، ص ٩٠ - ٩٢
٢- التنوخيّ : المصدر السابق نفسه ، ج ٦ ، ص ٩١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الرابع

صورة الحياة الاقتصادية في القرن الرابع الهجريّ في مصنفات التنوخي

*الزراعة
١-نظام الأراضي
٢-النظام الزراعي
٣-الحاصلات الزراعية ومناطقها

*الصّناعة
١-أصناف العمّال
٢-تنظيمات العمّال
٣- الصّناعات

* التجارة
١-العوامل المشجعة للتجارة
٢-التجّـــــــار
٣-المتعاملون بالائتمان
٤-المعاملات المالية
٥-النقود

*موارد الدولة ومصارفها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لم تسعفنا مصنفات التنوخيّ في تصوير الحياة الاقتصاديّة بصورة متكاملة، فالأخبار موزّعة بين موضوعات أخرى ، وسأحاول رسم الحالة الاقتصادية في القرن الرابع الهجريّ كما وردت في مصنفاته .

• **الزراعة :-**

- أولا : نظام الأراضي :-

صنفت الأراضي الزراعية إلى عدة أصناف(١):

١- الأراضي السلطانيّة :-

وهي الأراضي التي صادرها العباسيّون من الأمويين ،وقد توسعت عن طريق الشراء ، ومصادرة ضيع موظفيّن فُصلوا أو ماتوا (٢).

أنشئت عدّة دواوين لإدارة الأراضي السلطانية ، فكان لأم المقتدر ديوان خاصّ لإدارة ضياعها ، وكانت كلّ ضيعة أو مجموعة ضيع توكل إلى عامل يضمن خراجها ، أو يعطيها بالضمان إلى شخص آخر (٣).

تقلّصت ضيع الخلافة بعد سنة ٣١٧هـ ، وذلك بسبب شغب الجند للحصول على الرواتب ، حتى اضطر الوزراء إلى بيع كثير من هذه الأراضي لسدّ عجز الخزينة (٤).

٢- الإقطاعيات :-

الإقطاع كما يُعرفه الخوارزميّ " أن يقطع السلطان رجلاً أرضا فتصير له رقبتها " (٥) ، أي أن تُصبح الأرض ملكاً لصاحب الإقطاع .

وقد كانت الإقطاعيات على أنواع منها :-

١- الدوريّ : تاريخ العراق الاقتصاديّ في القرن الرابع الهجريّ ، ص ٤٤

٢- الدوريّ : المرجع السابق نفسه، ص ٤٤

٣- التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج ١، ص ٢١١

٤- مسكويه : تجارب الأمم ، ج ١ ، ص ٢٠٠

٥- الخوارزميّ : مفاتيح العلوم ، ص ٣٩، القاهرة ، ١٩٣٠م، وطبعة فان فلوتن عام ١٨٩٥ م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١-الإقطاعات الخاصّة : -

كانت تُمنح إلى أفراد لهم خدمات خاصة ، كالشعراء و المغنين،و يكون لصاحبها حقّ توريثها من بعده ، فقد كانت تتمتع حفيدة الشاعر البحتريّ في خلافة الراضي ، بإقطاع لها ، كان لجدّها (١)٠

و كان تقدير الإقطاعيات والضيّاع حسب معدّل الوارد من الضرائب ويعرف بالعبرة (٢) ٠

وتقدّر العبرة بأن يؤخذ معدّل الوارد لسنين عدّة من سني الرخاء والقلة(٣)٠

٢- أراضي المِلْك :-

اقتنى الموظفون ، وغير الموظفين الضياع ، لأنها ملكية مستقرّة،و موردها نسبيًّا أكيد ، وعند مصادرة الأموال ، لا تشتمل المصادرة على الضيّاع ، وكان الناس يستغلّون أموالهم في شراء مثل هذه الأراضي والضياع (٤)٠

وأهم الملاكين الذين يذكرهم التنوخي هم الخليفة وكبار الموظفين ،و ذلك لعادة " الإلجاء " حيث اتبعها صغار الملاكين ، بسبب ضغط الجباة عليهم ، مما اضطرهم إلى وضع أراضيهم في حماية الخليفة ، أو الأمراء ، بتسجيل تلك الأراضي بأسمائهم في الديوان ، وذلك مقابل دفع جزء من الحاصل إلى الحامي (٥)،و بمرور الزمن ، كان الحامي يُصبح المالك الحقيقي للأرض ، ويُصبح المالك الأصلي مزارعاً في الأرض (٦) ٠

٤- أراضي الوقف :-

وهي الأراضي التي يخصّصها المسلمون لأغراض دينيّة ، ويكون واردها للأراضي المقدّسة أو للمجاهدين ، أو للفقراء ، أو اليتامى ، ٠٠٠ إلخ (٧)٠

١-التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ٨ ، ص ١٢٠
٢-التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج ٨ ، ص ١٢٧
٣-الخوارزميّ : مفاتيح العلوم ، ص ٤٠
٤-التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج١ ، ص ٢٧
٥-التنوخيّ : المصدر السابق نفسه، ج ٨ ، ص ١٣١
٦- ابن مسكويه : تجارب الأمم ، ج ٦ ، ص ١٧٣ ٠ الدّوريّ : تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ٥٦
٧-ابن الطقطقى : الفخري في الآداب السلطانية ، ص ٣٦٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- والوقف نوعان :-

١- **الوقف الخاص :** وهي أوقاف يوقفها بعض الأتقياء من الأمة ، مثل ما وقف نقيب الطالبيّين الموسويّ قبيل وفاته كلّ أملاكه للفقراء (١)٠

٢- **الوقف الرّسميّ :** بدأ به الخليفة بصفته حامي الحرمين ، وحارس الحدود (٢) ٠

ويكون الوقف من الأملاك الخاصة ، ولا يمكن بيعه أو مصادرته ، فحصل أن أرادت أم المقتدر التصرّف ببعض أراضي الوقف ، فرفض القاضي أبو جعفر البهلول ذلك(٣)،كما يحد ثنا التنوخي.

ثانيا : النّظام الزراعيّ :-

أدركت الدولة مدى العلاقة القوية بين حالة الزرع والوارد، وكانت ضريبة الأرض " الخراج " أهم الموارد المالية للخزينة ، والنشاط الزراعيّ يعني ازدياد الوارد (٤)٠

اعتنى الخلفاء والوزراء بالزراعة ، فقد كان الخليفة المعتضد يقرض الزراع النقود لشراء البذور والبقر (٥)٠

وكان الوزير علي بن عيسى يكتب كتباً دورية إلى عماله يوصيهم فيها " بإنصاف الرعية والعدل عليها "، ويأمرهم بالجدّ والاجتهاد في العمارة " أي إعمار الأراضي الزراعية "٠ وكان يقرض فقراء الزّراع البذور ، ثم يسترجع ذلك في موسم الحصاد(٦)٠ وسعى الحكام والوزراء في وضع أساس عادل للجباية ، وأجل موعد الجباية حتى موسم الحصاد،و حاولوا حمايتهم من سياسة الظلم الواقعة عليهم من رجال الجيش (٧)٠

---

١ الدّوريّ : تاريخ العراق الاقتصاديّ ، ص ٣٦٤

٢-ابن الطقطقى : الفخري في الآداب السلطانية ، ص ٣٦٤

٣-التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج ١، ص ٢٤٢

٤-التنوخيّ : المصدر السابق نفسه، ج ٨ ، ص ١٥٣ - ص ١٥٤

٥-التنوخيّ : المصدر السابق نفسه، ج ٨ ، ص ١١٦ - ص ١١٨

٦-الدّوريّ : تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ٦٢

٧-الدّوريّ : المرجع السابق نفسه ، ص ٦٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

استخدم العبيد للعمل في المزارع ، ومن هؤلاء الزنج في البصرة، ولمّا فتح العرب " السّواد " وضعوا لكلّ قرية رئيساً يدعى " الدّهقان " (١)،و أخذ الدّهاقون يجبون من الزراع ضريبة إضافية تسمى " حق الدهقنة " كانت من أنواع الإساءة للزراع (٢).

وفي القرن الرابع الهجريّ ، صار الدهاقون بمنزلة الشيوخ ، ويستشارون في مشكلات الزراعة (٣). وكان يطلق على الزراع اسم الفلاحين والأكرة(٤)

ومن وسائل الريّ المعروفة في القرن الرابع الهجريّ الدلو و الغرب والسانية والناضح وكلّها مترادفة (٥) . وأكثر وسائل الريّ شيوعاً هي التّواعير ، وهي عبارة عن دولاب يديره تيار النّهر (٦) ، وهو أسرع من الدولاب ، وأحياناً كانت الجمال تقوم بتدويرها (٧) .

ثالثا : الحاصلات الزراعيّة ومناطقها :-

أهمّ الحاصلات الزراعية في الدولة الإسلامية ، الحنطة ، والشعير والتمروالارز ، وهناك حاصلات من الحبوب والفواكه ، ولكنها ثانوية الأهمية بين المنتوجات الزراعيّة (٨) .

كان الأرز يزرع في خوزستان ، وفي منطقة البطيحة ، وفي الجامدة شمالها إلى الجنوب من واسط ، وأشار التنوخيّ إلى حقول (الرّز) في الأراضي الواطئة والأهواز قرب الكوفة وعلى قنوات الفرات السّفلى مثل سورا ، ونهر الصراة ونهر النيل ، ويشير إلى حقول أخرى في منطقة جبّل على دجلة (٩) .

عُرف من الفواكه (البطيخ) (١٠) ، واشتهرت بلاد فارس به ، حتى أن بطيخ مرو كان يُقدّر ويُحمل إلى الخلفاء العباسيّين ، وكان سعر البطيخة الواحدة يصل إلى سبعمائة درهم

١-التنوخيّ : الفرج بعد الشدة ، ج ٤ ، ص ٥٩
٢-التنوخيّ : المصدر السابق نفسه، ج ١ ، ص ١٣٤
٣-زيدان ، جرجي : تاريخ اداب اللغة العربية ، ج ٢ ، ص١٨٢ ، القاهرة ، ١٩١١م ، ١٩١٤م
٤-التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج ١ ، ص ٣
٥-الدّوريّ : تاريخ العراق الاقتصاديّ ، ص ٧٢
٦-الدّوريّ :المرجع السابق نفسة ، ص ٧٣
٧-التنوخيّ : نشوارالمحاضرة ، ج ٨ ، ص ٢٣٦
٨-محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ، ص ١٣١
٩-التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج ٨ ، ص ١١٦-١١٧
١٠-التنوخي ّ : الفرج بعد الشدّة ، ج ٣ ، ص ٥٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان يُحمل في قوالب رصاص معبّأة بالثلج (١).

وكان (شجر الزيتون)(٢) يزرع في بلاد الشام ، وكانوا يمدّون الدولة الإسلامية بما يحتاجونه من الزيت (٣) .

وكان (العنب) (٤) يزرع بكثرة ، وعرفوا أنواعاً متعدّدة من العنب كعنب حلوان ، وعرفوا السفرجل أيضا ، والكثير من أنواع الفاكهة (٥).

وأما الخضراوات ، فعرفت أنواع عدة منها الدّباء (القرع)(٦) ،و اليقطين (٧) ، الباقلاء (٨) .

***الصّناعة :-**

أولا : أصناف العُمّال :-

كان هناك صنفان من العمّال : الأحرار ، والرّقيق .

يعيش العمّال الأحرار في المدن أو في الريف ، ففي المدن كانوا يشكلون عامة أصحاب الصناعات ، ومنهم أصحاب الحوانيت ، والقصّابون والبقالون . أما في القرى فقد كان الفلاحون في صنف الأحرار نظريّا (٩).

والصنف الثاني من العمال هم الرقيق والعبيد ، الذين يعدون أدنى من الصنف الأول ، وهم يقومون بالخدمة في البيوت ، ومنهم الطبّاخون ،و البوّابون ، والملاّحون (١٠) في القوارب ، ومنهم من استخدم في الأعمال الأدبيّة كالغناء ، وإلقاء الشعر ، ومنهم من استخدم حرساً خاصاً أو مدربا للجيش (١١).

١-متز : الحضارة الإسلامية ، ج٢ ، ص ٢٥٨

٢-التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج ٤ ، ص ٢٧١

٣-محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق، ص ١٣٢

٤-التنوخيّ : الفرج بعد الشدة ، ج ٢ ، ص ٣٨٥

٥-التنوخيّ : المصدر السابق نفسه ، ج ٢ ، ص ٣٨٣

٦-التنوخيّ : المصدر السابق نفسه ، ج ١ ، ص ٩٢

٧-التنوخيّ : المصدر السابق نفسه ، ج ١ ، ص ٩٢

٨-التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج ١ ، ص ٢٢

٩-الدّوريّ : تاريخ العراق الاقتصاديّ ، ص ٨٧-٨٩

١٠-التنوخيّ : الفرج بعد الشدّة ، ج ٤ ، ص ٢٥١

١١-التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج٨، ص١٨٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانيا : تنظيمات العمّال :-

النّسبة إلى المهنة فشت في القرن الرابع الهجريّ ، وظهرت بجانب النسبة المألوفة إلى المدينة أو القبيلة ، فـ " ابن الجصاص " (١) لقب تاجر مشهور ، و" ابن الجراح " (٢)لقب الوزير عليّ بن عيسى ، و "الحلاّج "(٣)لقب الصّوفيّ المشهور ، وهذا يبيّن أنّ الاشتغال بالمهن اليدوية لم يعد مُحتقراً (٤) ، وقد كانوا يعدّون الصناعة نسبا (٥) .

عاش الصناع وأهل الحرف متجمعّين في محلة واحدة أو في سوق خاص بهم . كما نظّمت أسواق بغداد على المهن منذ نشأتها ، وكان واضحا في القرن ا لرابع الهجريّ . ومن الأسواق المعروفة " سوق الأربعاء " (٦) ، و " سوق الثلاثاء " (٧) ، و " سوق الهيثم " (٨) ، و " سوق يحيى " (٩) ، و " سوق اليمنجيّة "(١٠) ، و" سوق الكتبيّين (١١)،" سوق النحّاسين " (١٢) ، وغيرها من الأسواق .

١- التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج ١ ، ص ٢٥-٣٧
٢- التنوخيّ : الفرج بعد الشدّة ، ج ٢ ، ص ٥٢
٣- التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج ١ ، ص ١٥٩
٤- الدّوريّ : تاريخ العراق الاقتصاديّ ، ص ١٠٥
٥- التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج ٨ ، ص ٤٤
٦- سوق الأربعاء : بليد في نواحي الأهواز ، على نهر ، ذات جانبين ، وبها سوق ، بينها وبين عسكر مكر ستة فراسخ ، (معجم البلدان ١٨٤/١) . التنوخيّ : الفرج بعد الشدّة ، ج ٤، ص ٢٠١
٧- سوق الثلاثاء : سوق تقام فيه كل شهرة مرة سوق لأهل كلواذي ، وأهل بغداد قبل أن يعمر المنصور مدينته (معجم البلدان ١٩٣/٣) . التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج١، ص ٣١٢
٨- سوق الهيثم : سوق كبيرة متّصلة ، وفي ربض الهيثم بن معاوية ، في مدينة المنصور ، ويشتمل الربض على السوق وعلى منازل ودروب وسكك .(التنوخيّ : الفرج بعد الشدّة ، ج ٣ ، ص ١٨٥) .
٩- سوق يحيى : محلّة ببغداد ، في الجانب الشّرقيّ ، منسوبة إلى يحيى بن خالد البرمكيّ ، اقطعه إياها الرشيد وانتقلت إلى أم جعفر ، ثم إلى طاهر بن الحسين ، وتقع بين الرصافة ، ودار المملكة .(التنوخيّ : الفرج بعد الشدّة ، ج ٢ ، ص ٣٦٨)
١٠-سوق اليمنجيّة : نسبة إلى اليمنيّ ، وهو حذاء أحمر صرّار ، ينسب إلى اليمن ، وهو معروف من القديم بهذا الاسم ، وجميع دكاكينه عامرة ببائعي هذا الصنف من الأحذية .(التنوخيّ : الفرج بعد الشدّة ، ج ٢ ، ص ٥٩)
١١-التنوخيّ : الفرج بعد الشدّة ، ج ٤، ص ٢٤٦
١٢-التنوخيّ :المصدر السابق نفسه، ج ٤، ص ٣١٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن التنظيمات الطريفة للعامة منظمات العيّارين والشطّار ، فقد ظهروا أول مرة في بغداد عام ١٩٦ ـ١٩٧ هـ /٨١٢ م ، ليشاركوا في الدفاع عن المدينة ضدّ القوات الخرسانية التي تحاصرها ، وظهروا ثانية خلال الحصار الثاني لبغداد ٢٥١هـ /٨٦٥ م (١) . وكانوا ينشطون في فترة الاضطراب . وكان ينظر بأنهم أناس بلا هوية ولا مكان في المجتمع (٢).

ويروي التنوخيّ حكاية (٣) تعطي فكرة عن تنظيمهم ، وخاصة عن مراسيم الدخول في التنظيم ، فيذكر أنه سرقت خمسمائة دينار من رجل في نهر الابلة بينما كان راكباً في القارب ، فنُصح بالذهاب إلى شيخ من الفتيان في السجن ، فاتبع النّصح ، وقال له الشيخ : " امض الساعة لوقتك ، ولا تتأخر ،إلى بني هلال ، فادخل الدرب الفلانيّ حتى تنتهي إلى آخره ، فانك تشاهد باباً شعثاً ، فافتحه وادخله بلا استئذان ، فتجد دهليزاً طويلاً يؤدي إلى بابين ، فادخل الأيمن منهما ، فسيدخلك إلى دار فيها أوتاد وبوار ، وعلى كلّ وتد " إزار " و " مئزر " فانزع ثيابك والقها على الوتد ، واتزر بالمئزر ،و اتشح بالإزار ، فيجيء قوم يفعلون كما فعلت إلى أن يتكاملوا ، ثم يأتون بطعام ، فكل معهم وتعهّد في كل شيء كما يفعلون ، فإذا أتوا بالنبيذ، فاشرب معهم أقداحاً يسيرة ، ثم خذ قدحاً كبيراً ، واملأه ، وقم فقل هذا ساري (٤) خالي أبو بكر البغاش ، فسيضحكون ويفرحون ، ويقولون : هو خالك ؟ فقل : نعم ، خالي يقرأ عليكم السلام ، ويقول لكم : بحياتي يا فتيان ، ردوا على ابن أختي الفوطة التي أخذتموها أمس في السفينة بنهر الابلة ، فإنهم يردونها عليك " . فخرج الرجل وفعل ما قيل له ، وردّت الفوطة بعينها .

ونستدل من القصة أن هناك مراسيم خاصة للانتماء إلى جماعة العيّارين ، ومن هذه المراسيم اجتماعهم في مكان منزو ، وشربهم نخب العضو الجديد ، وارتدائهم الإزار والمئزر .

١- الدوريّ : تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ١٠٨

٢- المسعودي : مروج الذهب ، ج ٦، ص ٨/٤٦

٣- التنوخيّ : الفرج بعد الشدّة ، ج ٤ ، ص ٢٥١-٢٥٣

٤- أوله يعني : هذا نخب من قدّمني إلى الجماعة ، والمعنى الحرفيّ أنه شدّ الإزار إلى الوسط- أي أدخله سلك الجماعة . التنوخيّ : الفرج بعد الشدّة ، ج ٤ ، ص ٢٥٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كانت الأسواق والحرف تحت إشراف المحتسب (١) ، وتبيّن كتب الحسبة وظائف المحتسب ، ومنها الإشراف على الأوزان والمقاييس وعلى البيع ونوعية الإنتاج ،وعلى النقود المتداولة ، وعلى الآداب العامة .

ثالثا :الصّناعات :-

اهتمّ الخلفاء وكبار رجال الدولة الإسلامية بالعمل على تقدّم الصّناعة على اعتبار أنها مورد مهم من موارد الثروة . ومن الصّناعات الرائجة في القرن الرابع الهجريّ :-

١- الحياكة والنّسيج : -

كان فن النسيج أرقى من أيّ فنّ صناعي ، والحياكة من أقدم الصناعات اليدوية ، فأهم أقسام الأثاث كانت تتألف من الستائر والأنماط ، والسجاد والبسط ، والوسائد (٢).

أما حياكة الملابس : فنالت عناية خاصة ، فلكلّ طبقة من الناس لباسها ولكل مناسبة نوع خاص من الملابس ، وكان الأغنياء يمتلكون صناديق كبيرة من الملابس ، وهذا التنافس في اقتناء الملابس الثمينة شجع الصّناع على تحسين الإنتاج والإكثار من أنواعه (٣).

تدخل صناعة السجاد في هذا المضمار ، وقد تفنن الصناع في حياكة السجاد والبسط التي تستعمل لأغراض مختلفة ، فهناك ما يفرش منها على الأرض ، وهي إما كبيرة تسمّى (البسط) ، أو مستطيلة تسمّى (الأنخاخ)(٤). ومنها ما يعلّق للزينة ويسميّ (الأنماط) ، ومنها ما هو للصلاة ويسّمى (سجّادة) (٥).

١- التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج ٢، ص ١٠٨

٢- التنوخيّ : المصدر السابق نفسه ، ج٨ ، ص ٥٢

٣-التنوخيّ : المصدر السابق نفسه، ج٢، ص ١٦٧

٤-التنوخيّ: المصدر السابق نفسه ، ج٨، ص٥٢

٥-التنوخيّ : المصدر السابق نفسه ، ج٨، ص٥٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" وكان للخلفاء والأمراء معامل خاصة تعرف بـ (دور الطراز)،و تعني كلمة (طراز) في الأصل " التطريز " ، ثم صارت تعني النسيج المحلّي بالكتابة ، والكتابة تنسج على حاقة القماش ، وتحتوي اسم الخليفة ولقبه وعبارات الدعاء له (١)، ويستخدم في دور الطراز الصناعة والحاكة ومشرفهم " صاحب الطراز " .

٣- الصّياغة:-

زاد الاهتمام بفنّ الصياغة ، لازدياد الترف في المجتمع ، وبالإضافة إلى أدوات الزينة التي تصنع للسيّدات ، فقد كانت تصنع بعض الأدوات من الفضة والذهب وتزين بالكتابة والصور الفنّية ، كما كانت ترصع بالجوهر(٢).

إن فريدة القرن الرابع الهجريّ ، الشّجرة المشهورة ، الذي سمّي (قصر الشجرة) باسمها وهي للمقتدر ، وزنها خمسمائة ألف درهم من الذهب وعليها طيور من الفضّة تصغر كلّما هبت الريح (٣) .

ثالثا : الحدادة (٤) :-

كان الحدّادون يصنعون السيوف والدروع ، والخوذ والكراسي والأواني وصنعت الموازين ، وكانت موازين حرّان مشهورة (٥) .

١- الدّوريّ : تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ١٢٨

٢- التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج٨،ص٢٥ و ٢٤٥

٣- البغداديّ : تاريخ بغداد ، ص ١٠٤

٤- التنوخيّ : نشوار المحاضرة، ج ١ ، ص ٢٠٣

٥- التنوخيّ:المصدر السابق نفسه، ج ٨ ، ص ٢٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رابعا : النّجـــــارة (١) :-

كان التّجارون يصنعون الكراسي ، والمناضد ، والأبواب ، والسقوف الخشبية ، والآلات الموسيقية (٢) ، وصنعت القوارب والسفن وعُرفت أنواع للسّفن منها (الخيطيّة) وهي دقيقة الشكل وسريعة الحركة (٣) ، و(الطيّار) وهي سريعة الجريان (٤).

خامساً: الدّهون والعطور :-

كانت صناعة العطور ، وماء الورد (٥) ،واستخلاص الدهون من النبات والبذور واسعة ، ومن الدهون " زيت الزيتون (٦) و " الشيرج "(٧) وعرف الكثير من أنواع العطور والطيب كالبخور والكافور ، والندّ العتيق والمسك (٨) ، والغالية (٩) .

١-التنوخي: نشوار المحاضرة، ج ١، ص ١١٣

٢- التنوخيّ :المصدر السابق نفسه، ج٨، ص٢٥١-٢٥٢

٣-التنوخيّ:الفرج بعد الشدّة ، ج٤،ص٢٥١

٤-التنوخيّ : نشوار المحاضرة،ج١، ص٢٦

٥-التنوخيّ:المصدر السابق نفسه، ج٢، ص١٧٦

٦-التنوخيّ: المصدر السابق نفسه، ج٤، ص٢٧١

٧-التنوخيّ:تالمصدر السابق نفسه،ج٣، ص ٢٧١

٨-التنوخيّ: الفرج بعد الشدّة ، ج٣، ص ٢٩٥

٩-التنوخيّ: نشوار المحاضرة، ج١، ص ٥٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سادساً : صناعات أخرى :-

كان النبيذ يصنع بشكل واسع ، ولنبيذ قطربل شهرة خاصة (١) . وعُرفت طرق متعدّدة لحفظ الفواكه وذلك إمّا بتجفيفها كما هي الحال مع التين ، أو بوضعها في العسل والشربت كما هي الحال مع التفاح (٢) ،أو حفظ الفواكه بالقطن لحمايتها من العفن ، كما هي الحال مع السّفرجل (٣) .

• التجّـــــارة :-

أولاً : العوامل المشجّعة للتجارة :-

من أهم العوامل التي ساعدت على إزدهار التجارة في القرن الرابع الهجريّ (٤) :-

أ- تشجيع الدولة والخليفة وكبار الموظفين للتجار بصورة مباشرة، وغير مباشرة وازدياد الطلب على البضائع الأجنبيّة ، وتقديم الهدايا للتجار،و إعفاؤهم من بعض الضرائب .

ب- اشتغال الرسول محمد عليه الصلاة والسلام ، وخلفائه الثلاثة الأولين بالتجارة ، شجّع الاشتغال بالتجارة، وقول الرسول : " تسعة أعشار الرزق في التجارة " ، زاد من الإقبال عليها .

ومن جهة أخرى ، فقد كان هناك ما يعرقل النشاط التجاري ، فمن الناحية الاجتماعيّة ، كان التجار في درجة اجتماعية أدنى من الأشراف ، فالعائلات الشريفة ابتعدت عن التجارة ، وعلى سبيل المثال ما ذكره الوزير ابن الفرات في وصف التاجر ابن الجصّاص ، وهو من أشهر تجار القرن الرابع الهجريّ ، بأنه " رقيع عاميّ " (٥) . إلاّ أنّ عامة الناس كانوا يحترمون التجار ، وحتى الأشراف كانوا بحاجة إلى إرضائهم لما عندهم من الثروات (٦)،كما نتبين ذلك لدى التنوخي.

١-التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج ٧ ، ص ١٧٥

٢-التنوخيّ: المصدر السابق نفسه، ج٢، ص١٧٤

٣-التنوخيّ: الفرج بعد الشدّة ، ج٢، ص ٣٨٣

٤-الدوريّ: تاريخ العراق الاقتصاديّ، ص١٣٧-١٣٨

٥-التنوخيّ: نشوار المحاضرة،ج١، ص٣١

٦-التنوخيّ: المصدر السابق نفسه، ج١، ص ١٨-٢٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانياً: التجّـــــار :-

ازداد عدد التجار في القرن الرابع الهجريّ ، ومن أشهرهم التاجر ابن الجصّاص • وهو تاجرٌ عراقي كان يبيع الجواهر ، ويحدّثنا ابن الجصّاص نفسه عن توسّع ثروته فيقول : " كان بدء إكثاري أنني كنت في دهليز حـرم أبي الجيش خماروية بن أحمد بن طولون ، وكنت أتوكل له ولهم في ابتياع الجوهر وغيره مما يحتاج إليه ، وما كنت أكاد أفارق الدهليز لاختصاصي بهم • فخرجت إليّ قهرمانة لهم في بعض الأيام ، ومعها عقد جوهر فيه مائتا حبة ، لم أرَ قبله أحسن منه ولا أفخر ، تساوي كلّ حبة ألف دينار عندي، فقالت : نحتاج أن تخرط هذه حتى تصغر ، فتجعل لأربع عشرات اللعب ، فكدتُ أن أطير وأخذتها وقلت : السمع والطاعة ، وخرجت في الحال مسروراً على وجهي ، وجمعتّ التجار ، ولم أزل اشتري ما قدرتُ عليه إلى أن حصلت مائة حبة أشكال ، من النوع الذي أرادته • وجئت بها عشياً ، فقلت : إن خرط هذا يحتاج إلى زمان وإنظار وقـــد خرطنا اليوم ، ما قدرنا عليه وهو هذا (ودفعتُ إليهم المجتمع) ، والباقي يخرط في أيام • فقنعت بذلك ، وارتضت الحب • وخرجتُ فما زالت أياماً في طلب الباقي حتى اجتمع ، فحملتُ إليهم مائتي حبة قامت علي بأثمان قريبة تكون دون مائة ألف درهم أو حواليها ، وحصلتُ جوهراً بمائتي ألف دينار(١)•

١- التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ٢، ص ٣١٢-٣١٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وظلت أحوال (ابن الجصّاص) المادية من حسن إلى أحسن حتى سنة ٢٩٦ هـ ، وفيها حصلت فتنة (ابن المعتز)، واتهم (ابن الجصاص) بإيواء (ابن المعتز) ، فصودرت أمواله في تلك السنة (١) ، واختلف في مقدار ما خسره بهذه المصادرة ، فقد ادّعى ابن الجصاص بأنه خسر عشرين مليون دينار ، واعترف ابن الجصّاص بأنه بقي لديه بعد المصادرة ٠٠٠ ر٢٠٠ ر١ دينار (٢) ٠ ثم تحسّنت أحوال ابن الجصاص ، وفي عام ٣١١ هـ استعاد نفوذه وثروته ٠ وصار الوزير ابن الفرات يسعى لهلاكه،و لكنه كان ذكيّا واستطاع التخلّص من مكائد الوزير ٠ إذ أنه زار الوزير سرّاً في الليل وطلب إليه الكفّ عن إيذائه (٣) ،كما يحدثنا التنوخي.

و نستشفّ من هذا المثال ، أن ابن الجصاص كان يتعامل بأدوات الترف فقط كالجوهر ، ولم يكن معروفاً إلا عند تعامله مع الأمراء والوزراء ، وكان يضع احتياطاً نقديا ليبدأ به من جديد عند مصادرته،و عنده نفوذ واسع يمكنه من تهديد الوزراء (٤) ٠

كان التجار أكبر أغنياء هذا القرن ، فقد كان أحد الباعة في بغداد يملك خمسين ألف دينار وكان يضاهي المقتدر في بذخه وترفه (٥) ، و كان عند أحد التجار ثمانون ألف دينار في بئر (٦) ٠

١- التنوخيّ: نشوار المحاضرة ، ج١، ص ٢٥

٢- التنوخيّ : المصدر السابق نفسه، ج ١، ص ٢٥-٢٦

٣- التنوخيّ:المصدر السابق نفسه، ج١، ص ٣٠-٣٤

٤- الدّوريّ : تاريخ العراق الاقتصاديّ ، ص ١٤٤

٥- التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج١، ص ١٨٤

٦- التنوخيّ : المصدر السابق نفسه ، ج٨، ص ١٠٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و يبدو من كتب التنوخي أن التجار كانوا على أصناف،فمنهم:

أ- التاجر الخزّان :-

وهذا التاجر يشتري البضاعة في وقت توفرّها ، وكثرة البائعين لها وقلّة الطلب عليها ، ثم يحفظها ، وينتظر انعكاس الظروف ، فنقلّ البضاعة ، ويكثر الطلب عليها (١) .

يروي التنوخيّ مثالاً على التاجر الخزان ، فيقول : " إن تاجراً بغدادياً شاهد رسولاً قادماً من الرقة يحمل كتبا إلى بعض التجار، فاستطاع الحصول على هذه الكتب ، ووجد أنها مليئة بالتوصيات لتجار الزيت في بغداد بأن يحتفظوا بما عندهم من زيت، وأن لا يبيعوا شيئاً ، لأن الزيت قلّ وارتفع ثمنه ، فاستدعى التاجر وكلاءه في الحال،و طلب منهم أن يقترضوا كل ما يمكنهم اقتراضه من النقود من الصرّافين،و أن يشتروا زيتاً بهذه النقود ، فما جاء المساء ، حتى اشترى وكلاؤه زيتا بثلاثة آلاف دينا . ثم إنه أوصاهم بالاستمرار على الاقتراض ، وعلى شراء الزيت ، فاشتروا زيتاً ، بأربعة آلاف دينار أخرى فارتفع سعر الزيت ٥% ، نتيجة هذه العملية ، وبعد شهر عرض عليه التجار فائدة قدرها ٥٠ % ثم ٦٠% ورفض أن يعطيهم الزيت ، وأخيرا ضاعفوا له الثمن فكان ربحه ١٠٠% (٢).

ويجب أن يراعي التاجر الخزان حالة البلد الذي يعيش فيه من حيث الأمن ، والعدل ، وقوة الدولة ، وضعفها (٣)،كما يروي التنوخي.

١- الدوريّ : تاريخ العراق الاقتصاديّ ، ص ١٤٥

٢- التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج٣ ، ص٨٠-٨٢

٣- الدمشقيّ : الإشارة إلى محاسن التجارة ، ص٥٠-٥١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب ـ التاجر المجهز :-

هذا التاجر لا يسافر من بلد إلى اخر ، بل له وكلاء مأمونون ، يرسل إليهم البضائع ليبيعها ، ثم إن الوكلاء يشترون له البضائع ويرسلونها إليه(١) وهؤلاء التجار يقومون بما تقوم به فروع الشركات التجارية ، في الوقت الحاضر (٢) .

ثالثاً: المتعاملون بالائتمان :-

للائتمان دور مهم في التجارة ، إذ يوفر الأموال للتجار عند الحاجة،و يهيئ السبيل لتشغيل رؤوس الأموال الزائدة ، وكان التجار يقترضون الأموال من الصرّافين بربح معيّن . فيذكر التنوخيّ عن تاجر بغداديّ اقترض عشرة آلاف دينار من الصّرافين (٣).

كانت معاملات الائتمان تحصل بين الدولة والتجار ، فقد اعتاد الوزير عليّ بن عيسى أن يقترض من التجار (٤) ، وقام بتأسيس مصرف رسميّ كان وسيطاً بين التجار والدولة (٥) ،وقد كان عليّ بن عيسى يعطي التجار (سفاتج) (٦) على الواردات ، مؤجّلة تُصرف حينما يحلّ موعدها .

١- الدوريّ : تاريخ العراق الاقتصاديّ ، ص ١٤٦

٢- التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج٣، ص ٨٠-٨٢

٣- التنوخيّ :المصدر السابق نفسه ،ج ٣ ، ص ٨٠-٨٢

٤- التنوخيّ :المصدر السابق نفسه، ج ٨ ، ص ٤١

٥- التنوخيّ : المصدر السابق نفسه، ج٨، ص ٤١

٦- التنوخيّ : الفرج بعد الشدة ، ج٣ ، ص ١٨٦ ، وج٣ ، ص ٢٤٤ ،

السفاتج : ومفردها سفتجة ، وهي كلمة فارسية معناها ورقة مالية ، أو خطاب ضمان

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رابعاً : المعاملات المالية :-

أ- الجهبذة :-

كان في بغداد ديوان خاص يسمّى ديوان الجهبذة (١) ،ومن واجبات رئيسه أن يعد في نهاية كلّ شهر وكلّ سنة حساباً بالدّخل والخرج ، وأن يقدمه إلى بيت المال . وأعمال الجهابذة لم تكن ضمن أعمال الصيّرفة ، لكون هؤلاء الجهابذة مسلمين (٢).

يروي التنوخيّ ما يؤيّد أنّ الجهابذة ـ أصحاب البيوت المالية ـ كانوا تجاراً ، إذ يذكر أنّه كان لسليمان بن وهب " وزير المعتمد " وابنه عبيد الله جهبذ خاص يُدعى " ليث " فكانا يودعان النقود عنده ويكتبان الصكوك عليه . ولما صُرف سليمان من الوزارة قبض خلفه على ليث ليأخذ ما أودع آل وهب عنده من النقود ، واكتشف في داره بئراً فيها ثمانون ألف دينار . فلما سأل الجهبذ :" هذه البئر مالك أو مال أصحابك ؟ " بل مالي ، أنا رجلٌ تاجر" (٣) .

بدأ نظام تعيين جهابذة رسميّين ، لتسليف الدولة ما تحتاجه من النقود سنة ٣٠١ هـ حينما كان ابن الفرات في وزارته الأولى ـ معاملات شخصيّة مع الجهبذين اليهوديّين هارون بن عمران ويوسف بن فنحاس ،و أسند إليهما حفظ كلّ الأموال المصادرة من أنصار ابن المعتز(٤).

١-التنوخيّ : الفرج بعد الشدة ، ج ٣ ، ص ٣١٨ ، ويفهم من هذه الحكاية أنه كان للجهبذة زمن (الرشيد) دائرة خاصة لعلها شعبة من بيت المال

٢- الدّوريّ : تاريخ العراق الاقتصاديّ ، ص ١٨٦

٣- التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج ٨ ، ص ١٠٠

٤- التنوخيّ : المصدر السابق نفسه، ج ٨ ، ص ٣٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن مصادر أموال الجهابذة غير التجارة ، وما كانوا يربحون من أموال طائلة في تجارتهم ، هو ما يودعه الوزراء والموظفون الكبار من رؤوس أموال وودائع لدى هؤلاء الجهابذة (١) ، فقد اعترف ابن الفرات بعد وزارته الأولى أنه بقي لدى هارون بن عمران ويوسف بن فنحاس ٥٤٦ ر ٤٧٠ ر ١ درهما (٢) .

وكان لتقويض جباية الضرائب لبعض المقاطعات لهؤلاء الجهابذة مصدرٌ لأموالهم، وقد استفاد من هذه الطريقة الجهابذة اليهود (٣) .

فالجهبذ كان تاجراً ، ثم صار صاحب بيت ماليّ ، وسّع أعماله فصار يشتغل بالتسليف أيضاً ، ثم كان يشتغل منفرداً ، وصار يتشارك مع غيره من الجهابذة ، وهو يقدّم خدمة حفظ الأموال (٤) .

ب- الصَّيرفة :-

المهمة الأولى للصرّاف هي تقييم النقود من حيث الجودة ووزنها،و هي مهمة ضرورية للمعاملات التجاريّة ، كما يقوم بتحويل النقود أو صرفها ، لأغراض تجارية ، وكان سعر التحويل يعتمد على حالة الأسواق وسعر الذهب والفضّة (٥) .

١- الدّوريّ : تاريخ العراق الاقتصاديّ ، ص ١٨٧-١٩٠

٢- التنوخيّ : نشوار المحاضرة، ج٨ ، ص ٢٤

٣- التنوخيّ : المصدر السابق نفسه ، ج٨ ، ص ٤١

٤- الدّوريّ : تاريخ العراق الاقتصاديّ ، ص١٩١

٥- الدّوريّ: المرجع السابق نفسة ، ص ١٩٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يروي التنوخيّ حكاية (١) عن رجل أسلم " رقعة " إلى صرّاف ، فلما أوصلها إليه قال له الصرّاف : " يا سيّدي أنت الرجل المسمّى في التوقيع؟ فقال الرجل : نعم ٠ قال : أنت تعلم أنّ أمثالنا يعاملون للفائدة، وربحنا أن نعطي في مثل هذا ما يكسر في كلّ دينار درهما ٠ وكان للصيارفة محلّة خاصة في الكرخ تدعى " درب عون " (٢)٠

ج- السفتجـــة (٣) أو الحوالات:-

كان من وسائل المعاملات المالية (السفاتج) أو (الحوالات) ، التي كثر استعمالها في الدولة الإسلامية خلال القرن الرابع الهجريّ ، ذلك أنه لم نشطت التجارة وإزدادت المعاملات المالية ، أصبح التعامل بالمبالغ الكبيرة يواجه بغض الأخطار ، وبخاصة من ناحية نقلها من بلد إلى آخر ، لذلك لجأ التجار إلى استخدام (السفاتج) ، وهي رقاع يكتبها لهم الجهابذة أو الصرّافون بقيمة المبالغ التي يأخذونها منهم ، قابلة للصّرف في أي بلد من عملاتهم (٤)٠

شاع استخدام (السفاتج) بين أفراد الشعب ، يروي التنوخيّ أن إمرأة استلمت من زوجها ـ بعد غياب طويل ـ سفتجة بـ ٢٠٠ دينار واستخدمت السفتجة من قبل التجار لتصفية حساباتهم بين الأقطار المختلفة(٥) ٠ وقد كان التجار يرسلون رسلاً خاصّين لحمل (السفاتج)،و كان يُستأجر

١- التنوخي : نشوار المحاضرة، ج٢، ص١٩٢ ، كان زمن الحكاية سنة٣٣١هـ وكانت نسبة التبديل ١٣ درهما في الدينار

٢- التنوخيّ : المصدر السابق نفسه، ج٣، ص ١٣٣

٣- التنوخيّ : المصدر السابق نفسه، ج٣، ص٣٤

٤- محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ، ص ١٦٤

٥- التنوخيّ : الفرج بعد الشدّة ، ج٤ ، ص ٢٤٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويحمل السفتجة إلى صاحبها. واستخدمت (السفتجة) لتسوية الديون في المعاملات التجارية في القطر نفسه ، فمثلاً أرسل رجلٌ من الأهواز إلى العامل سفتجة بألف دينار مع أنهما كان في الأهواز .

كانت (السفاتج) تسحب على الصرّافيين والتجار والباعة وكان لكلّ سفتجة موعد لاستحقاقها ، فإن صُرفت السفتجة حين استحقاقها دفعت قيمتها كاملة ، وإن صرفت قبل حلول الموعد خصمت منها نسبة معيّنة (١) ويمكن لصاحب السفتجة أخذ النقود دفعة واحدة أو باقساط . ولا يبدو أنّ (السفاتج) كانت قابلة للتحويل لغير صاحبها (٢) .

د- الصكـــوك :-

الصكّ أمر خطّيّ بدفع مقدار من النقود إلى الشخص المسمّى فيه . وقد استعمل الصكّ في القرن الرابع الهجريّ ، فكان يستعمل في الدوائر الحكومية، لدفع رواتب الجيش بصورة خاصة (٣) . وكانت الصكوك تستخدم لدفع الرواتب الأخرى ، لذا يعرّف الخوارزميّ (الصك) بانه "عمل يعمل لكلّ طمع يجمع فيه أسامي المستحقين ، وعدتهم ومبلغ مالهم،و يوقع السلطان في آخره بإطلاق الرزق لهم " (٤) .

كانت الصكوك تكتب أحياناً على بيت المال، ولكنّ أكثرها كان يكتب على الجهابذة (٥) .

١-التنوخيّ: نشوار المحاضرة ، ج٨ ، ص ٢٢٢

٢-التنوخيّ : المصدر السابق نفسه، ج ٨، ص ٢٢٢

٣-الدّوريّ : تاريخ العراق الاقتصاديّ ، ص ١٩٨

٤-مفاتيح العلوم : ص ٣٨

٥-مسكويه : تجارب الأمم ، ج٣، ص٤٦١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يروي التنوخيّ على لسان شخص أنه قد صكّ له بعض الملوك بصكّ فتردّد إلى جهبذ في قبضه (١) ٠

هـ ـ النّقود :ـ

كانت الدّولة تتّبع نظام المعدنين في القرن الرابع الهجريّ ، إذ كان أساس النظام النّقديّ الدينار الذهبيّ ، والدّرهم الفضّيّ (٢) ٠ ومع وجود نظام المعدنين ، شاع استخدام إحدى العملتين في المعاملات في فترة ما أكثر من الأخرى ، وكان استعمال الدراهم أعمّ من استعمال الدنانير ، ولعلّ سبب شيوع التعامل بإحدى العملتين في وقت ما ، يتعلّق بتوفّر الذهب أو الفضة آنئذٍ ، وبقيمتها في السوق (٣) ٠

كان التعامُل بالنقود يتم بالوزن والعدّ ، يروي التنوخيّ أن أحد عمال الوقف طالب الخليفة المعتضد بإيجاد أرض موقوفة أدخلت في قصره ، فقال له المعتضد : " فكيف حذقك بالنقد والوزن ؟ فقلت : أعرفهما قال:هاتوا ميزانا ٠ فجاءوا بميزان حرّاني حسن، عليه حلية ذهب ، فأخرج من الصندوق دنانير عيناً ، فوزن أربعمائة دينار وقبضتها " (٤) ٠

لمّا كانت الرقابة شديدة على عيار النقد ، والتأكد قوياً على أن يكون وزن النقد صحيحاً كانت النقود تؤخذ بالعد (٥) ، فإذا كانت النقود تؤخذ

١ـ التنوخيّ : نشوار المحاضرة، ج٥ ، ص ٢١٨

٢ـ التنوخيّ: المصدر السابق نفسه، ج١، ص ٤١

٣ـ الدّوريّ: تاريخ العراق الاقتصاديّ، ص٢٤٣

٤ـ التنوخيّ: نشوار المحاضرة، ج٨، ص ٢٢

٥ـ الدّوريّ : تاريخ العراق الاقتصاديّ ، ص٢٤٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالوزن أو بالعدّ ، فهذا يشير إلى أنّ أوزان النقود كانت معلومة وثابتة ، فكان التعامل بها بالعدد، ويمكن أخذها بالوزن بسهولة، ولكن عند حدوث التلاعب بالنقد ، وخاصة عند حصول الأزمات الماليّة ، قد تُضرب النقود الرديئة ، وذلك بزيادة نسبة المعدن الرخيص فيها تُسمّى الزّائفة (١)٠

إن النقود المتداولة بين الناس هي قطع نقدية من أجزاء الدينار أو الدرهم و مضاعفاته ٠ وقد شاع استخدام أنصاف الدراهم وأرباعها ، واستعمل الأفراد للمشتريات الرخيصة أجزاء الدرهم كالقيراط (٢) ، والحبة (٣)،و الدانق (٤) ، والطسوج (٥) ٠

وكانت النقود تضرب في " دار الضرب " (٦) ، وكان ضرب النقود من امتيازات الخليفة أو ممثّليه ، ويعتبر ضرب النقود خارج دار الضرب جريمة (٧)٠

١- التنوخيّ : الفرج بعد الشدّة ، ج ٣ ، ص ٦٠

٢- التنوخيّ : المصدر السابق نفسه ، ج٣، ص ٢٤٠

٣- التنوخيّ : المصدر السابق نفسه ، ج٣، ص ٢٢٢

٤- التنوخيّ : المصدر السابق نفسه، ج ٢، ص ٣٧٤-٣٧٥

٥- الدّوريّ : تاريخ العراق الاقتصاديّ ، ص٢٥١ (الدانق :٦/١ الدرهم : قيراطان وثلث فضة = ١٠ حبات = ٤ طسوج٠

٦-التنوخيّ : الفرج بعد الشدّة ، ج ٤ ، ص ٢٠٦

٧-الدّوريّ : تاريخ العراق الاقتصاديّ ، ص ٢٥٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

• **موارد الدَّولة ومصارفها :-**

اهتمت الدولة الإسلامية منذ نشأتها بتحقيق التوازن ما بين الموارد والمصروفات ، وأنشأت بيتاً للمال . ومن أهم الموارد الثابتة لبيت المال:-

أ- الزكاة :-

وهي الحدّ الماليّ الواجب على المسلم شرعاً ، وهي مالٌ يؤخذ من الغنيّ للفقير ، ولا تنفق الدولة منه على إصلاح مرافقها (١) ، وكانت أموال الزكاة والصّدقات تُقسم على الأشخاص المذكورين في قوله تعالى(٢): " **إنّما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلّفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضةً من الله والله عليمٌ** حكيم ".

ب- الجزيـــــة :-

وهي مبلغ من المال ، يدفعه أهل الذمة ، كما يدفع المسلمون الزكاة حتى يتعادل الفريقان في تحمل المسؤولية وهما رعيّة لدولة واحدة ، يقول الماورديّ(٣): " يجب على أولي الأمر وضع الجزية على من دخل الذمة من أهل الكتاب ليقروا بها في دار السلام ، ويلتزم لهم ببذلها حقان : أحدهما الكفّ عنهم ، والثاني الحماية لهم ، ليكونوا بالكفّ آمنين ، وبالحماية محروسين " ، والجزية تسقط بالإسلام ، وهي ثابتة بنصّ القرآن لقوله

١- محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ، ص ١٠٧

٢- القرآن الكريم : سورة التوبة ، الآية : ٦٠

٣- الأحكام السلطانية ، ص ١٣٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعالى (١): " **قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرّمون ما حرّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحقّ من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون** (٢) ٠

وقد راعى الحكام المسلمون الرفق والإنصاف في جباية الجزية من أهل الذمة (٣) ٠

ج- الخـــــراج :

هو مقدار معين من المال أو المحصول يفرض على الأراضي التي فتحها المسلمون عنوة وأبقاها الخليفة في أيدي أصحابها ووقفها على مصالح المسلمين ، كما يؤخذ أيضا من الأراضي التي فتحها المسلمون فتحا وتركوها في يد أهلها(٤) ٠

كان يراعى في تقدير الخراج كمية المحصول ومساحة الأرض وجودتها ، وفي ذلك يقول الماورديّ: " إن الأرض تختلف من ثلاثة أوجه يؤثر كل واحد منها في زيادة الخراج ونقصانه ، أحدهما يختصّ بالأرض من جودة يزكو بها زرعها ، أو رداءة يقلّ بها ريعها ٠ والثاني يختص بالزرع من اختلاف أنواعه ، من الحبوب والثمار ، فمنها ما يكثر ثمنه،و منها ما يقلّ ثمنه ، فيكون الخراج بحسبه ، والثالث يختصّ بالسقي

١- القرآن الكريم : سورة التوبة ، الآية ٢٩

٢- صاغرون : قابلون أن تجري عليهم أحكام الإسلام

٣- التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج ٨ ، ص ١٢٩

٤- التنوخيّ : المصدر نفسه، ج ١ ، ص ٦٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والشرب ... ، ومن الناس ممن اعتبر شرطا رابعا وهو قربها من البلدان والأسواق وبعدها لزيادة أثمانها ونقصانها " (١).

كان الخراج يؤدّي إما نقدا أو حصة معينة من المحصول أو من كليهما، وقد روعي الرفق في الجباية ، ورُفعت عن الزراع بعض الضرائب ، فقد كان الزراع يؤدون الخراج نقدا على الأشجار ، والكروم ،و النخيل، وتقوّم غلتها بالمال ، ويدفع عنها النصّف أو الثلث ، فعمل الخليفة المقتدر على تخفيف عبء الضرائب عن الزراع في ولاية فارس ، وكانوا قد ألزموا بأداء خراج القوم الذين جلوا عن بلادهم بسبب سوء معاملة(السجزيّة) بعد تغلبهم على فارس ، وسمي ذلك (التكملة)(٢) ،فاحتج أهل فارس ورفعوا مظالمهم وقالوا: " لمنح من إطلاق غلاتنا ، وتعتقل علينا في(الكناديج)(٣)، إلى أن تعفن وتصير هكذا " (٤) ،ورموا بالحنطة والتين اليابس والخوخ المقدّد واللوز ، والفستق ، والبندق ، والتبق ،و البلوط ، والغبيراء (٤) من أكمامهم.

فأمر المقتدر الوزير علي بن عيسى بأن يكتب : " بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله جعفر ، الإمام المقتدر بالله ، أمير المؤمنين ،إلى النعمان ابن عبد الله ، سلام عليك ، فإنّ أمير المؤمنين ، يحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ،و يسأله أن يصلّي على محمد عبده ورسوله ، صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا ، أما بعد ، فإنّ أفضل الأعمال قدرا ، وأجملها ذكرا ، وأكملها أجرا ، ما كان للتقي جامعا ، وللهدى تابعا ، وللورى نافعا ، وللبلوى رافعا"

١-الأحكام السلطانية :ص ١٤٢

٢-التنوخيّ : نشوار المحاضرة، ج ٨ ، ص ١٢٥

٣-الكناديج:جمع كندوج:و هي فارسية،وهو شبه مخزن توضع فيه الحنطة و نحوها(الألفاظ الفارسية،ص١٣٨)

٣- التنوخيّ : نشوار المحاضرة، ج ٨، ص١٢٠-١٢٨

٤- الغبيراء : شجرة ثمرها كالعناب ، التنوخيّ : نشوار المحاضرة، ج ٨ ، ص ١٢٦-١٢٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم شرح الخليفة المقتدر حال الزراع ، وما أصابهم من هذه المعاملة وضريبة التكملة ، ثم ذكر في كتابه " ... فأنكر ما استقرّ من هذا الرسم الذميم ، وأكبر ما استمرّ به من الظلم العظيم ، فرفع عن الرعيّة هذه التكملة رفعاً مشهوراً ، وقد جعل الله تعالى من سنّها مدحوراً ، ونادى في المساجد الجامعة بإزالتها ، وإبطال جبايتها ، ليرتفع ذلك في الجمهور ، ويتمكّن السكون إليه في الصدور ، وتحمد الله الكافة على أتاحه الله لها من تعطف أمير المؤمنين ورعايته ، وجميل حياطته وعنايته " (١) ، وكان ذلك في رجب سنة٣٠٣ هـ . وكتب كتابا أخر في شعبان سنة ٣٠٣ هـ (٢) ، يأمر فيه بالرفق في الجباية ، وتحرّي الحقّ (٣).

- **المصروفات :-**

كانت الأموال التي تأتي من الموارد السابق ذكرها ، تنفق على أمور الدولة (٤) :-

أ- رواتب القضاة والعمال وغيرهم من الموظفين (٥).

ب- أرزاق الجند ، وكان الخليفة هو الذي يقدّر العطاء والأرزاق التي تصرف من بيت المال (٦).

١- التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج ٨ ، ص ١٢٤-١٢٨

٢- التنوخيّ : المصدر السابق نفسه، ج ٨ ، ص ١٢٨

٣- التنوخيّ :المصدر السابق نفسه، ج ٨، ص ١٣٠

٤- محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ، ص ١٢١-١٢٢

٥- التنوخيّ: نشوار المحاضرة، ج ٥ ، ص ٤٨، وغيرها من الحكايات

٦- التنوخيّ : المصدر السابق نفسه، ج ٨ ، ص ١٨١، وغيرها من الحكايات

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ج- نفقات إصلاح مرافق الدولة ، كتشييد المباني العامة ، وحفر الترع،و تطهير الأنهار ، وغيرها(١) .

د-العطايا والمنح من الأموال والمتاع والضياع التي يقرها الخلفاء للعلماء،و الأدباء وكبار رجال الدولة(٢) .

****

١- التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج ١ ، ص ٧٤

٢- المصدر السابق نفسه، ج ١ ، ص ٢٩٨ ، وغيرها من الحكايات

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الخامس
صورة الحياة الثقافية في القرن الهجريّ
في مصنّفات التنوخي

- العلوم الشرعية.
- علوم الكـــــلام.
- علوم اللغـــــة .
- التاريخ والجغرافيا.
- علم النجوم والفلك.
- -الشعـــــــر.
-النثـــــــر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تمهيـــــد :-

كان لاتساع رقعة الدولة العباسية ، ووفرة ثروتها ، ورواج تجارتها أثر كبير في خلف نهضة ثقافية لم يشهدها الشرق من قبل ، حتى أصبح كثير من الناس طلاباً للعلم وأنصاراً للأدب .

كان هناك نوعان من الدراسة ، اشتغل بها المسلمون : دراسة دينية حول القرآن والحديث ودراسة دنيويّة حول الطب والفلسفة والكيمياء والمنطق والرياضيات والتاريخ والجغرافيا (١) .

العلوم الشرعيّـــــة :-

التّفسيـــــر :-

اعتمد المفسرون أول أمرهم اتجاهين أولهما : التفسير بالمأثور ، وهو ما أثر عن الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام والتابعين في التفسير ، من مثل الأحاديث التي في صحيح مسلم والبخاري. وثانيهما : التفسير بالرأي وهو ما كان يعتمد على العقل أكثر من اعتماده على النقل ، ومن أشهر مفسري هذا النوع المعتزلة .

وفي القرن الرابع الهجريّ ، ظهر كثيرٌ من المجتهدين من أمثال مُحَمَّد بن جرير الطّبريّ ، ومن كتبه (٢) : كتاب التفسير المسمى " بجامع البيان عن تأويل آي القرآن " و " تاريخ الأمم والملوك " وكتاب " الآداب الحميدة والأخلاق النفيسة ".

تحرّى الطبريّ الدقة في النقل عن الرسول والصحابة والتابعين ، وكان يهتّم بالمعنى الواضح الذي لا يصحّ العدول عنه ، كما كان يرجع في تفسير القرآن إلى الشعر القديم (٣) .

١- محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ٣٠١

٢- التنوخيّ : الفرج بعد الشدّة ، ج ١ ، ص ٩٧ ، ونشوار المحاضرة ، ج ٤، ص ١٧

٣- حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام السياسيّ ، ج ٣ ، ص ٥٢٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جمع الطبريّ بين الرواية والدراية ، وكان ابن جرير الطبريّ لا يروي من الإسرائيليّات والنّصرانيات إلاّ بقدر ، وكان ذا علمٍ كبير باللغة ، فيفضّل شرح معنى لفظ على شرح معنى آخر ، بفضل علمه الواسع باللغة . وكوّن له عقيدة مثل الاختيار لا الجبر ، ثم رجّح التفسير الذي يؤيّد هذا الاعتقاد .

وجادل المعتزلة في بعض أقوالهم من غير أن يسمّيهم ، واعتمد على الشعر في تفسيره ، وذلك لحفظه واتّساع فنون علمه (١) .

والجديد الذي نلاحظه في تفسر القرآن في هذا القرن وفي القرن الذي تقدّمه هو تعاون المعتزلة واجتهادهم في تفسير القرآن .ومن ألف في التفسير منهم أبو عليّ الجبائيّ (٢) .

علم القراءات :-

وقد تركزّ هذا العلم على القرآن نفسه وعلى نصوصه نفسها . ويرجع السبب في ظهور بعض هذه القراءات إلى خاصية الخط العربيّ ، إذ إنّ الواحد للكلمة الواحدة يقرأ بأشكال مختلفة تبعاً للنقط فوق الحروف أو تحتها(٣).

وقد وضع ابن مُجاهد (٤) حوالي عام ٣٠٠ هـ أصول هذا العلم ، وقرأ على يديه القرآن كثير من أمثال أبي الحسن علي بن أبي طالب محمد بن أحمد بن إسحاق بن البهلول (٥) . وحظيت القراءات السبعة بشهرة واسعة من لدن ابن مُجاهد .

١- التنوخيّ : نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، ج ٤ ، ص ١٨

٢- أبو علي الجبّائي : محمد بن عبد الوهاب بن سلام ، المتكلّم ، إمام المعتزلة ، ولد سنة ٢٣٥ هـ ، وتوفي سنة ٣٠٣هـ ، كان إماماً في علم الكلام ، ومدينته (جبى) في خوزستان (وفيات الأعيان ٥٧٩/٥)

٤-حسين الحاج حسن : حضارة العرب في العصر العباسي ، ص ٧٢، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، الحمراء ، ١٩٩٤م

٥-ابن مُجاهد : (٢٤٥هـ - ٣٢٤هـ) ، " شيخ القراء في وقته ، والمقدّم من أهل عصره " كبير العلماء بالقراءات كان أديباً ، رقيقاً ، جواداً ، فطناً ، (التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ٥ ، ص ٢٣٣)

٦- أبو الحسن علي بن أبي طالب محمد بن أحمد بن إسحاق بن البهلول : ولد في شوّال سنة ٣٠١هـ ، وتقلد القضاء بالأنبار وهيت ، ثم ولي القضاء بطريق خراسان ، ثم صرف ، ثم عُيّن قاضياً في عسكر مكرم ، توفي في سنة ٣٥١هـ .(المنتظم ٣٠/٧)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن مقرئي القرن الرابع الهجريّ أبو طاهر عبد الواحد (١) ، وكان أعلم الناس بحروف القرآن ووجود القراءات (٢) .

ومما يجدر ذكره أن قارئ القرآن لا يُسمّى مقرئاً حتى ولو حفظ جميع هذه القراءات إلاّ إذا أحكمها بالسماع والمشافهة (٣).

الحديـــــث :-

زاد الإقبال على دراسة الحديث ، ونشأ في القرن الرابع الهجريّ رسم جديد ، وهو الذي يجيز للإنسان رواية الحديث من غير لقاء رجالـــه ومن غير إجازة تخوّله حق الرواية، وبهذا حلّت دراسة الكتب محلّ الأسفار التي كان يقوم بها طلاب الحديث من قبل للقاء رجاله (٤).

وأكبر محدّثي القرن الرابع الهجريّ هما أبو الحسن علي الدارقطنيّ (٥) المتوفيّ عام ٣٨٥ هـ (٦) ، والحاكم النيسابوري (٧) .

ومن محدّثي القرن الرابع الزّهريّ (٨) ، وقد سئل الدارقطنيّ عنه ، فقال: هو ثقة ، صدوق ، صاحب كتاب ، وليس بينه وبين عبد الرحمن بن عوف(٩) إلاّ من قد روي عنه الحديث ، فهو محدّث ، وآباؤه كلّهم محدّثون إلى عبد الرحمن بن عوف (١٠) .

١- أبو طاهر عبد الواحد : هو عبد الواحد بن عمر بن محمد بن أبي هاشم المقرئ ، ولد سنة ٢٨٠ هـ ، وتوفي ٣٤٩ هـ وكان عالما بالقرآن (تاريخ بغداد للبغدادي ٨/١١)

٢- التنوخيّ : نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، ج٦، ص١٦٥

٣- حسين الحاج حسن : حضارة العرب في العصر العباسيّ ، ص ٧٣

٤-الحلاّج: كتاب الطواسين ، طبعة باريس ، ١٩١٣م ، ص٢٣-٣٠

متز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجريّ ، ص ٣٥٦

٥-الدارقطنيّ : أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد الدارقطنيّ الحافظ ، ولد سنة ٣٠٦هـ ، واجتمع له علم الحديث والمعرفة بالقراءات ، والنحو ، والفقه ، والشعر (المنتظم ١٨٣/٧)

٦-التنوخيّ : نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، ج ٥ ، ص ١٧

٧- النيسابوري : أبو بكر عبد الله بن محمد بن زياد بن و اصل بن ميمون الفقيه النيسابوريّ ، ولد سنة ٢٣٨هـ وتوفي سنة ٣٢٤ هـ ، اجتمع له العلم بالفقه والحديث ، وكان في مجلسه ٣٠ ألف محبرة (المنتظم ٢٨٦/٦)

٨- الزهريّ : أبو الفضل عبيد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله بن سعد بن إبراهيم ، من أولاد عبد الرحمن بن عوف ، ولد سنة ٢٩٠هـ ، وكان ثقة من الصالحين ، وتوفي سنة ٣٨١هـ (المنتظم ١٦٦/٧)

٩- عبد الرحمن بن عوف : ابو محمد عبد الرحمن بن عوف الزّهريّ ، ولد سنة ٤٤ ق ٠ هـ ، وهو أحد مشاهير الصحابة ، وأحد الستّة أصحاب الشورى ، وأحد العشرة المبشّرين بالجنة ، وتوفي سنة ٣٢ هـ (النشوار ، ج ٥ ، ص١٧)

١٠- التنوخيّ : نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، ج ٥ ، ص ١٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمحدّث أبو بكر الجعابيّ (١) ، كان يحفظ مائتي ألف حديث ، ويجيب في مثلها ، إلا أنّه كان يفضل الحفاظ ، بأنه كان يسوق المتون بألفاظها وأكثر الحفاظ يتسمّحون في ذلك ، وكان يزيد عليهم بحفظ المقطوع (٢) والمرسل (٣) والحكايات ،ولعلّه يحفظ من هذا ، قريباً مما يحفظ من الحديث المسند (٤) .

وكان إماماً في المعرفة بعلل الحديث ، وثقات الرّجال ، ومعتلّهم ،و ضعفائهم ، وأساميهم وأنسابهم ، وكناهم ، ومواليدهم ، وأوقات وفاتهم ،و مذاهبهم ، وما يطعن به على كل واحد ، وما يوصف به من السّداد . وكان في آخر عمره قد انتهى هذا العلم إليه ، حتى لم يبقَ في زمانه من يتقدمه في الدنيا (٥).

القضـــــاء:-

اختلف نظام القضاء في العصر العباسي اختلافاً كبيراً عما كان في صدر الإسلام ، ولم يكن هذا الاختلاف وليد ظروف سريعة ، إنما كان نتيجة طبيعيّة لاختلاف مناهج الحياة العباسيّة عن الأمويّة . وممّا يلاحظ على القضاء في العصر العباسيّ (٦).

- أطلق على هذا العصر " عصر أئمة المذاهب " ، وضعت فيه أصول الفقه،ونشأت المذاهب الكبرى ، وضعفت روح الاجتهاد ، وأصبح القاضي ملزماً بإصدار أحكامه وفق هذه المذاهب .

- خضع القضاء لأهواء السياسة وتأثر بها ، حتى امتنع كثير من الفقهاء عن تولّي القضاء ، خشية الضغط السياسيّ من قبل الخليفة الحاكم .

- اتخاذ نظام " قاضي القضاة " وهو بمنزلة وزير العدل اليوم . وكان يقيم في حاضرة الدولة ، ويناط به أمر تعيين القضاة في الأقاليم والأمصار .

١-الجعابي : أبو بكر محمد بن عمر بن مسلم ابن البراء الجعابي قاضي الموصل ، (٢٨٤-٣٥٥هـ) ، لم ير في البغداديين أحفظ منه ، وكان يحفظ ٤٠٠ ألف حديث ، وينكر بـ ٦٠٠ ألف حديث (المنتظم ٣٧/٧).

٢- المقطوع من الحديث : ما جاء من التابعيين موقوفا عليهم من أقوالهم وأفعالهم (التعريفات ص ١٥٤)

٣- المرسل من الحديث : ما أسنده التابعي ، أو تبع التابعي ، إلى النبي ، من غير ذكر الصحابي الذي روى الحديث عن النبي (التعريفات ص ١٤٠)

٤- المسند من الحديث : خلاف المرسل ، وهو الذي اتصل إسناده إلى رسول الله صلوات الله عليه (التعريفات ص ١٤٣)

٥- التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ٤ ، ص ٢٥٥

٦- التنوخي : المصدر السابق نفسه ، ج ٧ ، ص ٢١٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- اتسعت سلطة القاضي في هذا العصر ، فبعد أن كان ينظر في الخلافات المدنية ، والخصومات الجنائية ، أصبح يفصل في الدعاوى والأوقاف وقد تضاف إليه الشرطة ، والمظالم ، والقصاص ، والحسبة ، ودار الضرب وبيت المال .

-كان لكل ولاية قاض ، وتمتعت كل ولاية بجملة قضاة يمثلون المذاهب المختلفة ، وبانهيار الدولة ، فقد القضاء كرامته وامتهن ، وذلك حينما أصبح متعارفا أن من يتولى منصب القضاء عليه تقديم مبلغا من المال في كل عام .

وقد ذكر التنوخي في مصنفاته أسماء طائفة كبيرة من القضاة في القرن الرابع الهجري ، ولعل ذلك يعود لكونه قاضيا ، وعمله في سلك عرفه بقضاة كثر ، منهم القاضي أبو الحسن الهاشمي (١) ، والقاضي عمر بن أكثم (٢) ، والقاضي ابن قريعة (٣) ، والقاضي أبو بكر الجعابي(٤)،والقاضي أبو بشر الهروى (٥) ، والقاضي أبو محمد عبد الله بن محمد البافي(٦) والقاضي أبو طاهر محمد بن نصر (٧)، والقاضي ابن نصروية (٨) والقاضي ابن شاهويه (٩) .

١- القاضي أبو الحسن الهاشمي : هو أبو الحسن محمد بن عبد الواحد الهاشمي ، وأخباره في نشوار المحاضرة، ج١، ص ٢٢، وص ٨٩ ، ص ٩٢ ، ص ٣١٢ ، ص ٣٢٦ ، وكان قاضيا بالبصرة ، وعزل سنة ٣٥٦هـ ، وغسل الخليفة الراضي .

٢- القاضي عمر بن أكثم : أبو بشر عمربن أكتم بن أحمد بن حيان ، ولد ٢٨٤هـ ، وتوفي ٣٥٢ هـ ، وكان يكتب للقضاة في بغداد ، وكتب لأبي السائب ، فاستخلفه على بغداد لما سافر الى البصرة ، ولما عاد ، عاد إلى كتابته ، ثم قلده المطيع القضاء ببغداد بأسرها خلفا لابن أبي الشوارب ، ثم فلده قضاء القضاة ، وقد جلس يقضي في الموضع الذي جلس فيه جد أبيه قبل انة عام (النشوار ، ج ٤، ص ٢٤٢).

٣- القاضي ابن قريعة : أبو بكر محمد بن عبدالرحمن ، كان يأتي بالكلام مسجوعا ، مطبوعا من غير تعمد ، وتوفي سنة ٣٦٧هـ ، عن خمس وستين سنة ، (النشوار ، ج ١، ص ٥٢)

٤- القاضي أبو بكر الجعابي : محمد بن عمر بن مسلم ابن البراء الجعابي ، قاضي الموصل ، ولد عام ٢٨٤هـ وتوفي في ٣٥٥ هـ ولم ير في البغداديين أحفظ منه (نشوار المحاضرة ، ج ٤، ص ٢٥٥)

٥- القاضي أبو بشر الهراوي : أحمد بن محمد بن محمد بن جعفر الهروي ، ويعرف بالعالم ، سكن بغداد ، ولد سنة ٣٢٨هـ ، وتوفي سنة ٣٨٥هـ ، وهو فقيه على المذهب الشافعي ، وتقلد قضاء قطربل وبلاد أذربيجان وتقلد الحسبة بجانبي مدينة السلام . (نشوار المحاضرة ، ج٥، ص ٢٣١)

٦- القاضي أبو محمد عبد الله بن محمد البافي : نحوي ، أديب ، شاعر ، كاتب ، وكان أفقه أهل وقته على مذهب الشافعي ، ينسب إلى باف ، إحدى قرى خوارزم ، توفي سنة ٣٩٨هـ (النشورا ، ج٦، ص ١٣٧)

٧- القاضي أبو طاهر محمد بن نصر : محمد بن أحمد بن عبد الله نصر الذهلي ، (٢٧٩-٣٦٧هـ) ، أصله من البصرة ، وكان يشهد عند أبي الحسين عمر بن أبي عمر محمد بن يوسف الأزدي ، قاضي القضاة وولاه القضاء بواسط ، وولي مدينة المنصور سنة ٣٢٩هـ ، وولي القضاء في مصر سنة ٣٤٨هـ ثم ولي القضاء في دولة الفاطميين سنة ٣٤٨هـ ، وعاصر المعز والعزيز ، ثم فلج في سنة ٣٦٦هـ ، وتوفي سنة ٣٦٧هـ (النشوار ، ج ٣، ص ٦٧) .

٨- القاضي ابن نصرويه: أبو الحسين محمد بن عبيد الله ، كان من كبار رجال البصرة ، وصفه التنوخي بالعلم والعقل والفضل ، والدهاء ، والرجولة ، وكان يحضر مجالس القضاة وهو صبي ، ويديم مجالسة الوزير المهلبي عند مروره بالبصرة .(النشوار ، ج ٣، الحكاية ٥٢، النشوار ، ج ٣، الحكاية ٥٣)

٩- القاضي ابن شاهويه :أبو بكر محمد بن أحمد بن علي ، جمع بين الفقه وعلم الحساب ، وولي القضاء بفارس ثم بعثه عضد الدولة برسالة إلى بخاري ، وتوفي بنيسابور سنة ٣٦١هـ (النشوار ، ج٣، ص١٣٩)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان من أعظم القضاة في القرن الرابع الهجري أبو الحسن بن أبي الشوارب (١) ، واستقضاه المستكفي على مدينة المنصور (٢)والشرقية وقد كان رجلا واسع الأخلاق ، كريما ، جوادا ، طلابة للحديث (٣) وعندما استخلف المطيع ، قلد أبا الحسن الشرقية ، والحرمين ، واليمن ومصر وسر من رأى ، وقطعة من أعمال السواد (٤) ، وبعض أعمال الشام ، وسقي الفرات ، وواسط ثم صرف عن ذلك في رجب سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة (٥) .

والقاضي أبو جعفر ابن البهلول (٦) ، كان عظيم القدر ، واسع الأدب تام ا لمروءة ، تام العلم باللغة ، حسن القيام بالنحو ، تام الحفظ للشعر القديم محدثا ، مفسرا ، وكان شاعرا خطيبا ، وهو متخشن في الحكم ، وقلد القضاء سنة ٢٧٦هـ ، واستقال منه سنة٣١٦هـ (٧) .

تقلد ابن البهلول قضاء الأنبار (٨) ، وهيت (٩)، والرحبة (١٠) وسقي الفرات (١١) في أيام المعتمد ، بعد كتبه الموفق أبي أحمد سنة ٢٧٠هـ ، وأقام يليها إلى سنة ٣١٦ هـ .

١-القاضي ابن أبي الشوارب : هو محمد بن الحسن بن عبد الله بن عبد الملك بن أبي الشوارب ، (النشوار ، ج١، ص ٢٤٩)

٢- مدينة المنصور : هي الزوراء أو المدينة المدورة التي بناها المنصور ، واتخذها قاعدة ملكه ، وتقع في الجانب الغربي من دجلة ، (معجم البلدان ، ج ٢، ص ٩٥٤)

٣- التنوخي : نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، ج ٤، ص ١٤٠

٤- السواد : يراد بالسواد ، سناق العراق ، وحده من حديثه الموصل طولا إلى عبادان ، ومن الغريب بالقادسية إلى حلوان عرضا ، وسمي بالسواد لسواده بالزروع والنخيل والأشجار ، والعرب يسمون سوادا ، والسواد خضرة (معجم البلدان ١٧٤/٣)

٥- التنوخي : المصدر السابق نفسه ، ج ٤ ، ص ١٤١

٦- القاضي أبو جعفر ابن البهلول : أحمد بن إسحاق بن البهلول ابن حسان التنوخي الأنباري (٢٣١-٣١٨هـ) وله أخبار عديدة في مصنفات التنوخي ، (الفرج بعد الشدة ، ج ١ ، ص ٣٣٣)

٧- التنوخي : نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، ج٤، ص ٢٣

٨- الأنبار : مدينة على الفرات غربي بغداد بينهما عشرة فراخ ، بناها سابور ذو الأكتاف ، وجددها أبو العباس السفاح ، وأقام فيها حتى مات ، وسميت الأنبار لأنها موضع أنابير الحنطة والشعير (معجم البلدان ٣٦٧/١)

٩- هيت : مدينة على الفرات فوق الأنبار قرب عانة، مجاورة للبرية ، ذات نخل كثير وخيرات واسعة (معجم البلدان ٩٩٧/٤)

١٠-الرحبة : قرية بحذاء القادسية على مرحلة من الكوفة ، وقد خربت الآن بكثرة طروق العرب ، لأنها في ضفة ا لبرية ليس بعدها عمارة (معجم البلدان ٧٦٢/٢)

١١- سقي الفرات : كور منها الأنبار وهيت (معجم البلدان ٨٦١/٣)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأضيف له إليها الأهواز (١) ، وكورها السبع (٢) ، وقلد ماه الكوفة (٣) ، وماه البصرة (٤) ، مضافات إلى ما تقدم ذكره ، ولم يزل على هذه الولايات إلى سنة ٣١٦هـ ، وأسن وضعف (٥).

والقاضي أبو السائب (٦) قاضي القضاة قد ذاع صيته في القرن الرابع الهجري ، فقد نشأ في طلب العلم ، وتصوف ، وتفقه على مذهب الشافعي وقلده الأمير أبو القاسم بن أبي الساج قضاء أذربيجان جميعها ، ثم قضاء همذان ، وصار إلى بغداد ونقلد أعمالا جليلة بالكوفة ، وديار مضر والأهواز وعامة الجبل ، وقطعة من السواد ، وتقدم عند قاضي القضاة أبي عمر (٧) وسمع شهادته ، واستشاره في جميع أموره ، وقلده المستكفي قضاء مدينة المنصور ، ثم نقلد قضاء القضاة سنة ٣٣٨هـ (٨).

وسمع القاضي المحسن التنوخي قاضي القضاة أبا السائب يقول : الشاهد إذا لم تكن فيه ثلاث خصال ، من خصال أهل النار ، صار هو من أهل النار . وهي قلة الحياء ، لأن الشاهد ، إذا كان مستحيا ، أجاب إلى كل محال يسأله ، فيذهب دينه ، ويصير من أهل النار ، والحياء في الأصل من الإيمان ، وأهل الإيمان في الجنة ، فقلة الحياء من خصال أهل النار(٩).

١- الأهواز : اسمها لفارسي خوزستان . (معجم البلدان ٤١٠/١)
٢- كور الأهواز السبع :كوربين البصرة وفارس ، وكل كورة منها اسم ، وهي : سوق الأهواز ، ورامهرمز وإيذج ، وعسكر مكرم ، وتستر وجنديسابور ، وسوس (معجم البلدان ٤١١/١)
٣- مياه الكوفة : خالصة قصبة البلد (الدنيور) ، (معجم البلدان ٤٠٧/٤)
٤- ماه البصرة : نهاوند (معجم البلدان ٤٠٥/٤)
٥- التنوخي : نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، ج٤، ص ٢٤
٦- القاضي أبو السائب : عتبة بن عبيد الله بن موسى بن عبيد الله الهمذاني ، قاضي القضاة ، ولد سنة ٢٦٤هـ ، وتوفي سنة ٣٥٠هـ ، كان والده تاجرا ، مستورا ، دينا ، وأنشأه على ذلك (المنتظم ٧/ص٥)
٧- القاضي أبو عمر : محمد بن يوسف بن يعقوب الأزدي ، ولد بالبصرة سنة ٢٤٣هـ ، وكان ثقة ، فاضلا غزير العقل والحلم والذكاء ، ويضرب المثل بعقله وسداده وحلمه ، ويقال في العاقل الرشيد : كأنه ابو عمر القاضي ، وفي الحليم : لو أني أبو عمر ما صبرت ، وفي سنة ٣١٧هـ قلد قضاء القضاة ، وتوفي في السنة ٣٢٠هـ ، التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ١، ص ٦٠، ص ٨٢ ، ص ١٢٨، ص ٢٦١
٨- التنوخي : الفرج بعدالشدة ، ج ٤، ص ١٥٤
٩- التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ٢، ص ٢٦٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والثانية : إنه يحتاج أن يكون فيه سوء الظنّ ، لأنّه متى أحسن ظنّه تمّت عليه الحيلة والتزويدات، فيشهد بالمحال ، فيدخل النار ، وإذ كان سيئ الظنّ سلم ، وسوء الظنّ في الأصل إثم ، والإثم من خصال أهل النار وذكر الثالثة إلا أنّ التنوخيّ قد نسيها ولم يتذكرّها (١)!

ولم تكن المحاكم معروفة، ولكن عرفوا أنّ القضاة يجب أن يكون مباحا للجمهور . فكان القضاة يجلسون في المسجد ، أو في دار القاضي ويتقدّم المتقاضون برقاع (٢) فيها اسم المدّعي والمدّعى عليه ، ويعطونها للكاتب . وإذا حضر القاضي دفعها إليه ، فيفصل فيها كلّها أو بعضها (٣).

وكان هناك الى جانب القضاء النظر في المظالم (٤)،، وكان الناظر في المظالم ينظر في كل " حكم يعجز عنه القاضي ، فينظر فيه من هو أقوى منه يدا " (٥) . وكان القضاء والنظر في المظالم يقومان جنبا لجنب في جميع البلاد الإسلامية . ولكن اختصاص كل من هذين القضاءين لم يحدّد تحديدا دقيقا (٦) .

علـــم الكـــلام :-

من العلوم التي ازدهرت في العصر العباسيّ ازدهارا ملحوظا ، علم الكلام ، ويراد به الأقوال التي كانت تصاغ على نمط جدليّ في الأصول العقيديّة عند المسلمين ، وعند سائر الملل والنّحل ، وقد مضى كلّ متكلّم يدافع عن عقيدته متسلّحا بالفلسفة اليونانية ، وما يتّصل بها من منطق وغير منطق قال الجاحظ في ذلك : " وليس يكون المتكلّم جامعا لأقطار الكلام متمكّنا في الصّناعة،يصلح للرياسة حتى يكون الذي يُحسن من كلام الدّين في وزن الذي يُحسن من كلام الفلسفة " (٧) . وعلم الكلام في نظر الغزالي : " مقصوده حفظ عقيدة أهل السّنة ، وحراستها عن تشويش أهل البدعة "(٨) .

١- التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج ٢، ص ٢٧٠

٢- التنوخيّ : المصدر السابق نفسه ، ج ٥، ص ٥٨

٣- أحمد أمين : ظهر الإسلام ، ج ٢، ص ٢٥١

٤- المظالم : عمل من أهم الدولة، وهو إشاعة العدل بين الناس ورفع الظلم عن المظلوم ،وكان الخلفاء يجلسون بأنفسهم للنظر في المظالم ، ولما اتسعت الدولة وتشعّبت رتّب للمظالم ديوان ، ونُصب له موظفون ونصب عمال للمظالم في سائر البلدان ، وأخذ الخليفة ينيط النظر في المظالم بالوزراء ، أو بأشخاص ذوي معرفة بالفقه والأحكام والحدود (التنوخي: نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، ج ٥ ، ص ٥٨)

٥- متز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجريّ ، ص ٤٢٧

٦- متز : المرجع السابق نفسه ، ص ٤٢٧

٧- الحيوان : ج ٢ ، ص ١٣٤

٨- المنقذ من الضّلال : ص ٧١ ، ط دمشق ، ١٩٣٤ م ، تحقيق جميل صليبا وكامل عيّاد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نشأ علم الكلام من الحاجة إلى الدفاع عن الإسلام أولا دفاعا مسلحا بالفلسفة ، كما كان المهاجمون مسلحين بها . وثانيا لأن المسائل كلها حتى الدين تحولت إلى علوم بعد أن كانت سائرة على الفطرة (١).

وأهم فرق المتكلمين في هذا العصر فرقة المعتزلة الذين نصبوا أنفسهم للدفاع عن عقيدة الإيمان الإسلامية ،وما يتصل بها من توحيد الله وتنزيهه عن التشبيه وحقائق النبوة والثواب والعقاب في الآخرة أمام النصارى واليهود والدهريين والمانويين .

وقام الاعتزال على أصول خمسة هي :- (٢)
- التوحيد - العدل - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- الوعد والوعيد - المنزلة بين المنزلتين .

وكانت المسائل الكلامية تدور بين الفرق الخمس التي شاعت في ذلك الوقت ، وهي أهل السنة ، والمعتزلة ، والمرجئة ، والخوارج ،والشيعة وكانت كل فرقة من هذه الفرق ، تنقسم إلى طوائف قد تختلف فيما بينها فإذا كان الخلاف على العقائد وما يتصل بها فذلك علم الكلام ، وإذا كان الخلاف على الفروع وما يتصل بها ، فذلك علم الفقه (٣).

ومن أشهر معتزلة القرن الرابع الهجري أبو هاشم الجبائي (٤) ، وكان من رؤساء المعتزلة ، وكان يصرح بخلق القرآن ، ويقول بخلود الفاسقين في النار وأن التوبة لا تصح مع الإصرار عليها ، وكذلك لا تصح مع العجز عن الفعل ، فمن كذب ثم خرس ، لا تصح توبته ، وكان ينكر كرامات الأولياء (٥).

١-أحمد أمين : ظهر الإسلام ، ج ٢، ص ٥٠
٢-التنوخي : الفرج بعدالشدة ، ج ٤، ص ٢٧٠
٣- أحمد أمين: ظهر الإسلام ، ج ٢، ص ٥١
٤-الجبائي : هو أبو هاشم عبد السلام بن أبي علي محمد بن عبد الوهب البصري الجبائي ، ولد عام ٢٧٧هـ وتوفي عام ٣٢١هـ ، هو وأبوه من روساء المعتزلة ولكل منهما تصانيف وتلامذة (وفيات الأعيان ٢/٣٥٥)
٥-التنوخي : نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، ج ٢، ص ٢٠٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان الكاغدي (١) من كبار معتزلة القرن الرابع الهجريّ على مذهب أبي هاشم الجبّائيّ ، وكان رفيع القدر ، عالي الذكر ، وقد صيرّ عضدُ الدولة رسما أن يُحمل إلى الكاغديّ من مائدته كل يوم جونه (٢) كبيرة طعاما ، وفي كلّ فصل كسوة، وطيب يستعمله ، وظلّ يرسل إليه عضد الدولة ثيابا جليلة ، من صنوف القطن ، والكتّان ، والعود الهندي ، وأنواعاً من العطر ، وصار ينفذ إليه جونة في كلّ يوم (٣) ، مما أثار حسد الحساد وأخذوا يعرّضون به ، من أمثال أبي العباس المعروف بابن المنجّم (٤) فقد قال فيه (٥) :-

أظهر هذاالشّيخ مكنونه ... وجنّ لمّا أبصر الجونة
شحّ عليها إذ رأى حسنها ... وهي بلحم الطيّر مشحونة

وقد كان لتعاليم المعتزلة أثر كبير في النهّضة الثقافية في العصر العباسيّ، ولا سيّما في مسألة خلق القرآن ،وفي المناظرات التي عمل هؤلاء العلماء على ترويجها ، واعتمادهم العقل فيها .

علوم اللغّـــــة :-

- النّحو والصرّف والبلاغة :-

شهد القرن الثاني الهجريّ معركة كبيرة في النّحو والصرف بين مذهب البصريّين والكوفيّين ، ويعود الخلاف إلى البيئة التي كانت حول البصرة والكوفة . ثم شهد القرن الثالث الهجريّ امتزاج المذهب البصريّ بالمذهب الكوفيّ ، وظهور منتخب من المذهبين هو المذهب البغدادي ، وشهد القرن الرابع الهجريّ تمام هذا الامتزاج (٦) .

١- الكاغدي : هو أبو عبد الله الحسين بن علي إبراهيم البصريّ ، الملقب بالجُعل ، وبالكاغديّ ، ولد عام ٣٦٩هـ ، ولد في البصرة في بغداد ، وامتدحه أبو حيان التوحيدي ، في الإمتاع والمؤانسة (الفهرست ٢٢٢)
٢-الجونة : سلّة صغيرة مغشاة من الأدم تكون عند العطارين ، ويُحمل فيها الطعام (النشوار ، ج ٧، ص ٢١١)
٣- التنوخيّ : نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، ج ٧ ، ص ٢١٠
٤- ابن المنجّم : هو أبو العباس هبة الله بن محمد بن يوسف بن يحيي بن أبي منصور ، نقل عنه التنوخيّ كثيرا من الأخبار ، أنظر القصص ١/١ ، و ١١/١ ، و ١٣/١، و ٦٨/١، و ١٧٧/٢ من النشوار
٥- التنوخيّ : نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ،ج ٧ ، ص ٢١١
٦- أحمد أمين : ظهر الإسلام ، ج ٢ ، ص ١١٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان من أوائل النحويين الذين لهم أثر كبير في النحو بمعنى الشرح والتفسير الزجاج (١) ،وكان يكسب في اليوم دينارا من خرط الزجاج وحبب إليه النحو ، فاتصل بالمبرد (٢) ، وكان المبرد لا يعلم النحو إلا بأجر إلا بمقداره فمن أعطاه درهما علمه بدرهم ، وهكذا .

وعاهد الزجاج المبرد على أن يعطيه في كل يوم درهما ، وعاهده على أن يعطيه الدرهم أبدا ، إلى أن يفرق الموت بينهما ، استغنى عن التعلم ، أو احتاج إليه (٣) .

ومن ألمع تلاميذ الزجاج العالم أبا علي الفارسي (٤) ، وهو من توسع في القياس والاشتقاق .وعلت منزلته في النحو ، حتى قال قوم من تلامذته ، هو فوق المبرد ، وأعلم منه (٥).

صنف كتبا عجيبة حسنة ، لم يسبق إلى مثلها ، واشتهر ذكره في الآفاق وبرع له غلمان حذاق ، مثل عثمان بن جني (٦) ، وعلي بن عيسى الشيرازي (٧) ، وغيرهما .

وخدم الملوك ، وتقدم عند عضد الدولة ، وعلمه النحو ، وكان عضد الدولة يقول : أنا غلام أبي علي النحوي في النحو (٨).

١- الزجاج : أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السري بن سهل الزجاج النحوي ، كان من أهل العلم والأدب ، صنف كتابا في معاني القرآن ، أخذ الأدب عن المبرد وثعلب ، وأخذ عنه أبو علي الفارسي ، توفي في سنة ٣١١ هـ ، وقد نيف على الثمانين (معجم الأدباء) ٤٧/١)

٢- المبرد : أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي المعروف بالمبرد ، إمام العربية ببغداد في زمنه وأحد أئمة الأدب والأخبار ، صاحب كتاب الكامل ، ولد ببغداد سنة ٢١٠هـ ، وتوفي سنة ٢٨٥ هـ (المنتظم ٩/٦)

٣- التنوخي : نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، ج ١ ، ص ٢٧٤ ، الحكاية ١٤٦

٤- أبو علي الفارسي : الحسن بن أحمد بن عبدالغفار بن سليمان الفارسي النحوي ، أحد الأئمة في علم العربية ، ولد سنة ٢٨٨هـ ،وأقام مدة عند سيف الدولة في حلب ، ثم صحب عضد الدولة ، وعلمه النحو ، وألف عدد كتب ، وتوفي سنة ٣٧٧هـ(التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ٤، ص ٤٣)

٥- التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ٤ ، ص ٤٣

٦- ابن جني : أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي ، من أئمة الأدب والنحو ، وله شعر ، ومولفات عدة ، ولد بالموصل وتوفي في بغداد سنة ٣٩٢ هـ (التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ٤ ، ص ٤٣)

٧- الشيرازي : أبو الحسن علي بن عيسى بن الفرج بن صالح الربعي الشيرازي ، عالم بالعربية ، اشتهر وتوفي ببغداد له تصانيف في النحو ، توفي سنة ٣٤٠هـ (التنوخي: نشوار المحاضرة ، ج ٤، ص ٤٤)

٨- التنوخي : نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، ج ٤ ، ص ٤٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن اللغويّين الذين ذاع صيتهم في هذا العصر الرامهرمزيّ (١) كان واسع العلم والأدب ، مليح الشعر عالماً بالنّحو واللغة (٢) ، وهو أستاذ أبي هاشم الجبائيّ ، بعد أبي بكر المبرمان (٣) في النّحو ، قرأ عليه لما ورد البصرة (٤) ، واستفاد منه حتى بلغ أعلى مراتب النّحو(٥).

ومن نُحاة هذا العصر أيضا الأخفش الصّغير (٦) ، والحامض (٧) وابن دُريد الأزدي (٨) ، وقد كان ابن دُريد أحفظ الناس وأوسعهم علماً ودُفن في سنة ٣٢٣هـ (٩) ، وفي نفيس اليوم الذي دُفن فيه أبوها الجبائيّ فبكى الناس على علم الكلام والعربية طويلاً ،وافترقوا (١٠).

و كان أحد أئمة اللغة في هذا العصر أيضاً ابن السرّاج (١١) البغداديّ ومن أئمة العربية في هذا العصر أيضاً الرُّماني والورّاق المعروف بالإخشيديّ(١٢).

١- الرامهرمزيّ : توفي سنة ٣١٢ هـ في سيراف (معجم البلدان ٢٧٥/٥)
٢- التنوخيّ : نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، ج ٤، ص ٥٩
٣- أبوبكر المبرمان : محمد بن علي بن إسماعيل العسكريّ من كبار العلماء بالعربية ، بغداديّ ، كان لا يقرى كتاب سيبويه إلا بمائة دينار ، له عدّة مؤلفات ، توفي سنة ٣٤٥ هـ (التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج٤، ص٥٩)
٤-التنوخيّ : نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، ج٤، ص ٥٩
٥- يدلّ على بلوغه أعلى مراتب النحو ، وأن أبا محمد عبد الله بن جعفر بن درستوية النحويّ ذكر أنه اجتمع مع أبي هاشم الجباني ، فألقى عليه أبو هاشم مائتي مسألة من غريب النحو ما سمع بها أبو محمد قط (معجم الأدباء ٢٧٦/٥)
٦- الأخفش الصغير : أبو الحسن علي بن سليمان بن الفضل النحويّ ، من العلماء بغداديّ ، أقام في مصر ، ثم في حلب ثم عاد إلى بغداد ، وتوفي سنة ٣١٥هـ ، (وفيات الأعيان ٤٦٢/٢) . التنوخيّ: (نشوار المحاضرة ، ج ٤ ، ص ٤٧)
٧- الحامض : أبو موسى سليمان بن محمد بن أحمد النحوي ، المعروف بالحامض ، لضيق صدره ، من علماء اللغة والشعر ، بغدادي من تلاميذ ثعلب ، توفي سنة ٣٠٥هـ (التنوخيّ : نشوار المحاضرة ،ج ٤ ، ص ٤٧)
٨- ابن دُريد الأزديّ : من أئمة اللغة والأدب صاحب المقصورة الشهيرة ، قلد ديوان فارس ، ثم اتصل بالمقتدر العباسيّ وأجرى عليه رزقا قدره ٥٠ دينارا في الشهر وتوفي في سنة٣٢١هـ وله من العمر ٩٨ عاما . التنوخي: الفرج بعد الشدة ج ١ ، ص ١٧٩
٩- التنوخيّ : نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، ج ٢، ص ٢١٠
١٠-التنوخيّ : نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، ج٢، ص ٢١٠
١١-ابن السرّاج : أبو بكر محمد بن السرّي بن سهل ، أحد أئمة الأدب والعربيّة ، بغداديّ ، عارف بالموسيقى له عدّة مؤلفات مات شابا في سنة ٣١٦ هـ (التنوخيّ: نشوار المحاضرة، ج ٤، ص ٤٨)
١٢- الإخشيديّ : أبو الحسن علي بن عيسى بن علي بن عبد الله الرماني الوراق المعروف بالإخشيديّ (٢٩٦-٣٨٤هـ) كان إماما في العربية علامة في الأدب (معجم الأدباء ٣٨٠/٥) ، التنوخي : نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، ج ٤ ، ص ٦٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما علم البلاغة فقد تكوّن حول البحث في أسباب إعجاز القرآن ولم تسعفنا مصنّفات التنوخيّ في هذا العلم ، وذكر أبو عبد الله بن ثوابة (١) وهو أحد البلغاء الفهماء ، وأرباب الاتساع في علم البلاغة ، قال الوزير علي بن عيسى لأبي عبد الله بن ثوابة : ما قال أما بعد ، أحد على وجه الأرض ، أكتب وأبلغ من جدّك ،وكان أبوك أكتب منه ، وأنت أكتب وأبلغ من أبيك (٢) وقال عنه المحسّن التنوخيّ : رأيت عبدالله بن ثوابة في سنة ٤٠٩هـ (٣) وكان نهاية في حسن الكلام ، والكتبة (٤).

التاريخ والجغرافيا :-

تقدّم في هذا العصر التاريخ ، وأصبح له منهج بعد أن كان خبرا هنا وخبرا هناك ، والمؤرّخون في هذا العصر كثر منهم : ابن جرير الطبريّ والمسعودي .

أما ابن جرير ، فقد مضت ترجمته مفسّرا ، ونتحدّث منه الآن مؤرّخا وهو في التفسير حجة ، جمع الطبريّ مواده من الأحاديث وأقوال من قبله من المؤرّخين ، مع التحرّي الشديد لصدق ما يجمع ، وقد مكنته فارسيته من الاطّلاع على أخبار الأمم (٥).

وصل كتابه " تاريخ الرسل والملوك " (٦) ، وكتب فيه إلى آخر حياته سنة ٣١٠هـ ، وهو أحسن ما يكون إذا تعرّض لتاريخ الفرس ، وتاريخ الإسلام لأنّ الموادّ عنده غزيرة ثم أكمله بعض تلاميذه .

وقد غلبت على الطبريّ طريقة المحدّثين ، فهو يروي الحادثة عن جملة من الرواة ، ويترك للقارئ اختيار أحسن الآراء كما فعل في التفسير(٧) ، واعتمد في كتابة التاريخ على الصّحف والمؤلفات قبله ،وعلى الروايات ا لتي أخذها عن شيوخه ، وخصوصا في السنين الأخيرة من كتابه (٨).

١- ابن ثوابة : أبوعبد الله احمد بن محمد بن جعفر بن محمد ، ولي ديوان الرسائل بعد أبيه في سنة٣١٢هـ في أيام المقتدر وما زال يتولاه حتى عام٣٤٩ هـ وتوفي في العام نفسه (معجم الأدباء ، ج " ٢ " ، ص ٧٩٢)

٢- ياقوت الحمويّ : معجم الأدباء ، ج ٢، ص ٨٠

٣-هذا الرقم حصل فيه سهو ، لأن التنوخيّ توفي سنة ٣٨٤ هـ ، وابن ثوابة توفي سنة ٣٤٩ هـ ، ونحسب أن الكاتب أراد أن يكتب ٤٩ يعني ٣٤٩ ، فأخطأ ، فوضع نقطة بين الرقمين (تحقيق عبود الشالجي للنشوار ، ص ٤١ ، ج ٤)

٤- التنوخي: نشوار المحاضرة ، ج ٤ ، ص ٤١

٥- أحمد أمين: ظهر الإسلام ، ج ٢، ص ٢٠٣

٦- الطبري: تاريخ الرسل والملوك ، طبع : دار المعارف بمصر

٧- التنوخيّ : الفرج بعد الشدّة ، ج ١، ص ٩٧

٨- التنوخيّ : نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، ص ١٧، ج ٤
التنوخيّ : الفرج بعد الشدة ، ج٣، ص ١٤٧
التنوخيّ : الفرج بعد الشدة ، ج٥، ص ٦٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأما المسعودي فكان ذا منحى آخر يغاير منحى الطبري ولكل فضل . فألف المسعودي كتاب " مروج الذهب " (١) ، وهو ليس مؤرخا فقط ، بل هو مؤرخ وجغرافي معا ، توفي في ٣٤٦هـ (٢) .

وكان المقدسي أعجوبة عصره ، دعاه إلى التأليف في الجغرافيا أنه عز عليه أن يرى غيره قد اخترع في العلوم وهو لم يخترع (٣) ، وألف كتاب " أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم " (٤) ، وتوفي المقدسي عام ٣٨٠هـ(٥) .

علم النجوم والفلك :-

كان للعرب في العصر العباسي حظ وافر في علم النجوم والتنجيم (٦) فضل كبير في تقدمه ، فقد جمعوا فيه بين مذاهب اليونان والفرس والهند والكلدان (٧) .

وقد شاعت مصطلحات للتنجيم في هذا العصر مثل أصحاب الزجر(٨) ، والزراق (٩) وأهل القرعة(١٠) ، والمقالين (١١) ، والمفسرين (١٢)

ولهم أدوات يستخدمونها كالنخت ، والإصطرلاب (١٣)، والتقويم لخلق الحيلة ، والزايرجة (١٤) .

١- المسعودي : مروج الذهب ، أبو الحسن علي بن الحسن بن علي ، تحقيق محيي الدين عبد الحميد ، طبعة الشعب ـ القاهرة ، ١٩٦٦ م

٢- التنوخي : الفرج بعد الشدة ، ج ٥ ، ص ١٠٢

٣- أحمد أمين : ظهر الإسلام ، ج ٢، ص ٢١١

٤- المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم : أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي ، طبع ليدن ـ١٩٠٦ م

٥- التنوخي : الفرج بعد الشدة ، ج ٣، ص ٣٠٧

٦- التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ١، ص ٦

٧- د. حسين الحاج حسن : حضارة العرب في العصر العباسي ، ٩٧

٨- أصحاب الزجر : الذين يتنبأون ويتحدثون عن المستقبل بزجر الطائر ، ج ١، ص ٦

٩- الزراق : المنجم الذي يقعد على الطريق وينتظر في النجوم ، ج ١، ص ٦

١٠-أهل القرعة : الذين يخرقون بالقرعة المنسوبة للإمام جعفر الصادق وغيرها ، ج١، ص ٦

١١-المقالين : نوع من الفأل ، وهو أن يتقابل إثنان ، يتبالان الحديث ، فيتفاءل السامع بما سمع ويستنبط من حديثها ما يريد استنباطه . النشوار ، ج ١، ص ٦ ، الحاشية

١٢-المفسرون : المعبدون الذين يفسرون الأحلام . النشوار ، ج ١، ص ٦

١٣-الإصطرلاب : آلة تعرف بها حركة الكواكب . النشوار ، ج ١، ص ١٤١

١٤- الزايرجة : التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ٢، ص ٣٢٧

الزايرجة : شبكة مربعة تشتمل على مائة بيت ، يرسم في كل واحد منها حرف مفرد ، وللمنجمين أعمال منها ، يزعمون أنهم يستدلون على المغيبات . أنظر : أدي شير : الألفاظ الفارسية المعربة الطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ص ٨٢

٥٤٥٦٨٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن المعروفين بعلم التنجيم أبو هاشم الجبائي ، ووالده أبو عليّ الجبائيّ(١)، ومن إصابات الجبائي في علم النجوم ، أنه قد تنبأ لمولود بأنه سيكون أحنفا (٢) ، وتنبأ لمولود آخر بموته في يومه السادس عشر (٣).

وممن وُصف بعلم النجوم ، سهلون ، ويزدجرد ، وهما أخوان كهلان فاضلان تأدّبا في بغداد ، ابنا مهمندار الكسوريّ (٤) ، وكانا ينشدان الشعر الجيّد لأنفسهما . ومن شعر سهلون(٥).

ولكنّني ربّ العلوم وذو الأمـــــر ... بنظم تغليّه الجواري على الـدُّر
ولي دربة طالت على كلّ عالـــم ... إذا أعوز الإنسان علم بما يدري
من الطبّ والتنجيم من بعد منطـق ... ولا علم إلاّ ما أحاط به صدري
وها أنا سيف الله علما بدينـــــه ... أذبّ عن التوحيد في أمم الكفـــر

علم الطـــــب :-

نهضت العلوم الطبيّة والطبيعية ، وكانت تشمل الصيدلة والكيمياء والطب ومن كبار الأطباء في هذا العصر أبو سعيد سنان بن ثابت طبيب المقتدر (٦) ، وقد نصّبه رئيساً للأطباء ، وأمر أن لا يمارس طبيب مهنته إلا بعد أن يمتحنه سنان ، ويرضاه ، ويعين له ما يصلح له أن يتصرّف فيه وخدم القاهر ، وخدم الراضي (٧) ، وخدم بجكم (٨) ، وتوفي سنة ٣٣١هـ وقد أضاف إلى مهنة الطّب روحاً ورونقاً خاصّاً .

١- التنوخيّ : نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ج ٧ ، ص ١٩٦
٢ - التنوخيّ : المصدر السابق نفسه ، ج ٧ ، ص ١٩٨
٣- التنوخيّ : المصدر السابق نفسه ، ج ٧ ، ص ١٩٩
٤- التنوخيّ : المصدر السابق نفسه ، ج ٧ ، ص ٢٠٧
٥- التنوخيّ : المصدر السابق نفسه ، ج ٧ ، ص ٢٠٨
٦-ابن القفطيّ : تاريخ الحكماء ، ط ٣، القاهرة ، ١٩٦٤ م ، ص ١٩٠-١٩٥
٦- ابن القفطيّ : تاريخ الحكماء ، ص ١٩٠-١٩٥
٧- التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج ٧، ص ٢٤٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد بعث الأمير بجكم التركي ، أمير الأمراء ، إلى الطبيب سنان بن ثابت بعد موت الراضي وسأله أن يأتي إلى واسط ، واعتمد عليه في تدبير بدنه وفي أمر أخلاقه لثقته بعقله ودينه (١) ، ليسدى اليه الطبيب سنان ابن ثابت النصيحة (٢)٠

وقد عرفوا التجارب العلمية، واستفادوا من الموادالمحيطة بهم وبين أيديهم ، فقد عرفوا طلاء يمنع الحمل ، مصنوع من البنج المسحوق ، معجون بلبن فرس ، ثم يجفف ويعلق على المرأة ، فلا تحمل كما يخبرنا التنوخي(٣)٠

وعرفواالأصباغ لتغيير لون الشعر ، وخاصة الخضاب الأسود الذي يؤخر الشيب دهرا طويلا (٤)٠

وقد نظن أن ظاهرة التصاق التوائم ظاهرة حديثة ، أرق فصلهما عن بعضهما الأطباء ، من غير أن يفقد أحدهما ، إلا أن هذه الحادثة قد مر بها الأطباء عام ٣٤٠ هـ ، فقد جمع لهما (ناصر الدولة) الأطباء للفصل بينهما فعندما نظر الأطباء فيهما ، وجدوا أن لهما جوفا واحدا ، وسرة واحدة ومعدة واحدة ، وكبدا واحدة ، وطحالا واحدا ، ولا يوجد لهما أضلاع في موضع الالتصاق ، فالتصاقهما من جانب الخاصرة ، وعلموا انهما أن فصلا تلفا (٥)٠

وقد عرف في هذا العصر عالم الوقاية ، فأنشئت المصحات ، وأقيمت البيمارستانات ، وبرع الكثير من الأطباء في الصيدلة وتحضير العقاقير الطبية وكان ابن سينا (٣٧-٤٢٨ هـ) أول من غلف الحبوب ، وكان الصيادلة يخضعون للتفتيش المستمر (٦) ٠

١- التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ٧، ص ٢٤٨
٢- التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ٧ ، ص٢٤٩
٣- التنوخي : نشوارالمحاضرة، ج ٣ ، ص ٣٦
٤- التنوخي : نشوار المحاضرة، ج ٣، ص ٣٥
٥- التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج٤، ص ٢٤٠
٦- مصطفى الرافعي : حضارة العرب ، ص ٢٩٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحياة الأدبية في القرن الرابع الهجري :-

الشعـــــــر :-

أورد التنوخي في مصنفاته أخبارا كثيرة عن شعراء ذاع صيتهم في القرن الرابع الهجري ومنهم المتنبي و أبو فراس الحمداني والشريف الرضي ، . وقسم شعبي كشعر ابن الحجاج (١) وابن سكرة (٢) والخبز أرزي (٣).

المتنبي (٣٠٣-٣٥٤ هـ) من أبرز شعراء هذا القرن ، وقد أورد التنوخي أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي الكندي الكثير من الأخبار عنه في نشواره فقد سأل المحسن التنوخي المتنبي عن نسبه ، فما اعترف المتنبي به ، وقال له : " أنا رجل اضبط القبائل وأطوي البوادي وحدي ومتى انتسبت ، لم أمن أن يأخذني بعض العرب بطائلة بينها وبين القبيلة التي انتسب إليها ، وما دمت غير منتسب إلى أحد فأنا أسلم على جميعهم "(٤).

كان المتنبي محبا للعلم والأدب ، مكثرا من ملازمة الأعراب ، وقد حافظة قوية مكنته من حفظ كتاب للأصمعي من ثلاثين ورقة قرأه مرة واحدة فقط (٥).

ادعى المتنبي النبوة في الشام ، إلى أن شهد عليه بالشام ، وحبس دهرا طويلا وكاد أن يقتل إلا انه استتيب وأطلق سراحه (٦).

ويذكر لنا التنوخي في نشواره حادثة قتل المتنبي (٧) ، والأقوال التي قيلت في سبب مقتله (٨) ، ففي عام ٣٥٣هـ ، مر أبو الطيب المتنبي ببغداد وخرج منها متجها إلى فارس مادحا الأمير عضد الدولة ، ثم رجع من شيراز يريد بغداد ، فقتل سنة ٣٥٤هـ ، اما عن سبب مقتله فهناك ثلاثة أقوال :

١- ابن الحجاج : أبو عبد الله الحسين بن الحجاج ، شاعر مغلق وجل شعره مجون وسخف وله ديوان لم ينشر توفي في سنة ٣٩١ هـ (الثعالبي : يتيمة الدهر ، تحقيق محمد محي الدين ٣١/٣)

٢- ابن سكرة : محمد بن عبد الله بن محمد الهاشمي ، وهو شاعر متسع الباع فائق في قول الطرف والملح على الفحول والأفراد ، وله شعر ماجن ، توفي سنة ٣٨٥ هـ . (وفيات الأعيان ٤٠/٤)

٣- الخبز أرزي : أبو القاسم نصر بن احمد بن نصر بن مأمون البصري الخبز أرزي ، شاعر غزل كان يخبز خبز الأرز بمربد البصرة ، توفي سنة ٣٢٧هـ (وفيات الأعيان ١٥٣/٢)

٤- التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ٤، ص ٢٤٥

٥- التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج٤، ص ٢٤٦

٦- التنوخي : نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، ج ٤، ص ٢٤٧

٧- التنوخي : نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، ج٤،ص ٢٤٨

٨- التنوخي : نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، ج ٤، ص ٢٤٩-٢٥٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أحدها : أن المتنبي غادر شيراز وقد وصله عضد الدولة بأكثر من مائتي ألف درهم بقصيدته التي قال فيها :-

ولو أنى استطعت حفـــظ طرفـــي فلم أبصر به حتى أراكا
وفي آخرها : وأني شئت يا طرقي فكوني أذاة أو نجاحا أو هلاكا

فهجم عليه الإعراب ، وقتلوه هو وابنه وبعض غلمانه وفازوا بالأموال
وثانيهما : انه وشى بعضد الدولة ، فدس عليه من يقتله ، لقوله : إن عطاء سيف الدولة ، طبع فيه ، وعطاء الدولة متكلف .

وثالثهما : هو أن المتنبي هجا ضبة الاسدي ، قائلا :
ما انصف القوم ضبه وأمـــــه الطرطبـــه
فبلغته ، فترصد له وقتله مع ابنه (١).

ولم يورد التنوخي في مصنفاته أشعارا للمتنبي ، كما ذكر مقطوعات شعرية لغيره من الشعراء .

وشاعر آخر روي التنوخي إخباره وهو أبو فراس الحمداني (٣٢٠هـ - ٣٥٧هـ) ، الحارث بن أبى العلاء سعيد بن حمدان بن حمدان الحمداني وهوحسن الخلق وفارس شجاع مع ملاحة خط وله ديوان كبير (٢).

تقلد منبج (٣) وحران (٤) وأعمالهما لسيف الدولة الحمداني وحصل أن وقع بينه وبين الروم صدام فذهب أسير معهم (٥).

١- التنوخي : نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة ، ج ٤ن ص ٢٥١
٢- التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ١، ص ٢٢٥
٣- منبج : مدينة كبيرة بينها وبين الفرات ثلاثة فراسخ وهي ذات خيرات كثيرة وارزاق واسعة ، (معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٦٥٤)
٤- حران : هي قصبة ديار مضر ، وهي على طريق الموصل والشام والروم ، (معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٣٠)
٥- التنوخي : نشوار المحاضرة، ج ١، ص ٢٢٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أسر أبو فراس الحمدانيّ ، وظلّ يكاتب سيف الدولة لفدائه إلا أن سيف الدولة يرفض ، وذلك رغبة منه في افتداء جميع الأرة المسلمين واليس ابن عمه فقد (١) ، إلى أن أقام سيف الدولة الفداء بشاطئ الفرات في رجب سنة ٣٥٥ هـ ، وأخرج من ماله خمسمائة ألف دينار في شراء الأسارى (٢).

إنّ أروع ما نظم أبو فراس الحمدانيّ من شعر ، كان في سجن الروم وقد رصد التنوخيّ في نشواره عدد من الأبيات ، سيأتي ذكر بعضها (٣).

كتب أبو فراس الحمداني لسيف الدولة قصيدة ، ينفي بها ما قد قيل على لسانه زوراً بأنّ سيف الدولة أن لم يستطع فداء أبى فراس ، فليبعث إلى صاحب خراسان ليفديه ، فقال سيف الدولة : ومن اين يعرفه أهل خراسان (٤).

فقال أبو فراس الحمدانيّ (١) :

" أسَيْفُ الهُدَى وَقَريع العربِ ... إلى مَ الجَفَاءُ وَفِيمَ الغَضَب
ألسْتُ وَإيّاكَ مِنْ أسْرةٍ ... وَبَيْنِي وَبَيْنَكَ فوْقَ النَّسَب
وَما شَكَّكْتني فِيكَ الخُطُوبُ ... وَلا غَيَّرْتني عَلَيْكَ الثّوَب
وَأشْكُر مَاكُنْت فِي صُحْبَتِي ... وَأحْلُمُ مَا كُنْتُ عِنْدَ الغَضَب "

١- التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج ١ ، ص ٢٢٨
٢- التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ١، ص ٢٢٨
التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ٢ ، ص ٢٩٦
٣- التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ٢، الحكاية ١٣١، ونشوار المحاضرة ، ج ٣ ، الحكاية ١٠٩، ١٤٩، ج٤، الحكاية ١٢٨
٤- التنوخي : نشوار المحاضرة، ج ١، ص ٢٢٩
٥- التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ١، ص ٢٢٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكتب أبو فراس ، إلى غلامين له ، وهو مأسور (١) :

" هَلْ تُحسَّـانِ لِـي رَفيقـارفيقـا ... يحفِظِ الود (٢) أو صَدِيقًا صَدِيقا
كُنْتُ مَوْلاكُمَـــا وَمَاكُنْت إلا ... وَالِـــدًا مُحْسِنـًــا وَعَمّا شَفِيقا
يتُ أبْكيكُما وإنّ عجَيبـــًا ... أنْ يَبيتَ الأسيُر يَبْكِي الطّليقـا
فاذْكراني وَكَيْفَ لا تَذْكُرَانـي ... كُلُّ مَا استَّخَوْنَ الصّدِيقُ صَدِيقا" (٣)

وحضر العيد وأبو فراس أسير ببلد الروم ، فقال : (٤)

" يَا عِيدُ مَا جِئتَ بمحبـــُوب ... عَلى مَعنَى القلب مكرُوب
يَا عِيدُ قدْ عُدت عَلى نَاظِر ... عَنْ كُل حسْن فِيك مَحْجُوب
مَا لي وللِدَهْـــرِ وأحْدَاثه ... لقدْ رمَانيْ بالأعَاجيب " (٥)

وكان أبو فراس حكيماً ، ومن شعره في الحكمة (٦) :

" في النَاس أنْ فتشْتَهُم ... مِن لا يَعزلُ أو تذلُـــــه
فاترك مَجَالسة اللئيم ... فإن فيه العَجْز كُله " (٧)

وله(٨) :- " غنَى النفسُ لمَنْ يعْـقِـــل ... خَيرُ منْ غنَـــــى المـــــال
وفضل ا لنَاس فِي الأنفس ... ليْس الفَضل فِي الحَال" (٩)

١- التنوخيّ : نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، ج ٤، ص ٢٥٨
٢- في الديوان : مخلص الوَد
٣- ديوان أبي فراس الحمداني : ص ٢٠٠
٤- التنوخيّ : نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، ج٣، ص ٢٣٠
٥- ديوان أبي فراس الحمداني ، ص ٣٤
٦- التنوخيّ : نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، ج ٢، ص ٢٥٦
٧- ديوان أبي فراس الحمداني : ص ٢٤٨
٨- التنوخيّ : نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، ج٢، ص ٢٥٦
٩- ديوان أبي فراس الحمداني : ص ٢٤٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ففي المقطوعة الأولى يذكر أبو فراس أن الناس أصناف ومنهم من لا يقدّرك ولا تقدّره ، وينصح بعدم مجالسة اللئيم ومجاملته لأنها مضيعة للوقت والمقطوعة الثانية يبين فضل غنى العقل وعفة النفس على غنى المال والحال .

أخبار أبي العلاء المعري :-

وأبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخيّ المعرّي (٣٦٣هـ - ٤٤٩هـ) شاعر فيلسوف ولقب برهين المحبسين (١) ، وهو عالم يتحدّث عن الحياة والموت ، والغرائز والطّباع ، حديث المجرّب الواعي . وهو من فرسان البلاغة ، وعمالقة الشعر (٢) .

ويذكر التنوخي لأبي العلاء المعرّيّ قصيدتين(٣) ، القصيدة الأولى للمعرّي يمدح الجُبلّي (٤) ، الذي مدحه عند ورود معرّة النعمان ويقول فيها (٥) :

أشفقت من عبء البقاء وعابه ... ومللت من أري (٦)الزمان وصابه (٧)
ووجدت إحداث الليالي أولعت ... بأخي الندى تثنيه عن آرابه
وأرى أبا الخطاب نال من الحجى ... حظاً رواه الدهرُ عنْ خطابه

١-ياقوت الحموي : معجم الأدباء ، ج ١ن ص ١٨١، وابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ١ن ص ٣٣
٢-إبراهيم أبو الخشب : تاريخ الأدب العربّي ، ص ٢٣١
٣-التنوخيّ : نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، ج ٥، الحكايتان ٩٧-١١٠
٤-الجُبليّ : أبو الخطاب محمد بن علي بن محمد بن إبراهيم الجبلّي ، توفي في بغداد سنة ٤٣٩ هـ وفقد بصره(النجوم الزاهرة ، الجزء الخامس ، ص ٤٦)
٥-التنوخيّ : نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، ج ٥ن ص ٢٠٢-٢٠٣٦
٦-الأريّ: العسل ،أنظر ابن منظور لسان العرب ص ١٢٦ مادّة أري
٧-الصّاب : شجر مرّ الطعم ، أنظر :ابن منظور لسان العرب ، ص ٤٣٤ ،مادّة (صوب)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويروي التنوخي لأبي العلاء المعرّيّ أبياتاً في رثاء الحنفي (١) :

" غيرُ مجدٍ في ملتي واعتقادي نوحُ باكٍ ولا ترنُّمُ شـــاد
وشبيهُ صوتُ النعي إذا قيـــ ـس بصوْتِ البشير في كلّ ناد
أبكَت الحمامةِ أم غـنـــــّ ت على فرع غُصنْها الميّـــاد

أخبار ابن حجاج :-

وأبو عبد الله الحسين بن الحّجاج ، أكبر الشعراء الشعبيّن ، وكان لسخفه ورداءة لسانة مخشيّ الجانب (٢) .

وقد أورد التنوخيّ له مقطوعات شعرية في نشواره منها (٣) :

قالوُا غداً العيدُ فاستبشر بهِ فرحا فقلْتُ : مالي وما للعيدِ والفرح
بكىَ وناحَ ولولاَ أنـــــهُ سبـبَ لشجو قلبَي المعُنّى فيك لم يبُح
فما ذكرتُكِ والأقـداحُ دائـــرة إلاّ مزجتُ بدمعي باكياً قدحي
ولا سمعْتُ بصوتٍ فيه ذكرُ نوىً إلاّ عصيتُ عليهِ كلّ مقتـــرح

وله أيضا في الغزل (٤) :

نمّتْ بسرّي في الهوَى أدْمُعي ودلّتْ الواشي على موْضعي
يَا معْشَر العُشّاق إنْ كُنْتُـــمْ مِثْلي وفي حالي فموتوُا معِي

وأورد التنوخي له في الهجاء والعتاب لا ترقى شعر الشعرا ء في هذه الأغراض ومن شعره أن دفع رقعة إلى القاضي أبي السائب الذي تأخرت صلته له بعدما مدحه ، فردّ عليه القاضي أبو السائب بجانب كـــلّ بيت كالتالي (٥) :

يا عُتْبةُ بنُ عُبيد حُوشيت منْ كلّ عيْبِ لبّيْكِ يا مُختصر
وأبْعدالله قومـــا رَموْكَ عنْدي بريْبِ وأنت فحوشيت من كلّ سوء
قالوُ بأنّكَ تهْوي زبيبة بن شعَيْـــب كـــذبوا
فقُلتُ هذا مُحالٌ أصْبوُةُ بعـــدِ شيْـــبِ أحسن الله جزاءك

١-التنوخيّ : نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، ج ٥، ص ٢٢٣
٢- متز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجريّ ، ص ٤٩٧
٣- التنوخيّ : نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، ج ٦ ، ص ٥٧
٤- التنوخيّ : نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، ج ٦،ص٦٩
٥- التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج ٣، ص ١٥٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أخبار ابن سكرة الهاشمي :-

ولابن سكرة في هجاء القاضي أبي الشوارب ، لما تقلد قضاء القضاة وكانت العامة تلقبه بحَدِنْدلَ ، ويقول(١) :

خلعْتُ علىَ حَدَنْدلٍ منْ مَديحي قميصاً لا اكتسىَ رجْلٌ كساهُ
علىَ نفسي دَعوْتُ لأنَّ جهْلي دَعَاني أنْ شَرهْتُ إلىَ نِدَاهُ
وكَيفْ رَجَوْتُ جُوداً مِنْ عَدُوّي ولمْ أغْسلْ حُسامي منْ دِمَاهُ

ففي المقطوعة الأولى هناك تجديد في الشكل ، وفي الثانية نلمح أسلوب السخرية والتهكم بهذا القاضي ، إذ يرى ابن سكرة أن هجاءه له مديحٌ.

أخبار السري الرفاء :-

وأبو الحسن السري بن أحمد بن السري الرقاء (٣٦٢هـ) كان يرفو ويطرّز الثياب وينظم الشعر (٢).

وله في الغزل والصف والمدح وغيرها من الأغراض ، وقد أورد التنوخيّ له مقطوعات شعرية منها :

في الغزل (٣) :

وذي غنج يرنو بمقلة جؤذر متى يعد فيه خالع العذر يعذر
له فوق ورد الخد خالٌ كأنّه إذا حمرّ وردُ الخدّ نقطةُ عنبر

وله في وصف قدح أهداه له صديق ، فسقط من يده فانكسر ، قائلاً (٤) :

يا منْ لديهِ العَقَافُ و الورع وسيمتاهُ العلاءُ والرُّفع
كأسُكَ قد فرقت مفاصلهُ بيْنَ التدامى فليْسَ تجتمع
كأنّما الشمسُ بينهُم سقطَت فجسمُها في أكفهّمْ قِطَع
لوْ لمْ اكُنْ واثقا بمشبههِ منكَ لكادَ الفؤادُ ينصدَع
فجدْ بهِ بدعةً فعنْدي منْ جُودكَ أشياءُ كلّها بدع

والسريّ الرفاء هنا يصف القدح بأسلوب جميل ، ويستهدي قدحا آخر من صديقه .

١- التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج ٣، ص ١٥٦
٢- ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٢، ص ١٠٤
٣- التنوخيّ : نشوار المحاضرة ج٢، ص ٣٠٧
٤- التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج٦، ص ١١٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أخبار أبي الفرج الببغاء :-

وأبو الفرج عبد الواحد بن نصر بن محمد المخزوميّ (٣٩٨هـ) خدم سيف الدولة الحمداني أمير حلب ، ومدحه بأشعار عديدة ، ولقب بالببّغاء لفصاحته .

نظم أبو الفرج الببغاء في مدح سيف الدولة قصائد عدّة ، ومنها قوله عندما أقام الفداء مع الروم على شاطئ الفرات (١):

وفديت من أسر العدُو معاشراً لولاكَ ما عرفُوا الزمَان فِداءْ
كانوا عبيد نِداكَ ثم شريْتَهم فغدوْ عبيدَكَ نعمة وشراءْ
يوم غدا فيه سماحَك يعتقُ الـ أسراء منك ويأسرُ الأمراءْ

يذكر الببغاء وقعة بين سيف الدولة وبعض العرب ، وقد تغلّب عليهم سيف الدولة بقوة سيفه .

أبدع أبو الفرج الببغاء في الوصف ، فقد وصف بركة ملئت وردا (٢) وقدح ياقوت أزرق (٣) ، وصف الكانون (٤) ، وله من وصف شمعة(٥):

وَصفر كأطرافِ العوالِي قُدودُها قيامٌ علىَ أعلَىَ كراسٍ منَ الصفْر
تَلَبّسْن من شمْس الأصيل غلائلاً فأشرقنَ بالظّلْماءِ بالخلَع الصّفْر
عَرائسُ يجلوها الدُجى لممَاتها ويحْيا إذَا أذرتْ دُمُوعاً من التبر
تبكىّ علىَ أحشائها بجُسومها فأدمُعُها أجسَامُها أبداً تجْري

١- التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج ١ ، ص ٢٨١
٢- التنوخيّ : نشوار المحاضرة، ج ٧، ص ١١٢
٣- التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج٧، ص ١٠٩
٤- التنوخيّ : نشوار المحاضرة، ج ٢، ص ٣٠٥
٥- التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج ٢ ، ص ٣٠٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب- النثـــــــــر :-

قسم النثر في ذلك العصر الى قسمين (١) :-
أحدهما :السلطانيات ، وهي المكاتبات الرسمية التي تصدر من عامل إلى عامل ، أو من وزير إلى عامل وغيرها .

والثاني : الإخوانيات ، وهو ما يصدر من صديق إلى صديق ، أو من أستاذ إلى تلميذ أو من تلميذ في المسائل الخاصة .

أعلام الكـــتـــاب :-

ازدهرت الكتابة في القرن الرابع الهجري ، وزاد الكتاب بشكل ملحوظ ويذكر التنوخي في مصنفاته أخبارا لعدد من الكتاب ، منهم :-

أبو عبد الله بن ثوابة (ت ٣١٢ هـ) (٢) :-

محمد بن جعفر بن ثوابه ، القائم على ديوان الرسائل لعهد المقتدر وكان نهاية في حسن الكلام ، والكتبة (٣) .

وقد خلف محمد بن جعفر بن ثوابه ابنه أحمد منذ سنة ٣١٢هـ ، وظل على ديوان الرسائل من بعده إلى أن توفي سنة ٣٤٩هـ (٤) ، فخلفه أبو إسحاق الصابي (٥) (ت ٣٨٤ هـ) .

أبو إسحاق الصابي :-

إبراهيم بن هلال بن إبراهيم بن زهرون الصابي ، نابغة كتاب جيله تولي الكتابة في الدواوين للدولة البويهية ، ومات على دين الصابئة وكان يحفظ القرآن (٦).

١- أحمد أمين : ظهر الإسلام ، ج ٢، ص ٩٦
٢- ياقوت الحموي : معجم الأدباء ، ج ٢، ص ٨٠
٣- التنوخي : نشوار المحاضرة، ج٤، ص ٤١
٤-شوقي ضيف : العصر العباسي الثاني ، ص ٥٦١
٥-ياقوت الحموي : معجم الأدباء ، ج ١، ص ٣٢٤-٣٥٨
٦- ياقوت الحموي : معجم الأدباء ، ج١، ص ٣٢٤-٣٥٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان أبو إسحاق الصابي يلي ديوان الرسائل في بغداد أيام معز الدولة ولما ورد عضد الدولة بغداد في عام ٣٦٤هـ اختص به أبو إسحاق فاستعطف الوزير ابن بقية عندما اعتقله بختيار بهذين البيتين :-

أيا ناصرا للدين والدولة التـــى ... رددت إليها العز إذ فـــات رده
أيعجزك استخلاص عبدك بعدما ... تخلصت مولاك الذي أنت عبده

وأرسل الصابي إلى صديق له رقعة ، وقد زوج أمه ، كتب له فيها (١) :
" قد جعلك الله ، وله الحمد ، من أهل التحصيل ،والرأي الأصيل ، وصحة الدين ، وخلوص اليقين ، ... فانك جدعت أنف الغيرة لـها ، وأضرعت خد الحمية فيها ، ونفسك لرضاها ، وعصيت هواك لرأيها ، فنحن نهنئك بعزيمة صبرك ، ونعزيك عن فائت مرادك ، ونسأل الله الخيرة لك ، وأن يجعلها أبدا معك ، فيما شئت وأبيت ، وتجنبت وأتيت ، والسلام " (٢) .

الكاتب أبو العباس سهل بن بشر (ت ٣٦٤هـ) : (٣)

كان عاملا على الأهواز في عام ٣٥٩هـ (٤) ، وفي عام ٣٦٣هـ قبض عليه بختيار ، وقلده الأهواز رئاسة بعد ما أطلقه عام ٣٦٤هـ (٥).

وكان سهل بن بشر ، ممن ارتفعت رتبته في الدولة الديلمية ،وعلت درجته ومنزلته ، " وكان دأبه تغليظ الكتاب ، والرد عليهم ، وتغيير كتبهم التي ينشرونها عنه " (٦)

١- التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ٣، ص ٢١١
٢- التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ٣ن ص ٢١١
٣- ابن مسكويه : تجارب الأمم ، ج ٢: ص ٣٥٧ ، ص٣٦٢
٤- التنوخي : نشوار المحاضرة، ج ٣ن ص ٢٤٤
٥- ابن مسكويه : تجارب الأمم ، ج ٢، ص ٣٥٧-٣٦٢
٦- التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج ٧ ، ص ١٧٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن مواقفه مع أحد الكتاب كما يخبرنا التنوخيّ ، أنـــــه قال لأحدهم : " ويلك ، لم يجب أن تفضّل في هذا الموضع ، هذا التفضيل الواسع ، كان يجب أن يكون بقدر ما تسلكه نملة ، وقد جعله بحيث تسلكه حيـة ، أبش حيّة با شاة ، أبش شاة بل دابة ، أبش دابة بل جمل ، أبش جمل بل فيل ، أبش فيل بل كركدن " (١) .
ثم خرّق الكتاب ، ورمى به .

وله من المواقف السيئة مع كتابه الكثير ، مما يتنافى مـــع أخلاق الكتاب (٢) .

الحسن بن بشر الآمدي (- ٣٧٠هـ) (٣) :-

كان مولده في البصرة ، وأخذ عن الأخفش ، والحامض ، والزجاج وابن دريد ، وابن السّراج ، وغيرهم (٤).

وكان يكتب بمدينة السلام لأبي جعفر هارون الضبـي (٥) ، بحضرة المقتدر ،ووزرائه ، ولغيره من بعده ، وكتب بالبصرة لأبي الحسين أحمـــد ابن المثنى ، وكان كثير الشعر ، حسن الطبع ، جيّد الصنعة ، مشتهراً بالتشبيهات (٦).

و لم يتحدث التنوخي في مصنفاته عن أبرز كتاب القرن الرابع الهجري من أمثال التوحيدي،و الهمذاني .

١- التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج ٧، ص ١٧٩
٢- التنوخيّ : النشوار ، ج ٧، القصص ١٠٦ ، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩ ، ١١٠، ١١١
٣- الحمويّ : معجم الأدباء ، ٥٤/٣
٤- التنوخيّ : النشوار ، ج ٤، ص ٤٧
٥- الضبيّ : أبو جعفر هارون بن محمد بن هارون الضبيّ ، كان أسلافه ملوك عمان ، وكان مبرزاً في اللغة والأدب والشعر وتوفي سنة ٣٣٥هـ (المنتظم ٣٥٦/٦)
٦- التنوخيّ : النشوار ، ج ٤، ص ٤٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل السادس

سمات أسلوبية في مصنفات التنوخيّ
البناء القصصيّ
العناصر القصصية

****

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كان التنوخيّ من كتاب القرن الرابع الهجريّ ، كما أشرنا من قبل، وفي هذا العصر تنوّعت موضوعات الكتابة وتعددّت ، فاختلفت الأساليب تبعا لذلك .

و مصنّفات التنوخيّ التي تناولتها هذه الدراسة ، كتب أدبيَّة ، وقد أشرنا في الفصل الأوّل من هذه الدراسة إلى المنهج الذي انتهجه التنوخيّ في تأليف مصنّفاته ، ويتّضح من مصنّفاته سمات أسلوبه:-

أ ـ عرض الأخبار (١) **:-**

كانت طريقة عرض التنوخيّ للأخبار والحكايات ، وانتقاله من موضوع إلى آخر على منهجين أحدهما : -

- إيراده الأخبار التي تدور حول موضوع واحد أو متقارب ، وفي هذه الحالة لا يشعر القارئ بفجوة أو انقطاع ، وهذا كما في " الفرج بعد الشدّة " ، إذ قسّم الكتاب إلى أربعة عشر بابا ، كلّ باب يحتوي على أخبار ذات موضوع واحد .
- وثانيهما : عرضه الأخبار من غير أن يكون بينها أي رابطة أو صلة بل ترد بشكل أخبار مترادفة يتلو بعضها بعضا . مثل خبر من يقتل عشيقته فيفترسه الأسد (٢) ، ويليه خبر من حلف بالطلاق،ولا يشيع جنازة (٣) .
- واعتمد التنوخي المزج بين الشعر والنثر في مصنّفاته الثلاثة ، فكانت خليطا من الشعر والنثر ، ولكنه في القسم الأخير من كتاب " الفرج بعد الشدة " اقتصر على رواية بعض المقطوعات الشعريّة ، ولم يمزجها بأخبار أو حكايات نثريّة (٤) .

١- بدري محمد فهد : القاضي التنوخيّ وكتاب النشوار ، ص ٨٤-٨٦
٢- التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج ١ ، ص ١٤٢-١٤٧
٣- التنوخيّ :المصدر السابق نفسه، ج ١، ص ١٤٨-١٥٠
٤- التنوخيّ : الفرج بعد الشدّة ، ج ٥ ، ص ٥-١٠٠ ، الباب الرابع عشر

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كذلك تناول المزج بين موضوعات القصص ، فكان فيها أخبار من ثقافات الأمم الأخرى ، كالهندية والفارسيّة واليونانية ، وهذا يشير إلى اطّلاع المؤلف على مختلف الثقافات في عصره (١) .

- واعتمد التنوخيّ على تسلسل الأخبار وتتابعها أيضا ، ويتدرج بناء الخبر من البساطة (٢) الى التعقيد ثم البساطة ، ومثال ذلك أخبار ابن الجصاص ، وهي خمسة أخبار متتابعة (٣)

- وكان التنوخي ينتقل من خبر إلى آخر ، وقد تأتي الأخبار دون أن يجمع بينهما جامع أو رابط ، وقد جرّه هذا إلى سرد كثير من الأخبار التي لا قيمة لها ، ولعلّ شبه هذه الفوضى المتعمّدة في التأليف ، كانت نتيجة سيطرة القلق والخوف من التقلبات السياسية التي كانت سائدة (٤) .
- و في عرض التنوخي للأخبار ،يعتمد التعاقب السببي،و يعني العلاقة السببية التي تستدعي تقديم خبر آخر .وتتبدى هذه الطريقة في الأخبار التي تروي عادات الأمم الأخرى،كما في الخبر الذي يقدم معلومة عن قوم الهند،و عندهم أنهم إذا ماسوهم نجسوا(٥)
- أما فيما يتعلق بتسلسل الأخبار و تتابعها في "الفرج"،و "المستجاد"،فهما كتابان يندرجان فيما يعرف بالمصنفات الجامعةالخاصة،التي تضم الأخبار و ترتبها على أساس موضوعي .فالنظام الذي يجمع بين أخبارهما هو نظام الغرضي .

١- التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج ٨ ، ص ٢١٧-٢١٨ وغيرها
٢- خولة شخاترة : الخبر عند المحسن التنوخي ، ص ٤٩
٣- التنوخي : نشوارا لمحاضرة ، ج ١ ، ص ٢٥-٣٧
٤- سلوى درويش : المحسّن بن علي التنوخيّ ، ص ١٥٦
٥- التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج ٨، ص ٢١٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا بدَّ أن التنوخيّ اطلع على مجموعة قصص الأسمار التي انتشرت في ذلك العصر ، وقد يكون اطلع على كتب باللغة الفارسية فقد صرّح في النشوار بأنه كان يعرف الفارسية ، حيث يقول عن عضد الدولة أنه كان يخاطب أحد جلسائه بالفارسية، وهو يظن أن التنوخيّ لا يعرفها ، يقول التنوخيّ : (فقال له بالفارسية : وعنده أنني لا أعرفها : هؤلاء البغداديون مفتونون ، ومفسدون ،و متسوّقون) (١) وكذلك لا بُدَّ أن التنوخيّ كان مطلعاً على كثير من المؤلفات الأدبية وغيرها ، لأنه صرّح في المقدّمة قائلاً : (إنها ما سبقت إلى كتبٍ مثله)(٢) ، كُلّ هذا أوحى للتنوخيّ بالكتابة على نمطه، ولكن بقصص من الواقع التاريخيّ والاجتماعيّ ، مما تداولته الألسنة ودار في المجالس ٠

ومما يعزّز الظنّ بأن التنوخي قصد الكثرة والاستزادة ، أنّ " الفرج بعد الشدّة " احتوى كثيراً من القصص المتشابهة ، فمن أراد أن يتعزّى عن مصيبة أو محنة لا يحتاج إلى مئات القصص والأخبار لذلك ٠

١-التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج ٤ ، ص ٩٧

٢-التنوخيّ : المصدر السابق نفسه ، ج ١، ص ١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد كان قصده من جمعها ما اعتبره (من تغيّر الطبائع واستحالة الصنائع ، وموت الرجال ، وقلة الأموال ، وفقد الكمال ، في أكثر الأحوال ، وعدم الراغب في الحفظ لليسير من اللفظ ، ففضلاً عن الكثير وتواطئ الجمهور على هذه الأمور في هذا الزمان الصعب ، الكثير النوب القاطع بمحنة عن الأدب) (١) .

ويذكر التنوخيّ أنّ مصنّفاته (تصلح لمن قد فرغ من أكثر العلوم واشتهى قراءة ما يدلّه على أخلاق أهل الأزمنة ، وسننهم ، وطرائفهم وعاداتهم ، وأنّ يقايس بين ما نحن فيه وما مضى) (٢).

تمثل كتب التنوخيّ مرحلة تطوّر في تأليف الكتب العربيّة ، فقد أصبحت كتب القصص والأسمار مستقلة بمحتواها ، ولم تعد مبثوثة في ثنايا الكتب (٣).

وقد يستطرد التنوخيّ في سرد الخبر ، فيستغرق عدّة صفحات ، وقد يختصر فلا يتجاوز بضعة اسطر ، وهذه سمة تشترك فيها مصنّفات التنوخيّ جميعاً ، وكذلك الأشعار ، فقد تتجاوز عشرات الأبيات ، وقد تقتصر على البيت الواحد والبيتين .

وكان التنوخي يختصر الأخبار أحيانا إما لطولها أو لشيوعها بين الناس أو لتكذيبهم إياها ، فمن ذلك حديثه عن شراء الوزير المهلبيّ في ثلاثة أيام متتالية وردا بألف دينار ، وختم كلامه " وكان لذلك شرح طويل (٤).

وفي موضع آخر في أثناء كلامه على توزيع المقتدر لأنواع الطيب المخزون في دار الخلافة ، وكيف استعمل من قبل في الوحل الذي عملته أم المقتدر ، يقول التنوخيّ : "... وخبر الوحل مستفيض على ألسنة العوام فلا وجه للإطالة بذكره " (٥) ، ثم إنه اختصره ، ليس لمعرفة الناس به فقط بل لأنّ " أهل العلم والخبرة بأمور الخلافة وأخبارها يكذبون بذلك تكذيبا شديدا ، فلم أورده لهذا السبب أيضا " (٦) .

١- التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج ٣، ص ٨
٢- التنوخيّ : المصدر السابق نفسه ، ج ٣، ص ٨
٣- سلوى درويش : المحسّن بن علي التنوخيّ ، ص ١٥٧
٤- التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج ١، ص ٣٠٣
٥- التنوخيّ : المصدر السابق نفسه، ج ١، ص ٢٩٢
٦- التنوخيّ : المصدر السابق نفسه، ج ١، ص ٢٩٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد يختصر التنوخيّ الأخبار خوفا من الانسياق وراء أمور تفصيليّة فيثقل على القارىء ، ويخالف بذلك ما التزم به من التنقل من خبر إلى اخر.

وكان التنوخيّ يعلق على الأخبار التي يرويها موضّحا أو مؤكداً مثل تعليقه بقوله " ولقد شاهدتُ له مجلساً في شهر رمضان سنة ٣٥١ هـ ، كأنه من مجالس البرامكة ، وهو يقصد الوزير المهلبي ، ما شاهدتُ مثله قط قبله ولا بعده" (١).

وقد يضيف التنوخيّ معلومات جديدة عن ذلك الشخص أو الموضوع الذي علّق عليه، ومن ذلك ما أورده عن زماتة الوزير علي بن عيسى، قال: "ومن زماتة أبي الحسن علي بن عيسى وتحسنه أنه كان يحبّ أن يبيّن فضله في هذا على كلّ أحد " (٢).

إنّ التنوخيّ في تقديمه الأخبار سواء كانت مرتبطة بعضها ببعض أم منفصلة بعضها عن بعض ، وفي تعليقه عليها ،أظهر مقدرة فائقة في صياغة ما اشتمل عليه كتابه من مختلف الأخبار والقصص بعبارات فصيحة محبوكة الأطراف ، لا قلق فيها ولا اضطراب (٣).

ب- إسناد الروايات :-

واتبع التنوخي في معظم أخباره ، طريقة الإسناد في مستهلّ رواية الخبر ، ولجأ أيضا إلى صيغة الفعل المبني للمجهول في كتاب (المستجاد من فعلات الأجواد) مثل(قيل)(٤) و(رُوي) (٥)

١- التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج ١، ص ٦٩
٢- التنوخيّ : المصدر السابق نفسه، ج ١، ص ٥١
٣- زكي مبارك : النثر الفني في القرن الرابع الهجريّ ، ج ١، ص ٣٢٤
٤- التنوخيّ : المستجاد من فعلات الاجواد ، ص ١٨، وغيرها
٥- التنوخيّ : المصدر السابق نفسه ، ص ١٥، وغيرها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واستعمل التنوخيّ كلمة (حدّثني) (١) في الأخذ مباشرة عن رواته واستعمل كلمة (أخبرني) (٢) وذلك عند الأخذ عن الشيخ بالإجازة أو عند القراءة عليه .

ومن طرق الإسناد التي اتبعها جمعه أكثر من سند للخبر الواحد، مثال ذلك " حدّثني القاضي أبو الحسن علي بن أبي طالب بن القاضي أبي جعفر ابن البهلول قال : حدّثني أبي عن أبيه ، وحدّثني أيضاً أحمد بن يوسف الأزرق عن أبي جعفر ابن البهلول القاضي قال " (٣).

وكان يذكر اسم الشخص الذي يأخذ عنه بأشكال متعددة ، فيذكره مرة كاملاً ثم قد يذكره بعد ذلك مضيفا إليه كنية أو لقبا، أو يذكره مختصراً (٤) ومثال ذلك ابن البهلول التنوخيّ ، فقد ذكره القاضي المحسّن التنوخيّ تارة هكذا " حدثني أبو الحسن أحمد بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق البهلول الأنباري التنوخيّ " (٥) وذكره مرة أخرى هكذا " حدّثني أبو الحسن بن الأزرق " (٦) .

والتنوخيّ لا يتحرّج من تنبيه القارىء إلى أنه قد نسي اسم الشخص الذي يدور الخبر حوله ، أو مصدر الخبر (٧) : فمن ذلك قوله :" ذهب عني اسم القاص " (٨) ، أو قوله : " أسماه هو وأنسيته أنا " (٩) .

إنّ التنوخيّ لا يلتزم بطريقة المحدّثين ، بالرغم من كونه محدّثاً، وذلك يعود ، كما يرى د . بدري محمد فهد إلى الأسباب الآتية (١٠) :-

١- التنوخيّ لا يروي أحاديث نبوية ، بل أخباراً وحكايات .

٢-إنّ روايات التنوخيّ كانت عبارة عن حكايات في مجالس مختلفة، حاول نقلها كما جرت ودارت في تلك المجالس لتكون أكثر تشويقا .

٣-تُرك الالتزام بأصول الإسناد قبل عصره من قِبل المؤرّخين والأدباء،و لذلك يلتزم التنوخيّ بحرفية طريقة المحدّثين .

١- التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج ١، ص ٤١ ، وغيرها
٢- التنوخيّ : المصدر السابق نفسه، ج ١، ص ١٦٢، وغيرها
٣- التنوخيّ : المصدر السابق نفسه، ج ١، ص ٢٥٥ ، وغيرها
٤- بدري محمد فهد : القاضي التنوخيّ و كتاب نشوار المحاضرة ، ص ٩٢
٥- التنوخيّ : نشوار المحاضرة، ج ١، ص ١٥٣
٦- التنوخيّ : المصدر السابق نفسه، ج ١، ص ١٥٩
٧- بدري محمد فهد : القاضي التنوخيّ وكتاب نشوار المحاضرة ، ص ٩٣
٨- التنوخيّ : نشوار المحاضرة، ج ١، ص ٧٨
٩- التنوخيّ :المصدر السابق نفسه، ج ١ ، ص ٢٩
١٠- التنوخيّ : القاضي التنوخي وكتاب النشوار ، ص ٩٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن التنوخي متأرجح في مؤلفاته بين إثبات الأسانيد وضبطها، وإهمالها والتصريح بأنه نسيها أو أغفل ذكرها .

تطور الإسناد تطوراً مشهوداً مع التنوخي في كتابيه النشوار والفرج إلا أنه في المستجاد لم يلتفت إلى الإسناد أصلاً ، أو كان يسند الأخبار إلى مجاهيل أو يقتصر على عبارات من قبيل (حكي) و (قيل) و (روي) و (ذكر) ، وما جرى مجراها (١).

كان التنوخيّ يسقط الإسناد حين يكون الخبر شائعاً بين الناس، متداولاً في الكتب . ويهتم بالإسناد حين يكون الخبر غريباً ، فيحتاج إلى دعمه بالتعريف بالرواة أو ذكر مكان السماع وتاريخه ، أو تقديم معلومات تدل على سعة إطلاعه وطول باعه في العلم (٢).

١ـ التنوخيّ :المستجاد من فعلات الأجواد ، ص ١٦، ١٧ ، ١٨، ٢٥، ٣٤، ٤٣، ٤٤ و الفرج بعد الشدّة ، الجزء الاول ، ص ١٧٣، ١٩٨ ، ٢٠٢ وغيرها .

٢ـ محمد القاضي : الخبر في الأدب العربي ، دراسة السرديّة العربية ، دار الغرب الإسلامي ١٩٩٨ م ، ص ٢٠٣، ٢٠٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ج ـ الواقعية :-

اتبع التنوخيّ أسلوب " الواقعية " في الكتابة ، فهو يروي الأخبار كما سمعها ، أو كما هي على حقيقتها ، وقد أدّى به التمسك الشديد بنقل الحقيقة إلى ذكر كلمات وعبارات تخرج عن نطاق الذوق والحياء ، وكان يجدر به وهو القاضي المتديّن ، أن يتجنّب ذلك (١) .

واعتماد التنوخيّ "الواقعيّة " في سرد الأخبار والحكايات ، جعله يبتعد عن الاستعانة بالتشبيهات والاستعارات والكنايات ، إلاّ ما جاء عفو الخاطر ،و قد تمرّ الصفحات تلو الصفحات دون أن نرى استعارة أو كناية ، فإذا وُجدت ، نراها لا تبعد عن الواقع كثيراً ، مثل قوله عن رجل غنيّ :"أيّ بيت مال يمشي على وجه الأرض ؟ ألفا ألف دينار تمشي وليس لها من يأخذها " (٢) . وقوله :" إنّما أنت الدنيا ، ونحن طرق إليك " (٣) .

وعلى الرغم من أن عصر التنوخي كان عصر الإنتاج الذهبيّ لمختلف العلوم ، وعلى الرغم مما ذكره التنوخي عن ميله للاعتزال ، وذلك بقوله عن أحد الأشخاص " وكان من أصحابنا في المذهبين ، يعني الفقه مذهب أبي حنيفة، وفي الكلام مذهب أهل العدل والتوحيد "(٤) ، وقوله : "كان إسماعيل الصقار البصريّ ، أحد شيوخ أصحابنا المعتزلة " (٥) فإنّ التنوخيّ لم يتعرّ ض لأفكار فلسفية أو منطقيّة ، وكذلك لم يتعرّض للجدل والمجادلات في قصصه .

إنّ شخصيات التنوخيّ في أخباره وحكاياته معظمها من صميم الواقع والتاريخ ، وممّن عاصرهم التنوخيّ نفسه ، واتصل بهم اتصالاً مباشراً ومنهم القضاة ، والكتاب ،والشعراء ، والوزراء وغيرهم .

حرص التنوخي على أن تكون الكتابة مشدودة إلى المرجعيّة الواقعيّة فهو يسعى في كتابه " الفرج بعد الشدّة " إلى تأصيل مسألة الفرج بعد الشدة في الواقع اليومي ، نافياً أن تكون ضرباً من ضروب الخيال والخوارق،و

١- نشوار المحاضرة ، ج ٦، ص ٢٤٥، وغيرها من الحكايات
٢- التنوخي: المصدر السابق نفسه، ج ١ ، ص ٣١
٣- التنوخيّ : الفرج بعد الشدّة ، ج ١، ص ١٦٩
٤- التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج ١، ص ٩٥
٥- التنوخيّ :المصدر السابق نفسه، ج٢، ص ٢٠٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يؤكد التنوخي أن ما يرويه من صميم التجارب التي قد حصلت لأناس عديدين على اختلاف فئاتهم ومراتبهم في المجتمع ، فيه من الثوابت الخالدة في حياة البشر عامة . وبسبب من ذلك ألفينا التنوخيّ يدعم المنحى الواقعي معرّفاً الأشخاص الذين اخذ عنهم الخبر في دقائق وجزئيات تبدو ثانوية لدى القارئ(١) .

د ـ لغة التنوخيّ :-

استجابت اللغة للتنوخيّ ، وطاوعه البيان ، فهو يملك قدرة مكنته من صياغة مختلف الأخبار والقصص .

كان التنوخيّ يدقق في اختيار ألفاظه ، فقد كان ينتقي ألفاظه لتتناسب الموضوع والفكرة ، ونجد الإبهام يقع في الجملة التالية التي أخطأ النّساخ بها :" وإنّما يلحق الآن الضرر من المعارف ، ومن يقع عليه اسم الأخوان ،و ذلك أنهم يطالبون في المودّة بما لا يفعلون مثله ، فإن أسدى إليهم إحسانا ، عرف طبعه ، فهي العداوة الثقيلة " (٢) . فيقع الإبهام في الجملة الأخيرة ، حيث أن النساخ لا شكّ أبدلوا هذه الكلمات بالكلمات الأصلية .

وهذا لا يعني أنه لا توجد الكلمة المناسبة للاستبدال إذا شاء من شاء ذلك ، ولكنّها ستبدو نافرة في موضعها لأنها ليست بقلم المؤلف (٣).

ومن سمات التطور الذي طرأ على اللغة آنذاك ، أنّ اللغة الفصحى لم تعد لغة الحوار والتخاطب الوحيدة ، بل نشأت لغة حوار جديدة محرّفة عن اللغة الفصحى ، وهي ما تُعرف بـ " العاميّة " .

سجّل التنوخيّ في مصنّفاته بعض الكلمات التي شاع استعمالها ، وما تزال مستخدمة مثل كلمة(إيش) (٤) ، وكلمة (برّا) (٥) ، وكلمة (شال) (٦) .

١- البشير الوسلاتي : القصّ في أخبار الفرج بعد الشدّة ، حوليات الجامعة التونسية ، تونس ، ع٤١، ١٩٩٧م ص ١٠٨

٢- التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج ٢، ص ٢٥٣ ، جملة (عرف طبعه ، فهي العداوة الثقيلة) غير مفهومة وغير مترابطة مع سياق الكلام .

٣- سلوى درويش : المحسّن بن علي ، ص ١٥٦

٤- التنوخيّ : الفرج بعد الشدّة ، ج٢، ص ٨٦

٥- التنوخيّ :المصدر السابق نفسه ، ج ٣، ص ٣٨٣

٦- التنوخيّ : المصدر السابق نفسه ، ج ٢، ص ٤٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن مظاهر التطوّر آنذاك ، ما طرأ على اللغة من إدخال كلمات فارسيّة ويونانية ، ذكرها التنوخيّ في كتبه مثل : (جامة)(١) و(روزانة) (٢) و(جهبذ) (٣) ، و(روشن) (٤) ، و(فالوذج) (٥) و(سفاتج) (٦) و (لوزينج) (٧)، ومن الكلمات اليونانية (بطرك) (٨) و(إسطرلاب) (٩) .

***البناء القصصيّ وأهم العناصر القصصيّة في مصنّفات التنوخيّ :-**

يحار القارىء في تصنيف القصص في كتاب الفرج بعد الشدّة والنشوار فهي باستثناء الأدعية ، وبعض أمثلة الوعظ ، والاقتباسات الشعرية ، تشغل حوادث التاريخ وشخصيّاته الحيّز الأكبر من مصنفاته ، وهي في بعضها أو ربما جلّها أقرب إلى الأخبار منها إلى القصص ، وحتّى ما نعدّه من القصص ، يعسر علينا تصنيفها ضمن نوع من أنواع القصص : التاريخّي، الديّني ، الاجتماعي الخيالي ...

ولهذا لا بدّ التمييز بين مصطلحات الخبر ، والقصة والحكاية ،و هذا التقسيم الفني لا يتواطأ على الصلة بالتاريخ ، أو الواقع ، وإنّما يعتمد على التشكيل الفنيّ للمادّة .

إنّ القصة تروي خبراً ، ولكن لا يمكن أن نعتبر كلّ خبر أو مجموعة من الأخبار قصة . فلأجل أن يصبح الخبر قصة يجب أن تتوفر فيه خصائص معينة ، أوّلها أن يكون له أثر كلي ، وأن يكون للخبر بداية ووسط ونهاية ، أي أنّه يصوّر ما يُسمّى الحدث . وينتهي إلى لحظة التنوير ، أو ختام يمنح الحادثة مغزاها (١٠) ، أما الحكاية فهي مجموعة من الحوادث مرتبة ترتيباً زمانيا (١١).

١- التنوخيّ : الفرج بعدالشدّة ، ج ٣ ، ص ٣٧
٢- التنوخيّ : المصدر السابق نفسه، ج٣، ص ٣١٨
٣- التنوخيّ : المصدر السابق نفسه، ج٢، ص ٩٠
٤- التنوخيّ : المصدر السابق نفسه، ج١، ص ٦٩
٥- التنوخيّ : المصدر السابق نفسه ، ج٣، ص ٣٦
٦- التنوخيّ : المصدر السابق نفسه، ج٣، ص ١٨٦
٧- التنوخيّ : المصدر السابق نفسه، ج٢، ص ٣٠٢
٨- التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج١، ص٥٣
٩- التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج٢ ، ص ٣٣٢٠
١٠ـرشاد رشدي: فن القصة القصيرة ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٦م، ص١٥ـ٢٠
١١ـفورستر:إدوارد مورجن : أركان القصة ، ترجمة كما دعياد جاد ، القاهرة ، دار الكرنك ، ١٩٦٠م،ص١٠٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والحكاية في البناء القصصيّ تعني التتابع الزمنيّ للحوادث الجزئية وكأنها جواب عن سؤال يتكرّر : " فما الذي حدث بعد ذلك ؟" ولكن حين توصف بها حادثة بكاملها ، فيقال : إنها تنتمي إلى جنس الحكاية. كما أن "الحكاية " لا تحرص على العنصر الإنساني فهي تتحرك في عوالم الحيوان ، والجانّ ، وتصوّر فعل الخوارق والسّحر وما يقترب من هذه الأجواء بعكس القصة (١).

قبل اكتشاف مجموعة الأسس الفنية التي أثرها الكاتب فيما أورد من قصص ، سنسلّم بأنه ليس مؤلف هذه القصص ، فهو يذكر مصدرها وسلسلة رواتها قبل نصّها .

- **الأحـــــــــداث :-**

تسير الأحداث في قصص التنوخيّ في " الفرج بعد الشدّة "،و فق نمطٍ واحد متوقع بدءاً من عنوان الكتاب ، إذ ترد " مُجمل أخباره وفق بنية مخصوصة تعدّ من أظهر علامات القصّ وأكثرها شيوعا،و نعني بذلك ابتداءها بتوازن يليه اضطراب، ثم يعقب ذلك توازن جديد ليس شبيها بالتوازن الأوّل " (٢) .

وفي " المستجاد من فعلات الأجواد " نلمح أيضاً من العنوان ما تدور حوله هذه القصص والأخبار ، فالكرم هو موضوعها الرئيسيّ، أما في " نشوار المحاضرة " فقد اتبع التنوخي طريقة موسوعيّة ،و "أو قد كلّ ما احتطب " على حدّ عبارة أحد الباحثين (٣) بالرغم من أنّ أخباره ليست متداولة أو متقادمة ، إذ هو اقتصر على ذكر أخبار من عاصرهم (٤).

١-محمد حسن عبد الله : كتاب الفرج بعد الشدّة ، ص٨١

٢-الوسلاتي : القص في أخبار الفرج بعد الشدّة ، ص ١١٠

٣-شارل بلاّ : النثر العربي ببغداد ، حوليات الجامعة التونسية ، العدد ٢٤، سنة١٩٨٥م ، تعريبة محمد العجمي

٤-التنوخيّ : نشوار المحاضرة ، ج ١، ص ١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والقاضي التنوخي استطاع بكتاباته في مجال النثر الفني ، أن يدفع بمسار السّرد العربيّ القديم نحو الاكتمال مستفيداً من تجارب السابقين لا سيّما أنه عاصر فترة متأخرة فتحت له سبل الإضافة (١).

*** عنصر التشويق والمفاجأة :-**

بالرغم من النمطية التي جرت عليها الأحداث في سيرها وتسلسلها إلاّ أن ذلك لا يفقدها عنصر التشويق ، ويمكن أن نعدّ من عناصر التشويق في قصص التنوخيّ(٢) :-

١- بدء القصة من نهايتها ، وهو أرقى فنيّاً من صياغتها و فق التتابع الزمني الأصلي ، وهناك قصص كثيرة تبدأ من النهاية ، كما في قصة "تاجر خراساني يجد الفرج عند صاحبه الكرخي " (٣) . وحيث تبدأ أحداث القصة من النهاية ، ويرويها تاجر كرخي ، وهو أحد أبطال القصة حيث كان يتعامل مع تاجر خرساني ، فتأخر عليه هذا الخرساني في سنة من السنين ، وافتقده ولحقه الدين ، فخرج يتبع أمره في وقت الحج ، فوجد هميانا (حزام عريض يودع في باطنه المال ويشد على الوسط) مملوءا بالدنانير ، انتفع بها ،وعاهد الله أن يتبين صاحبها في موسم الحج القادم ويردها له ، وفي يوم من الأيام أقبل عليه رجل يغلب عليه الفقر ، فلما تبين حاله ، فإذا به صاحبه الخرساني ، وهنا تبدأ البداية الحقيقية للقصة ، حيث يكشف أن صاحبه الخراساني هو صاحب الهميان ، وتظهر المفاجأة في وجود حجر ياقوت أحمر في أسفل الهميان ، وقد كانت لأمير بلده ، أرسله بها للخليفة ، فلما ضاع الهميان ، وعجز عن سداد حقها للأمير ، سلبه جميع ماله وألحق به الضيم .

١- عبد الله إبراهيم : السّردية العربية ، بحث في البنية السّردية للموروث الحكائي العربي ، ط٢ ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات ، ٢٠٠٠ م .

٢- محمد حسن عبد الله : كتاب الفرج بعد الشدة ، ص ١١٧

٣- التنوخيّ : الفرج بعد الشدّة ، ج ٢ ، ص ٣٦٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- ويمكن أن نعد المصادفة عنصرا من عناصر التشويق ، ووجودها بمنزلة تسلل لملامح الحكاية الشعبية في القصة الفنية،و " هناك مصادفات اختيرت بذكاء ، وقام عليها البناء الفني بأكمله ، ولم نشعر بأنها مصنوعة أو زائفة " (١)٠ كما في قصة " الرشيد يمضي ما تعهد به وزيره جعفر البرمكي في مجلس انس " (٢)،حيث اجتمع جعفر البرمكي وإسحاق بن إبراهيم الموصلي في مجلس أنس، وقد طلب جعفر من الحاجب ألا يدخل عليهم أحد إلا(عبد الملك) ،يعني رجلا كان يأنس به ، فجاء (عبد الملك بن صالح الهاشمي) وغلط الحاجب فأدخله ، وقد استاء جعفر في بادىء الأمر ثم طابت نفسه بالرجل ، فكانت هذه المصادفة بتشابه الاسمين ، ومجيء الرجل فجأة ، سبيلاً لخلاصه من الدين ،و قضاء حوائجه ليس عند جعفر فحسب ، بل عند الرشيد ، حيث كلمه جعفر بشأنه ٠

وترجع بعض مظاهر التشويق في قصص التنوخيّ إلى " عنصر المفاجأة في الانتقال من حدث إلى آخر ٠ والى التشابك في البناء بموجب الشدائد المركبة ، إذ إن الشدة لا تولد حتما الانفراج ، بل تنتج عنها شدة أخرى من شأنها أن تنتج تضمينا قصصياً ، وتنويعاً في أجواء القص ٠٠٠" (٣)٠ وخير مثال يمكن أن نمثل به هنا ، قصة من " أضاع هميانه في طريق الحج " (٤) ، وقد كان تاجرا مقتدرا ، توالت عليه المحن فافتقر وهرب من بلده ،وقد كثرت عليه الديون، إلى إحدى القرى ، وأصاب زوجته الطلق ، فخرج يبحث لها عن شيء تقتات به ، فوجد بقالاً رحمه وأعطاه حلبة وزيتاً في غضارة ، وكانت ليلة مطيرة متطيرة زلق وهو يمشي وانكسرت الغضارة ، فأخذ الرجل يبكي ويصيح بصوت عال ، وقد بلغ منه الهم مبلغه فخرج إليه رجل ، وقد انزعج من بكائه ، فسأله عن أمره ،فلما أخبره عن حاله ، كانت المفاجأة أن هذا الرجل هو الذي وجد الهميان، فأعانه حتى فرج الله عليه ، وإذا ما حاولنا أن نمثل لهذه القصة برسم تخطيطي للأحداث كما وردت في القصة ، بحيث يمثل الاتجاه الأفقي تأزم الأمور واشتدادها ، ويمثل الاتجاه الرأسي الحلول ، سيتبين لنا مدى التشابك والتداخل بين الأحداث :

١- التنوخي :الفرج بعد الشدة ، ج ١ ، ص ٣٦٢

٢- انظر كتاب الفرج بعد الشدة للتنوخي (٣٦٢/١)

٣- الوسلاتي :القص في أخبار الفرج بعد الشدة(مرجع السابق) ص ١٢١

٤-انظر كتاب الفرج بعد الشدة للتنوخي (٣٧٣/٢)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

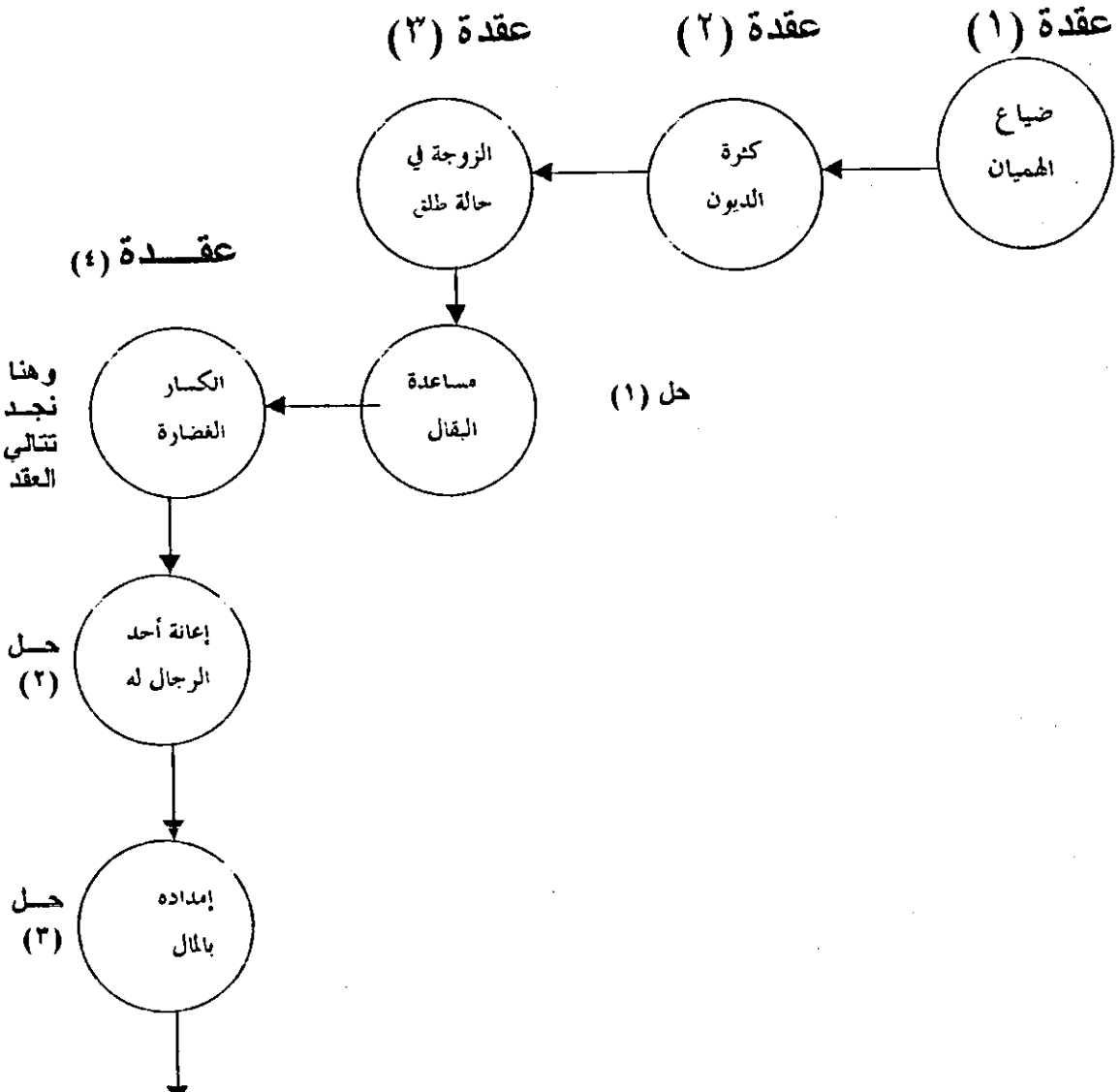

ظهور الحل (١) ترجع الأمور في التأزم ، ثم تبدأ بالإنفكاك التدريجي ، إلى أن يحصل على
ن الذي فقده .

د البناء القصصي يكاد يكون مرسوما بدقة ، فالحلول تأتى مرتبة بشكل تصاعدي لتعالج
مرتبة تنازليا :-

(٤) ← عقدة (١)
(٣) ← عقدة(٢) أو
، (٢) ← عقدة (٤)
نا يبدأ التشابك والتداخل)
، (١) ← عقدة (٣)

عقدة (١)
عقدة (٢)
عقدة(٣) ← حل(١)
عقدة(٤) ← حل(٢)
حل (٣)
حل (٤)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشخصيات :-

تتميز أخبار التنوخيّ بحضور مكثف للشخصيات، وقصة الشخصية : هي قصة " ليس لها بطل معين أو شخصية محورية تستقطب حولها الشخصيات الأخرى والأحداث ، ولا ينتظمها سلك واحد ولا يثيرها عمل خاص ، تشترك في تأديته جميع العناصر الأخرى في القصة . وشخصياتها لا تعتبر جزءاً من الخطة العامة التي يحيك المؤلف خيوطها ، فكل شخصية مستقلة بذاتها ، وهي تسيطر على الحوادث فتحركها تبعا لرغباتها ،ووفقا لحركاتها وخططها . وهذا يعني أن السيادة فيها للشخصية... أما الحوادث هنا ، فإنها تتتابع لتوضح معالم الشخصية، ولتتقب عما خفي من صفاتها، أو لتقدم لنا شخصية جديدة تدفع بها إلى مسرح القصة ، وليس من شأنها أن تطور الشخصيات، أو تضيف إليها صفة جديدة ... " (٢).

ويبدو لي أن القصة في كتاب التنوخيّ أقرب إلى أن تكون قصة الحدث منها إلى قصة الشخصية، لا سيما إن عرفنا أن قصة الحدث هي التي يسلط فيها الضوء على الحوادث ، ولا يهتم كاتبها " بالشخصيات في ذاتها ، بل يهتم بما سيحدث لها على صفحات القصة ، وكذلك لا ترتبط الحوادث ارتباطا وثيقا بالأمكنة والمواضع التي تجري فيها ... أما الشخصيات ، فإنها تسخر لتعقيد الحوادث وتوليدها ، وليس لها قيمة خاصة في ذاتها " (٣).

وذلك شأن قصص التنوخيّ ، حيث نجد أن فكرة الفرج بعد الشدة هي التي تسيطر على الأحداث ، واهتمام الكاتب منصب على الحدث الذي يبرز الشدة ومن بعدها الفرج ، بصرف النظر عن الأشخاص وعوالمهم ومما يؤكد ذلك ، عدم اهتمام الكاتب بتصوير الشخصيات أو الزمان والمكان ، فالمهم أولا وآخرا الحدث .

١- د. محمد نجم : فن القصة، بيروت ، دار صادر ، عمان ، دار الشرق ، ط ١ ، ١٩٩٦ م ، ص ١٢٠
٢- المرجع السابق ، ص ١٧-١٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونجد شخصيات قصص التنوخي تتفاوت في انتمائها إلى عالم الحقيقة أو الخيال (١) :-

- **فمنها الشخصيات الحقيقية التي تنتمي إلى الواقع** ، سواء الذي عاصره التنوخي، أو الذي يواصل معه عبر الرواية والسماع وفي هذا النمط من الشخصيات ، نجد انهم " انتموا إلى جميع الطبقات الاجتماعية وليسوا من علية القوم دائما " (٢) ، فقد يكون البطل خليفة أو وزيرا أو عالما أو شاعرا ، وقد يكون من عامة الناس المغمورين ، حدادا أو جمالا .
- **وهناك الشخصيات المستمدة من عالم الحيوان** ، " وهي تتجز في السرد أفعالا ووظائف لا تقل قيمة وجمالية عما أسند إلى الإنسان، " وقد أفرد التنوخي بابا بأكمله في الشدائد الناجمة عن حيوان مهلك ، وسماه " من شارف الموت بحيوان مهلك رآه ، فكفاه الله سبحانه ذلك بلطفه ونجاة " (٣) وفي الباب الثالث قصة بعنوان (أجار حية فأرادت قتله ، فخلصه جميل صنعه) (٤) ، نجد فيها أن الشخصيات الرئيسية في القصة ، الرجل العابد والحية .وهي قصة تدخل في باب الخيال .

- **نجد شخصيات تخيلية في بعض الأخبار**، تتمثل في صوت أو هاتف يهتف بالإنسان في حلم أو رؤيا في النوم ، وهي شخصية مستمدة من عالم ما ورائي ممعن في الخيال والغيب . ففي بعض القصص ، وقد ألم بالبطل حزن وهم ، نجد الفرج يأتي على لسان هاتف يهتف به (٥) . أو كتاب يقرأه لا يعلم له صاحبا أو هاتف يهتف به في المنام (٦) .

١- الوسلاتي : القصص في أخبار الفرج بعد الشدة (مرجع سابق) ، ص ١٠٠-١٠١-(بتصرف)
٢- محمد حسن عبدالله : كتاب الفرج بعدالشدة (مرجع سابق) ، ص ١١٦
٣- انظر الباب التاسع من الجزء الرابع من كتاب الفرج بعد الشدة ، للتنوخي ، تحقيق عبود الشالجي (مرجع سابق)
٤- انظر الفرج بعد الشدة (١٩٨/١)
٥- انظر المصدر السابق نفسه(٢٧٢/١)
٦- انظر المصدر السابق نفسه (٢٧٦/١) . كذلك انظر قصة (رأي في المنام ان غناه بمصر) ، (٢٦٨/٢)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأغلب الظن أن التنوخيّ كان يقصد إلى إبراز تلك الأخبار التي تتضمن هذا النوع من الشخصيات ، لأسباب دينية تتصل بموضوع الكتاب فهو إذ يحرص على إثبات حقيقة الفرج بعد الشدة ، وجعلها من المسلمات التي تتوافق مع سير القدر ، فهو يؤكد أن الأسباب ، ليس بالضرورة أن تكون مما يتوقعه الإنسان، لأن الفرج من الله ، وهو قادر على إحلاله بأي صورة يشاء ، سواء وافقت منطق الواقع والأشخاص ، أو لم توافقه .

ومع ذلك ، فقد حرص التنوخيّ على أن تكون شخصياته مشدودة إلى الواقع ، ونجد ذلك من خلال حرصه على ذكر السند ، تأكيداً لـ " تأصل مسألة الفرج بعد الشدّة في الواقع اليومي ، نافياً أن تكون ضرباً من ضروب الخيال والخوارق ، مؤكداً أنها من صميم التجارب التي قد حصلت لأناس عديدين على اختلاف فئاتهم ومراتبهم في المجتمع . فهي من الثوابت الخالدة في حياة البشر عامة لا سيما أنها مسألة مستمدة في الأصل من النص القرآني الكريم " (١) .

ومع اختلاف الأخبار إلا أن حضور الشخصية يكاد يكون ثابتا متوقعا من حيث العلاقات التي تربطها ، والتي توظف " لخدمة ثنائية الشدّة والفرج، فهي تتفاعل فيما بينها، إما لتعميق أزمة البطل، وتكثيف العقد المتسلطة، عليه وإما لإعانته على تجاوز الشدّة والإسراع بمصيره نحو الانفراج " (٢) ،ولا نعني بذلك تشابه الشخصيات أو الأحداث ، فهي متنوعة متعددة بلا شك،إلا أننا إذا نظرنا إليها نظرة تجريدية ، نجدها تتمثل في عنوان الكتاب " الفرج بعد الشدّة " ، فهذه الثنائية ، تحكم سير الأحداث وتصنيف الشخصيات . وبذلك يمكن تصنيف الشخصيات في كتاب الفرج بعد الشدة ، تصنيفاً كلياً من خلال هذه الثنائية على النحو التالي (٣) .

١-شخصيات رئيسية :-

وهي تتمثل في الظالم (البطل الفاعل) والمظلوم (البطل المفعول) على اختلاف عوالمهما ، فقد تكون من أحد العوالم الثلاثة سابقة الذكر.

١- الوسلاتي : القصص في أخبار الفرج بعد الشدة ، مرجع سابق ، ص ١٠٨

٢- المرجع السابق ، ص ١٠٤

٣- الوسلاتي : القصص في أخبار الفرج بعد الشدة ، (مرجع سابق) ، ص ١٠٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- شخصيات ثانوية :-

وهي الشخصية المساعدة لأي من الطرفين ، فهناك الشخصيات المعينة للظالم التي تمهد له وتعينه على ظلمه ، وهناك الشخصيات المعينة للمظلوم ورد الظلم عنه، هذا فيما يخص الفرج بعد الشدة . أما الشخصيات الثانوية في نشوار المحاضرة ، فهي التي تلعب دوراً في تسيير الأحداث الرئيسية ، سواء كانت أحداث سياسية أو اجتماعية أو غير ذلك .

- الزمـــــــان :-

أما حدود الزمان فهي واسعة ، لا يمكن حصرها في فترة زمنية محددة فإننا " نجد أخبارا وقصصاً تعود إلى العصر الجاهلي ،وأما اكثر ما في الكتاب فيرجع إلى عصر الراشدين ، وبني أمية ، ودولة بي العباس ، التي يفوز رجالاتها بأكبر نصيب،و مرجع هذا الاتساع الزمني،حرص القاضي التنوخي على جمع الأخبار والقصص التي تتوافق مع موضوع الكتاب ،ففي (الفرج بعد الشدة) كان يحرص على إثبات اطراد حقيقة دينية وهي أن بعد كل شدة فرجاً ، وأن لكل ضيق مخرجاً ، على مر العصور واختلاف الأزمان " . وفي الجملة فإن أخبار الفرج بعد الشدّة تمتد من العصر الجاهلي إلى عصر المؤلف، وعوداً إلى القرون السابقة حتى عصر ما قبل الإسلام " (١).

وبيان زمن القصة الواحدة قد يكون واضحا من خلال تحديد العصر أو الشخصية التي تنتسب إلى فترة زمنية معينة ، أما تحديد ساعة الحدث فذلك قليل نادر ، ولا نجده إلا من حيث قد يخدم الحدث ذاته ، كما في القصة التي سنتمثلها في الفصل اللاحق ، وفي أغلب القصص يكون تأزم الحدث مقترناً بالليل ، وكذلك حلول الفرج ، فكأن الليل هو أنسب الأوقات لتحاك فيه المكائد ، وفيه تنطلق أدعية المظلومين ، فيأتيهم الفرج .

وثمة أحداث تستغرق ساعة من الزمن لا تتعدى الحوار بين"الشخصية الفاعلة " ، و " الشخصية المفعولة " ، ينتهي بالفرج.

١-الوسلاتي : القصص في أخبار الفرج بعد الشدة (مرجع سابق) ،ص٩٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي المقابل نجد أن أحداثا تمتد عدة سنوات ، كما في قصة بعنوان (أسرة الروم في أيام معاوية وأطلقوه في أيام عبد الملك) (١) فالأحداث تمتد من عهد معاوية إلى عهد عبد الملك .

- **المكـــــــان :-**

وباتساع الزمان يتسع المكان في قصص التنوخيّ . وقد يحرص التنوخيّ على بيان مكان الحدث ، دون الخوض في تفاصيل المكان ووصفه كما تعمد القصة المعاصرة، وذلك يرجع إلى قصدية الكاتب ، التي تقف عند الحدث ، وإبراز الفرج بعد الشدّة ، دون الاهتمام بالزمان والمكان ، أو حتى رسم الشخصيات القائمة بالحدث .

كذلك لما كانت أغلب شخصيات قصص التنوخيّ تنتمي إلى التاريخ، وترتبط بأسماء الخلفاء ، فهو لا يعمد إلى بيان العصر أو المكان ، أما بيان توقيت الحدث فهو يرتبط بطبيعة الحدث ومدى تأثيره في سير الأحداث ، كذلك المكان ، فعندما يورد قصة(تاجر خراساني يجد الفرج عند صاحبه الكرخي) (٢) ، نجده يشير إلى المكان ، لتعدد الأمكنة في القصة، وتغير أحوال الخرساني من يسر إلى عسر في كل مكان بدءاً بخرسان إلى بغداد وتحديداً (الجزيرة التي بسوق يحيى) ، دجلة ، مكة (الخروج إلى الحج)

- **لغة القص عند التنوخيّ :-**

اللغة بلا شك هي انعكاس للأحداث ، وتصوير لحالة الأشخاص، وبذلك فان ما يسري من قول على الأحداث والشخصيات يسري على اللغة، حيث نجد أن " اللغة آخذة في الاحتدام والتشنج ، ترتد إثر ذلك إلى القرار الثابت المتناغم مع حالة الانفراج ، فهي موزعة بين عنف الشدّة واضطرامها ، وطمأنينة الفرج وسكونه ، تصاعد حركتها إلى أقصى درجات التعقيد ثم تأخذ في الانحدار إلى مستقر لها نهائي " (٣) .

١- انظر الفرج بعد الشدّة ، (١٩١/٢)
٢- انظر المصدر السابق نفسه (٣٦٨/٢)
٣- الوسلاتي : القص في أخبار الفرج بعد الشدّة ، (مرجع سابق) ، ص ١١٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والقـص عندالتنوخـي يـتراوح بيـن السـرد والحـوار ، أمـا السـرد فإنه"تتفاوت أحيانا ، لكن الفرق الحاسم بين لغـة قصـة ولغـة قصـة أخـرى يبدوإذا ما وزعنـا القصـص علـى أسـاس تـاريخي ، سـنجد أخبـارا جاهليـة وقصصا وكذلك أخبارا وقصصا إلى العصر الإسلامي ، أو العباسي ، على مراحله وسنجد التماسك والإيجاز ، واستخدام بعـض الكلمـات أو التعـابير الجزلـة قليلـة الانتشـار لكنـها لا تبلـغ حـد النـدرة أو الاسـتغلاق ـ مـا يمـيز القصص القديمة ويصل الأمر إلى العامية واستعارة الألفاظ من الفارسية في قصص العصر العباسي ...

وهناك آثار لهجية محدودة، نبه القاضي التنوخي إلى بعضها، مثل قـول أحدهم : كـن علـى الظلامـة ، يكررهـا دفعـات ، ويكسـر الميـم بلسـان أهـل الكوفة .(٢٣/١) كما يلجأ إلى المصطلحات المهنية ، والكنايـات الشـائعة لتجنب ما يتحرج من ذكره ، فيعـبر أحـد المغنين عـن ضياعـه وفقـره بأنـه صـار "أفلس من طنبور مقطع الأوتار " (٣٦٥/٢)" (١) .

ويـأتي السـرد متوافقـا مـع طبيعـة سير الأحـداث ، مـن تـوازن إلـى اضطراب ، ففي أحد الأخبار ، " يستهل متن الخبر بقوله : ورثت عن أبى مالا جليلا ، تمثل هذه الجملة القصصية حالة اسـتقرار وهـدوء ، ثـم يعقبـها حالة اضطراب بـإتلاف المـال وفقده : " فأسـرعت فيـه وأتلفتـه " ويفضـي نسيج السرد في النهاية إلى استعادة التوازن الذي استهلت به الحكايـة:"فأنـا أعيش من تلك الدنانير ، من فضل ما اتبعـت منـها مـن ضيعـة وعقـار إلـى اليوم " (٢) .

أما فيما يخص لغة الحوار " فقد وظف الحـوار توظيفـا فنيـا راقيـا ، لـم يكن مجرد عبارات متبادلة تفضي إلـى الكشـف عـن معلومـات كـان السـرد يستطيع الوفاء بها ، أن الحوار يكشف أصلا عن طوايا المتحاورين وخفايـا نفوسـهم ، ويعـبر فـي لغتـه وتركيبـه ، وعلاقـة العبـارات المتبادلـة بيـن المتحاورين على المستوى العقلي وطاقة الذكاء التي يملكها كل منهما ونجد قصصا اعظم ما فيها هو ما انطوت عليه مـن حـوار حيث تتجلـى الموهبـة الحقيقية للعقل العربي ، في سرعة استجابته ، وتلقائيته ، وقدرته

١- محمد حسن عبد الله : كتاب الفرج بعد الشدة ، (مرجع سابق)، ص ١٢١

٢- الوسلاتي : القص في أخبار الفرج بعد الشدة ، (مرجع سابق) ص ١١١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على إصابة المرمى في كلمات قليلة ، وإقحام المكابر أو المخالف ، من خلال الصدمة ، أو سقطة اللسان ، أو الاستدراج إلى حديث بعيد عن الموضوع " (١) ففي قصة من (ضاع هميانه في طريق الحج) ، يلعب الحوار دورا فاعلا في تسيير الأحداث باتجاه الفرج ، حيث يتعرف من وحد الهميان على صاحبة الأصلي ، إثر حوار دار بينهما ، تخللته أسئلة وأجوبة .

وبذلك نجد أن الحوار قام بوظيفة فاعلة في تنمية الحدث ، والتعبير عن طبيعة الشخصية ، وتجسيد الصراع في إطار الموقف . كذلك نجد بابا كاملا بعنوان " من استعطف غضب السلطان بصادق النظر ، أو استوقف مكروهة ، بموقظ بيان أو وعظ (٢) وفي اغلب قصص هذا الباب نجد أن الحوار يلعب دورا بارزا في تسيير الأحداث من الشدة إلى الفرج ،وثمة قصص لا تتعدى الحوار .

- **أسلوب عرض القصص في كتاب الفرج بعد الشدة :-**

تراوح أسلوب العرض بين السرد والحوار ، رغم أن " طريقة التقديم ظلت واحدة في مظهرها الخارجي، فما دامت القصص جميعا تبدأ بسلسلة، من الرواة ، في أولها من رأى موضوع القصة أو شارك فيه ، أو سمع به ، فإن القصص ستظل بهذه البداية ، ومع هذا فانه لم يكن من الضروري أن يكون الرواية هو نفسه البطل ، انه مجرد مشارك ، أو مشاهد ، أو ناقل أحيانا ، ولهذا استعمل ضمير الغائب ، بل قامت بعض القصص على ما يمكن أن يكون مشهدا حواريا ، لا يقوم فيه الوصف أو السرد بدور ذي بال" (٣).

ويمكن القول إن عرض القصة في الغالب يتوقف على حجمها ، فعندما تكون القصة قصيرة جدا بحيث لا تتجاوز بضعة اسطر ، يكتفي بالسرد ، أو بالحوار ، وكلما طالت القصة وراوح بين السرد والحوار ، إبعادا عن الملل والرتابة .

١- محمد حسن عبد الله : كتاب الفرج بعد الشدة ، (مرجع سابق)، ص ١٢٢

٢- انظر كتاب الفرج بعد الشدة ، ص ١٨١-٣١٠

٣- محمد حسن عبد الله : كتاب الفرج بعد الشدة . (مرجع سابق) ص ١١٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويمكن القول إن عرض القصة في الغالب يتوقف على حجمها ، فعندما تكون القصة قصيرة جدا بحيث لا تتجاوز بضعة اسطر، يكتفي بالسرد، أو بالحوار، وكلما طالت القصة وراوح بين السرد والحوار، إبعادا عن الملل والرتابة.

كذلك فإن عرض القصص كان ينحو منحى تدريجيا وفق المنحى الزمني الأصلي في الغالب، وثمة قصص تبدأ من النهاية، وكل ذلك يدل على ادارك التنوخي إلى طبيعة المتلقي، ورغبته في استمالته والتأثير عليه.

أما نشوار المحاضرة فقد غلب عليه الوصف الدقيق للأحداث السياسية والإجتماعية ، ونقل الأخبار الأدبية فيما يخص الحياة الثقافية .

****

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمـــــــــــة

لقد كان هدفي من هذه الدراسة أن أستخلص صورة المجتمع في القرن الرابع الهجريّ ، كمـــا ظهـــرت في مصنفـــات التنوخي الثلاثة ، (الفرج) ، و (المستجاد) و (النشوار) .

نخلص بعد هذه الدراسة المتواضعة إلى النتائج التالية :-

- بيّنت الدراسة أن القاضي المحسن التنوخي ، وُلد ونشأ في جوّ علمي ومعرفي واسع ، ونهل من ثقافة العصر ، وكان متقناً لعلوم العربية ، وقد بدأ التنوخي حياته قاضياً ، وبلغ مكانة عظيمة ، خوّلته أن يصبح نديما لعضد الدولة ، وقد تعرّض في حياته لمحن عديدة كانت سبباً في تأليفه لكتبه .
- بينت الدراسة أن التنوخي قد انطلق في مصنفاته من بعد ذاتي هو تجربة المحنة التي ظهرت في مصنفاته.
- بينت الدراسة أن للتنوخي هدفا إنسانيا نهو تدوين الموروث الإخباري و تخليده للاعتبار به
- كما بيّنت الدراسة ، أن مصنفات التنوخيّ ، تحوي أخباراً عن مختلف أصناف الناس وأجناسهم من خلفاء وسلاطين وشعراء ووزراء وقواد وتجار وغيرهم من أصحاب المهن والحرف بل إنّ التنوخي يكاد أن لا ينسى صاحب مهنة إلاّ وقدّم عنها أخباراً .
- وبيّنت الدراسة ، الحالة الثقافية في القرن الرابع الهجريّ ، من خلال ما رصده التنوخي من أخبار اللغويّين والنحويّين والشعراء المبرّزين في تلك الفترة ،ووجدنا أن التنوخي يولي القضاة عناية خاصة ويورد أخبارا ليست بالقليلة،وذلك لعمله في سلك القضاء .
- لم تسعفنا مصنفات التنوخيّ ، في الحديث عن الحياة الاقتصاديّة بشكل مباشر في القرن الرابع الهجريّ ، مما أدّى إلى الاستعانة بمراجع أخرى للقدرة على معرفة طبيعة الحياة الاقتصاديّة آنذاك .
- وأخيراً بيّنت الدراسة أن التنوخيّ لم يخرج عن سمات عصره الفنية كثيراً وتفرّد عنها ، بمقدرته الكبيرة على تصوير الأحوال الإنسانية والأوضاع المعاشة بلغة راقية وجمال في السرد والأداء،و تركز الحديث على الأخبار ،وكيفية عرض التنوخي لها بطرقها المختلفة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصـــــــادر

١-ابن الأثير : الكامل في التاريخ ،ط٣، القاهرة ١٩٦٤ م.
٢-الإربليّ ، عبد الرحمن سنبط قنيتو: خُلاصة الذهب المسبوك المختصر من سير الملوك ، تحقيق السيّد مكي السيّد جاسم ، ١٩١٤ م.
٣-التنوخيّ : الفرج بعد الشدّة ، تحقيق الشالجيّ ، دارصادر ،ط ٢ ، ١٩٩٥ م .
٤-التنوخيّ : الفرج بعد الشدّة ، يطلب من زكي مجاهد ، الصنادقية ، بجوار الأزهر ١٣٥٧ هـ _ ١٩٣٨ م .
٥-التنوخيّ : المستجاد من فعلات الاجواد ، تحقيق محمد كرد علي ، دار صادر بيروت ، ١٩٩١م .
٦-التنوخيّ : نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، تحقيق عبود الشالجيّ ، دار صادر ١٩٧٨ م.
٧-ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، في ملوك مصر والقاهرة ، دار الكتب العلمية بيروت ، ١٩٩٢ م .
٨-الثعالبي : يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، تحقيق محمد محيي الدين ، القاهرة ١٩٥٦م
٩-الجاحظ : البخـــــــلاء ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٦٠ م .
١٠- الجاحظ : البيان والتبيين ،تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٩٦٠م .
١١- الجاحظ : الحيوان تحقيق عبد السلام هارون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنحو ، القاهرة ، ١٩٦٠ م .
١٢- الحاحظ : رسائل الجاحظ (١١ رسالة) ، مطبعة التقدم ، القاهرة ، ١٢٣٤ هـ
١٣- الجاحظ : مفاخرة الجواري والغلمان ، تحقيق شار بلا، دار الكشوف بيروت ١٩٥٧ م .
١٤- الجرجاني : التعريفات ، طبعة اصطنبول ، ١٢٨٣ هـ .
١٥- ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ،طبعة حيدر أباد ١٣٥٧هـ
١٦-ابن حوقل : صورة الأرض ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٩ م.
١٧- أبو حيان التوحيدي : اخلاق الوزيرين ، تحقيق الأستاذ محمد الطنجي ، دمشق ١٩٦٥ م .
١٨- ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر ، ٧ أجزاء بولاق ، ١٢٨٤ هـ .
١٩- ابن خلكان : وفيات الأعيان ، تحقيق إحسان عباس،و يقع في ٧أجزاء
٢٠- الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد (١٤ جزءاً) ، مطبعة السعادة ١٩٣١ م .
٢١-الخوارزمي : مفاتيح العلوم ، القاهرة ، ١٩٣٠ م ، وطبعة فان فلوتن عام ١٨٩٥
٢٢-الدّمشقي : الإشارة إلى محاسن التجارة ، القاهرة ١٣١٨ هـ.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢٣-السيوطي : تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الأمة ، القاهرة ١٣٥١هـ
٢٤ - ابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ، تحقيق احسان عباس ، دار صادر .
٢٥- الصابي : تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء ، طبع البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٥٨م .
٢٦-الصولي : الأوراق ، القاهرة ، مطبعة الحلبي ، ١٩٥٨ م .
٢٧-الصفدي : الوافي بالوفيات، الاجزاء (١-٧) .
٢٨-الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، طبع دار المعارف بمصر ، عشر مجلّدات .
٢٩-ابن الطقطقى : الفخري في الآداب السلطانيّة والدول الإسلامية ، مكتبة المعارف ١٩٣٨ م .
٣٠-ابن العماد الحنبليّ : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٨٠ م .
٣١-ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ط (٢) ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٥٨ م .
٣٢-الغزالي : المنقذ من الضلال ، طبعة دمشق ، ١٩٣٤ م ، تحقيق جميل صليبا وكامل عيّاد .
٣٣-أبو فراس الحمداني : الديوان ، طبع صادر ، ١٩٥٥ م .
٣٤-ابن قطلوبغا : تاريخ التراجم في طبقات الحنفية ، مطبعة العاني بغداد ، ١٩٦٢م .
٣٥-ابن القفطيّ :تاريخ الحكماء ، ط ٣، القاهرة ، ١٩٦٤ م
٣٦-الماورديّ : الأحكام السلطانيّة و الولايات الدينية ، القاهرة ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي ، ١٩٦٠ م .
٣٧-ابن المُرتضى : طبقات المعتزلة ، عني بنشره سوسنة ديفلد ـ فلزر ـ بيروت ١٩٦١ م .
٣٨-المسعودي : مروج الذهب ، تحقيق محي الدين عبدالحميد ، طبعة الشعب ، القاهرة ١٩٦٦ م .
٣٩-ابن مسكويه : تجارب الأمم ، طبع بريل ـ سنة ١٨٦٩ م .
٤٠-المقدسيّ : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، طبع ليدن ، ١٩٠٦ م .
٤١- ابن منظور : لسان العرب ، دار إحياء التراث ، مؤسسة التاريخ العربيّ بيروت ، ١٩٩٣ م .
٤٢- النديم : الفهرست ، القاهرة ، المكتبة التجارية ، ١٩٢٩ م .
٤٣-هلال بن الصابىء : رسوم دار الخلافة ، تحقيق ميخائيل عواد ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٦٤ م .
٤٤-ياقوت الحمويّ : معجم الأدباء، طبعة إحسان عباس، ٧ مجلدات .
٤٥-ياقوت الحمويّ :معجم البلدان ، طبعة وستنفلد ، ٦ مجلدات .
٤٦-أبو يوسف : القاضي يعقوب بن إبراهيم ، كتاب الخراج ، بولاق ، سنة ١٣٠٢هـ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المراجـــــــــع

١-ابراهيم ابو الخشب : تاريخ الأدب العربي ، القاهرة دار الفكر العربيّ ، ١٩٦٠ م
٢-أحمد أمين : ضحى الإسلام ، القاهرة ، ١٩٦١م .
٣- أحمد أمين : ظهر الإسلام ، القاهرة ، مطبعة القاهرة ، ١٩٤٥م.
٤-آدم متز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجريّ ، جزءان ، القاهرة ، ١٩٤٠م .
٥-آدي شير : الألفاظ الفارسية المعّربة ، بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ١٩٠٨م
٦-بارتولد : الحضارة الإسلامية ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٤٣ م.
٧-بدري محمد فهد : القاضي التنوخيّ وكتاب النشوار ، بغداد ، المكتبة الأهلية ١٩٩٦ م .
٨-بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٤٨م.
٩-جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، القاهرة ، ١٩١١م ـ ١٩١٤ م.
١٠-حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، طبعة في مصر ، ط(٧).
١١-حسن الحاج حسن : حضارة العرب في العصر العباسيّ ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر التوّزيع ، بيروت ، ١٩٩٤ م.
١٢-خولة خليل شخاترة : الخبر عند المحسن التنوخي بين القص والتأريخ رسالة دكتوراة،جامعة اليرموك،اربد ٢٠٠٠ م
١٣-خير الدين الزركليّ : الأعلام ، دار العلم للملايين ، ١٩٩٠ م .
١٤-زكي مبارك : النثر الفني في القرن الرابع الهجريّ ، بيروت لبنان
١٥-سلوى عبد الفتاح درويش : المحسّن بن علي التنوخيّ رسالة ماجستير ،الجامعة الأردنية ١٩٩٤م .
١٦-شوقي ضيف : العصر العباسي الأوّل ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٥ م.
١٧-شوقي ضيف : العصر العباسي الثاني ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٥ م.
١٨-صلاح مدني : تاريخ الدولة العباسية سياسياً وحضاريا ، الرباط ، دار ا لمعارف ١٩٧٧ م.
١٩-عاطف شكري أبو عوض : الزندقة والزنادقة ، دار الفكر ، الأردن .
٢٠-عبد العزيز الدوري : تاريخ العراق الاقتصاديّ ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٤٨م
٢١-عبد اللطيف عبد الرحمن الراوي : المجتمع العراقي في شعر القرن الرابع الهجريّ ، مكتبة النهضة ، بغداد .
٢٢-عبد الله إبراهيم : السرديّة العربية، بحث في الفنية السريّة للموروث الحكائي العربّي ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات ، ٢٠٠٠ م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢٣-محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق من عهد نفوذ الأتراك الى منتصف القرن الخامس الهجريّ ، دار الفكر العربي .
٢٤-محمد حسن عبد الله : الفرج بعد الشدّة ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٩٩٣ م.
٢٥- محمد القاضي : الخبر في الأدب العربي ، دراسة في السرديّة العربية ، دار الغرب الإسلامي ، ١٩٩٨م .
٢٦-مصطفى صادق الرافعي : حضارة العرب في العصور الإسلامية الزاهرة بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، ١٩٦٨ م .
٢٧-مليحة رحمة الله : الحالة الاجتماعية في العراق في القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة ، بغداد ، ١٩٧٠ م .
٢٨-وداد القاضي : مجتمع القرن الرابع في مؤلفات أبي حيان التوحيدي،رسالة دكتوراة ، بيروت ١٩٦٩ م.

الدوريـــــــات

* تفسير الألفاظ العباسية في النشوار ، ص ٢٩٦ ، أحمد تيمور .
مجلة المجمع العلمي العربي : المجلد ٢ ، ٣ ، ١٩٢٢ م .

* حوليات الجامعة التونسية / تونس : ع ٤١ ، ١٩٩٧ م ، ص ٩٣ .
القاضي في أخبار الفرج بعد الشدة ، البشير الوسلاتيّ .

* طاقة أزهار من كتاب النشوار ، الأستاذ المغربّي .
مجلة لغة العرب ، المجلد ٤ ، ١٩٣١

****

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ABSTRACT

The Society during the 4 th century (Hijri) in Al-Tanookhi classification

By RULA M.H.AL-NAJJAR
Supervisor:
Prof .Dr. Abdel- Jaleel Abdel-Mahdi

The scope of this study deals with the picture of the Islamic Society in the 4th century (Hijri) during which Al-Tanookhi Spent his life .

The first part of this study dicusses the life and classifications of Al-Tanookhi Also it talks about the effect of his family and lecturers on his works .This part in addition ,shows the disasters which met Al-Tanookhi and how they participated in pushing him to write his both books : Al-Faraj Baad Al-Shiddah , and Nishwar Al-Muhadarah.

The second part talks about the political situation The 4th century (Hijri) is distinguished by two different stages .The Automan period and the Boeihin period .Al –Tanookhi works provided us with valuable information

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

about the Kalives ,princes and ministers of both stages , in addition to the internal crisis witnessed by the ABBASI period.

The 3rd part talks about the social life which has been given a good part of Al-Taookhi life where he concentrated on the abnormal richness and its effects on the Islamic society .He also talks about the religious trend during his life .

The fourth part deals with the economic situation in the 4th century (Hijri) including Agriculture , Trade ,and industry , in addition to the income and expenditures of the state .

The fifth part talks about the cultural life represented by giving us information about famous poets of that period as Abu Firas Al-Hamadani ,and Al-Mutanabi in addition to many grammarians and linguistic specialists .

The sixth and last part is merely a technical study to the method used by Al-Tanookhi .It discusses the narrative elements in his work.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit